العالم الإسلامي اليوم

قضايا وحلول

محمد الرابع الحسني الندوي

المجمع الإسلامي العلمي - لكناؤ

www.abulhasanalinadwi.org

من مطبوعات المجمع الإسلامي العلمي

رقم : ٣٠٩

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانيه

١٤٣٢هـ ـــــ ٢٠١١م

عدد النسخ : ١١٠٠

الناشر

المجمع الإسلامي العلمي، الهند

ص ب ١١٩ لكناؤ (يوبي)

هاتف: 0522 - 2741539

فاكس: ٠٥٢٢-٢٧٤١٢٧٢-٢٧٤١٢١

Composed by (M.USMAN)At: AL-RAID Office, Nadwa Tul Ulama, Lko.

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد بن عبد الله الأمين، وعلى من اختار هديه ممن نال صحبته، وممن جاء بعده، وبعد.

فقد كان من فضل الله تعالى أن أبناء دار العلوم لندوة العلماء قد قاموا بإصدار صحيفتين عربيتين صحيفة "البعث الإسلامي" الشهرية وصحيفة " الرائد" النصف شهرية، قد قامتا بنصرة الحق وخدمة قضايا الأمة الإسلامية في الناطقين باللغة العربية، و وفقني الله تعالى للمشاركة بكتابتي فيهما بقدر ما جعله الله تعالى لي سهلاً في موضوعات تهمّ المسلمين عرباً وعجماً في ظروفهم الراهنة، و رجوت من الله تعالى أن يجعلني ممن يعملون بما أمر به رسولنا الكريم صلى الله

www.abulhasanalinadwi.org

عليه وسلم بقوله: "ومن أصبح لا يهتم للمسلمين فليس منهم"[١] فأردت أن لا أكون ممن لا يهتمون بأمر المسلمين، واتبعت في ذلك منهج أستاذنا وشيخنا الراحل سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ، وذلك منذ صدور الصحيفتين الكريمتين المذكورتين، وقد بدأ ذلك منذ أكثر من أربعين سنة، فكتبت في مناسبات مختلفة وفي ظروف الأمة الإسلامية والعربية المهمة المتنوعة، وسرت على هذا النمط طيلة المدة، فاجتمع لي عدد لا بأس به من المقالات والكلمات، وكان فيها ما لم تنقطع أهميتها، ولا يخلو الاطلاع عليها من فائدة لا بأس بها، ولو بعد مضي زمن كتابتها، فاقترح عليَّ بعض أحبابي أن تختار هذه المقالات التي لا تزال على قيمتها وأهميتها السابقة، وتجمع في كتاب، فإن الكتاب تبقى فائدته لزمن أطول، ويتيسر الاطلاع عليه لعدد من القراء أكثر، ولم يقتصر أحبابي على الاقتراح، بل وجمعوها وعرضوا عليَّ، فأنا أشكرهم على عنايتهم بما كتبت وتقديرهم لطائفة منه، ثم اهتمامهم بأن تنشر المجموعة في كتاب، وذلك لمحبتهم لي، جزاهم الله تعالى على ذلك.

ولقد تعاون معي في اختيار اللائق من مقالاتي من بين سائرها بناءاً على اختصاصها بالظروف المهمة خاصة إخواني أذكر منهم بصورة خاصة الأخ الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي، والأستاذ نذر الحفيظ الندوي ـ حفظهما الله ـ ولقد زاد الأخ نذر

---

[١] – رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: ١٠٥٨٦

www.abulhasanalinadwi.org

الحفيظ الندوي تعاونه فبذل وقتاً بإلقاء نظرة على مواد هذه المجموعة ببعض آرائه، وكتب الأخ الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي كلمة تقديم للكتاب زادت من أهمية نشر هذه المقالات، فللأخوين شكري وتقديري اللائقان، ولقد بذل العزيز محمد وثيق الندوي عناية وجهداً في جمع المقالات وإعدادها للنشر فله شكري كذلك، وأسأل الله تعالى أن يجعل في هذا العمل نفعاً لناشئتنا الإسلامية، ويتقبله، فله وحده المن والفضل.

٣/٤/١٤٢٥هـ — محمد الرابع الحسني الندوي

٢٣/٥/٢٠٠٤م — ندوة العلماء لكناؤ

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد .

فهذه مجموعة مقالات كتبها فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي في مناسبات مختلفة، ألهمها انفعاله لما يقع في العالم الإسلامي من أحداث ووقائع، واتجاهات، وما تثور فيه من قضايا تَهُمُّ كل من يحمل الهم الإسلامي كرئيس تحرير صحيفة "الرائد"، ثم كالمشرف عليها، فقد أنشأها في عام ١٩٥٩م، وكان العالم العربي يمر بمرحلة حرجة من تاريخه، فقد حدثت فيه ثورات وثورات، ولم تكن هذه الثورات التي كانت عسكرية، عسكرية بمعنى الكلمة، بل كانت فكرية وثقافية، لأن كل ثورة قامت، قامت بفلسفة في التعليم والثقافة، وجرّت البلاد إلى جهة خاصة، أدخلت فيها

www.abulhasanalinadwi.org

نزعات وتيارات فكرية، وحاربت فيها نزعات وتيارات كانت سائدة فيها.

كان هذا العصر الذي كتب فيه الكاتب هذه المقالات عصر تقلبات، تعرضت فيه طبيعة هذه البلدان لعمليات محو، وإضافة، ونزع، وتطعيم، وأدت هذه العمليات التي كانت تساندها القوة العسكرية التي كانت تتوكأ على دعم من المعسكر الشرقي الاشتراكي أو المعسكر الغربي الرأسمالي إلى تضحيات جسيمة، قام بها الشباب المسلم الغيور المحافظ على دينه، وعقائده، وخلقه، لأن المعسكرين كانا يتفقان على محاربة العنصر الديني، أو المعالجة الدينية للقضايا التي تواجهها البلدان العربية، وتحاولان تطبيق الأفكار الوافدة التي كانت تتنافى مع عقائد أغلبية هذه البلدان الإسلامية وثقافتها وطبيعتها.

إن الخطاب في هذه المقالات موجه إلى الإخوة العرب لأنها بلسانهم، ونشرت في صحيفة عربية، وتتميز بالعاطفة، كما تتميز بالمطالعة العميقة، والفكر الغائر، فالكاتب معلم في طبيعته، وكاتب بهوايته، ومفكر بمطالعته العميقة، فيجد القارئ ألواناً مختلفة في هذه المقالات، ففيها مقالات تغلب عليها العاطفة، ومقالات تغلب عليها طبيعة التعليم والتربية، فقد مارس الكاتب مهنة التعليم والتربية طول حياته، وفيها مقالات تغلب عليها الدراسة العلمية والتفكير، فقد قضى الكاتب حياته في المطالعة العامة في لغات مختلفة، العربية، والأردية، والإنجليزية، وزار معظم البلدان المعروفة في أوربا وآسيا،

www.abulhasanalinadwi.org

وإفريقيا، وتعرف على مدارس الفكر فيها، بالإضافة إلى قضاء حياته في رعاية خاله سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي وتربيته العلمية والفكرية، واستوعب فكره، ليس بمطالعة كتبه ومؤلفاته والاستماع إلى خطبه ومحاضراته فحسب، بل رافقه في جولاته، ولقاءاته فاستساغ فكره.

ويجد القارئ عند ما يطالع مقالاته انعكاس فكر الشيخ الندوي باختلاف الأسلوب، والعرض، فلكل كاتب أسلوب وطريقة للعرض، كما أن لكل قارئ ميلاً ونزوعاً طبيعياً للقبول، والرفض، وذوقاً يختلف عن ذوق غيره.

تشتمل المقالات على الموضوعات التعليمية والتربوية، وبناء المجتمع الإسلامي، ومناهج الدعوة، ومقتضياتها، وترشيد الصحوة الإسلامية، وبيان المزالق فيها، وأساليب الغزو الفكري، وطرق معالجتها، وبيان خصائص الأمة الإسلامية، ومسئوليات الدعاة، ودراسة للأوضاع التي يمر بها العالم العربي، وخاصة ممارسة الوسائل القمعية التي لجأت إليها بعض القيادات السياسية خوفاً من الثورة المضادة، ودرءاً لرد فعل الشعوب المقهورة.

وقد ساعدت الكاتب مطالعته للتاريخ الإسلامي، وتاريخ الحركات المعاصرة، ومعرفته للمواقع الاستراتيجية للعالم الإسلامي، لشغفه بموضوع الجغرافية الذي ألف فيه كتاباً مستقلاً، نال القبول، واشتغاله بالتربية الاجتماعية التي ألف فيها أيضاً كتاباً مستقلاً بعنوان "تربية المجتمع"، ساعدته هذه المعرفة على تحليل الأوضاع

www.abulhasanalinadwi.org

تحليلاً علمياً، وعرض حلول، وإشارة إلى حلقات مفقودة.

فالكتاب متنوع باعتبار الموضوعات، ومتنوع الأساليب كذلك، لأن لكل موضوع أسلوباً، ولكن هناك وحدة وهي العاطفة الإسلامية التي تتدفق في كل مقال، وقد نشأت هذه العاطفة بدراسة الأوضاع بقلب متحرق، وتحت توجيه أستاذه ومربيه الشيخ الندوي، ونشأته في أسرة عريقة في العاطفة الدينية، وطبيعته الحساسة.

وتزداد أهمية هذه المقالات، لأن كثيراً من الكتاب يتناولون هذه الموضوعات باختلاف طبائعهم وثقافتهم وأساليبهم، فيقع كثير من القراء منها في حيرة، ولكن هذه المقالات تعالج هذه الحيرة، وتهدي إلى سواء السبيل.

ليست هذه كلمة تقديم، فهو لا يحتاج إلى تقديم بقلم من هو أصغر منه سناً وعلماً، بل هي انطباعات ارتسمت بمطالعة هذه المقالات، وأرجو أن لا تختلف انطباعات من يقرأها من الزاوية التي قرأتها، وأسأل الله أن يرشدني إلى ما فيه الخير، والحق، وأن يجزي الكاتب خير الجزاء.

كتبه

السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي

سكرتير المجمع العلمي الإسلامي

بندوة العلماء لكناؤ – الهند

١٤٢٥/٤/١٤ هـ

٢٠٠٤/٦/٣م

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

من التنظير إلى التربية والتطبيق الفعلي

يمتاز الإسلام عن الديانات الأخرى بأنه دين شامل، لا يكفي فيه أن يقتصر الرجل على أداء واجبات العبادات الشكلية وحدها، بل ويجب الالتزام فيه بكافة الجوانب المتصلة بالحياة من عقيدة، وعبادات،وآداب السلوك والاجتماع، ومن فهم صحيح للنظر الإسلامي في الحياة، وتطبيقه تطبيقاً شاملاً على مناهج الحياة .

وحيث إن المسلمين يقصرون أحياناً عن تطبيق الإسلام على نفوسهم تطبيقاً شاملاً، اهتم رجال بلفت النظر إلى هذا القصور، وبدأ رجال من أهل البحث والدراسة والفكر يبحثون في الموضوع، ولاختصاصهم الفكري بدأوا يشْرحون النظر الإسلامي الشامل للحياة من الناحية النظرية .

ولكن عملية الشرح والبحث العلمي قد ازدادت في العهد الأخير، و اشتدت الطبيعة العلمية في عملياتهم حتى بلغت حد الغلو، فهي تصبح أحياناً فلسفة تنفع في رياضة العقول أكثر مما تنفع في إنارة الطريق، و هداية البشر، و عكف عليها عدد غير قليل من

www.abulhasanalinadwi.org

رجال البحث والدراسة مقصرين في الاهتمام بجوانب العمل الإسلامي الأخرى، و عن تطبيق الإسلام في الحياة تطبيقاً عملياً و شاملاً .

فإن شمول الدين الإسلامي إذا كان يقتضي منا أن لا نقتصر على أداء واجبات العبادات الشكلية وحدها مع الإهمال بجوانب السلوك والاجتماع والفكر، فإنه يقتضي كذلك لا نقتصر على العمل الفكري والبحث العلمي وحده، مع إهمال جوانب العبادات و تربية القلب، و إن الغلو في جانب من الجوانب يأتي دائماً بالتقصير في الجوانب الأخرى، فإننا إذا كنا نشكو من جهال المسلمين أنهم يتغافلون أو يقصرون في الاهتمام بتطبيق الإسلام على حياتهم تطبيقاً شاملاً، و يكتفون بظاهر العبادات وحده، فإننا بدأنا نشكو أيضاً من رجال الفكر الإسلامي أنهم يضعفون في الاهتمام بالجانب الداخلي من الفرد، ذلك الجانب المهم الذي يقوم مقام الطاقة الكهربائية في قضاء ما يجب نحو امتثال الأوامر الإلهية امتثالاً لائقاً، وبغيرها يصبح الإسلام فلسفة و أفكاراً تسرى في الكلمات والمصطلحات، ولا يرى له أثر في الأعماق، فقد رأينا في التاريخ الإسلامي أن الإسلام البسيط المدعم بالروح قد أتى بالعجائب، و صنع التاريخ، أما الإسلام المدعم بالفكر والمصطلحات العلمية فقد ضعف عن أداء هذا الدور المهم .

إنه يجب أن نرى أن لا تصبح الشدة في أوساط العلم الحديث الإسلامية بتنظير الإسلام عائقة عن تربية الجيل الإسلامي الناهض على الطاقات المعنوية التي هو في أشد حاجة إليها لأداء دور مطلوب في الحياة المعاصرة .

www.abulhasanalinadwi.org

نحن لا نريد أن نستهين بقيمة الجهود التنظيرية و الفكرية في سبيل الإسلام، فإن لها أهمية وقيمة لا يستهان بها، و لكنا نريد أن نبدي مخاوفنا من أن لا يكون ذلك على حساب التربية المعنوية الحقيقية ، فإن الإيمان في العقل أمر مهم جداً، ولكن الذي يأتي بالمعجزات هو الإيمان في القلب، وإن القلب يجبر العقل على مسايرته لتحقيق مآربه، ولكن العقل يعجز عن أن يجبر القلب على العمل بغير ما يؤمن به، فإن الاهتمام بإيمان القلب وتربيته أهم، ولا بد أن يكون سهمه أكثر من سهم غيره .

إن الأمة الإسلامية اليوم أصبحت فارغة أوشبه فارغة من الإيمان القلبي، ولذلك لم تعد تصمد أمام هجمات الجاهلية الرعناء، وموجات الغزو الجاهلي الأوربي، وبذلك تتقوض قلاعها قلعة قلعة، فهل يجديها في هذه الحالة جهود المصطلحات والبحوث النظرية كثيراً، كذلك والنعرات و الهتافات المنبثقة منها، التي نسمع ونقرأ دويّها في أقطار العالم الإسلامي .

إن الأمة الإسلامية اليوم في حاجة إلى تربية، والتربية عملية جهد طويلة، لا تنفعها جعجعة ولا صخب، بل إنما ينفعها العمل الصامت الدؤوب، وهي في حاجة إلى أن تكون على منوال العملية التي قام بها الرسول عليه السلام في صحابته، وقام بها صحابته في أتباعه، وهو منوال بسيط غير معقد، عملي أكثر من العلمي، قام على الاهتمام بصلاح القلب و إصلاح النفس قبل إعطاء حلول مفصلة كاملة لقضايا الفكر و العقل، الممكن حدوثها من الحياة الجديدة .

www.abulhasanalinadwi.org

الأمة الإسلامية سائرة اليوم في مجالات الذلة والاستكانة باستمرار، تنهزم أمام الهجمات الجاهلية يوماً فيوماً، و هي حالة يصعب معالجتها بالألفاظ و البحوث الجافة، وثم إن هؤلاء المهتمين بالألفاظ والبحوث العلمية ليسوا جميعاً ممن يؤمنون بالإسلام، وإن الذين يؤمنون به ليس جميعهم ممن يؤمنون به من قلوبهم، أو أن الإيمان لما يدخل في قلوبهم، وهذه الظاهرة خطيرة جداً، بدأت تعم في أوساط الفكر العالمية، يجب معالجتها وإصلاحها .

على كل فإن الإسلام في حاجة إلى العمل المخلص، إلى الجهد الصامت، إلى الدعم الصحيح، إلى العملية المشابهة لعملية الجهد الإسلامي الأولى، وهو الحل المفيد في الوضع الإسلامي المتهافت اليوم في العالم .

www.abulhasanalinadwi.org

تأثير التربية الإسلامية على المجتمع

المبدأ الأساسي الكبير للتربية الإسلامية في كل وقت وقبل كل شيء هو ترسيخ دعائم القوة، والإيمان في نفوس أبناء الأمة، حتى تستطيع هذه النفوس أن تتماسك وأن تصمد أمام أي غزو يواجهها، ولا تنخذل بسهولة ويسر أمامه، وذلك لا يمكن إلا بتحصين هذه النفوس بمحبة الله ومحبة رسوله، وإيجاد الحب للمثالية الإسلامية في قلوب أبناء الأمة الإسلامية، فإن القوة الحاصلة من هذا الحب كانت وتكون دائماً أقوى درع واقية لهذه النفوس من الانزلاق نحو مبادئ الضلال والانحلال، وعليه يقوم صرح الفكرة الإسلامية الحصين، ولا يتزحزح بسهولة .

والتاريخ يشهد بأن كل من رسخت في قلبه محبة الله ورسوله، ومحبة الصالحين من أمته لم تضره المحاولات الهدامة، ولا جهود المضللين، ببذر الشكوك، وأن محبة الله و رسوله ومحبة دينه عندما توجد في النفوس تأتي بالعجائب والمعجزات، وهي التي نسميها في لفظ آخر بالإيمان واليقين .

www.abulhasanalinadwi.org

لقد كانت مناهج التربية الإسلامية قديماً تشتمل على الاعتناء بهذا الجانب في أول ما تعتني به، ويبقى ذلك إلى الوقت الذي بقى المسلمون محافظين على طريق توجيههم و تربيتهم لأولادهم عند طفولتهم، والطفولة هي الوقت الأفضل لغرس الإيمان في القلوب، فقد كان المسلمون بكافتهم يبدأون تعليم أطفالهم من قراءة حروف القرآن الكريم، وتلقين التوحيد، وتعليم مبادئ الإسلام، وقصص الأنبياء والصالحين من أمة محمد ﷺ، فقد كان الآباء والأمهات يقومون بذلك في بيوتهم، والمدرسون في الكتاتيب والمدارس الأولية، وعند ما كان الأطفال يتزودون بذلك كانوا يلحقون بالمدارس العامة، وذلك في الوقت الذي يكون غرس الإيمان ومحبة الله ورسوله ودينه قد تم في قلوبهم، ولذلك نجد أن المسلمين لم يكونوا يحتملون السكوت على أية إهانة لدين الله، أو شعائره ورسله، بل كانوا يضحون بأرواحهم دفاعاً وانتقاماً لذلك مهما كانت العواقب، هذه هي الغيرة الإسلامية التي كان الإيمان وحب الله ورسوله يحملان المسلم عليها، وكل ذلك بفضل التربية الإسلامية التي كانت تبدأ بترسيخ الإيمان في جذور القلب .

وكانت جوانب الحياة المختلفة في المسلمين تتضامن أيضاً مع أعمال التربية الإسلامية، ولم يكن أي واحد من هذه الجوانب يخرج من الإطار الإسلامي، وهو الواجب علينا اليوم أيضاً إذا أردنا أن تكون النتائج كاملة وسارة، أما أن نختار مناهج التربية الإسلامية في جزء من أجزاء دراسة الطالب المسلم في مدرسته فلن يكون أثره إلا في جزء

www.abulhasanalinadwi.org

محدود من أجزاء سيرته وأخلاقه، كما نجد اليوم، فلا الأطفال يلقنون معاني الإيمان والتوحيد في بيوتهم، ولا الأولاد يبدأون في المدارس بمبادئ دينهم، ولا البيئات والمجتمعات الإسلامية تتمتع بكلمات الإصلاح والوعظ والتربية، كما كانت تتمتع بها قديماً عندما كانت أحاديث الآباء والأمهات في بيوتهم لأولادهم وسيلة للتربية على الإيمان والحب الديني، وكانت المساجد التي يؤمها النشء لصلاتهم، والمدارس التي كانوا يقصدونها لتلقى دروسهم في أي موضوع، كانت وسيلة بصورة مباشرة أو بصورة جانبية لتربية النفوس على الإيمان وتهذيبها على الخلق الطيب، فهل من كل ذلك الآن إلا دروس وحصص زهيدة في المناهج الدراسية التي يمتلئ أكثرها بروح التشكيك والتنفير عن الإسلام وعن محبة الله ورسوله .

أما هذه الدراسات التخصصية في المراحل العالية والعليا في بعض الجامعات المخصصة لهذا الغرض فلا تقدر أن تبنى صالحاً على فاسد نشأ من الدراسات الأولية والابتدائية المجردة عن الروح الإسلامية، ثم أن عدد أبناء المسلمين الذين يؤمون هذه الجامعات المخصصة عدد ضئيل جداً بالنسبة إلى الآخرين، فإنما القضية هي قضية الأغلبية من أبناء المسلمين على أي شيء تنشئهم .

مسئولية المدرسين

والمصيبة الثانية هم هؤلاء المدرسون الذين يحملون في رؤوسهم كل نوع من الأفكار التائهة بحكم دراساتهم في المدارس العلمانية، أو البعيدة عن روح الإسلام، وبحكم وجودهم في بيئات متأثرة بكل ظاهرة

www.abulhasanalinadwi.org

تتنافى مع الإيمان و روح الغيرة الإسلامية، وأنه لمنفذ فساد كبير أن لا يكون المصلحون و المربون أكفاء في إيمانهم وثقتهم بالدين .

ولقد اعتنت الدول الاستعمارية بتقرير سياسة التعليم، و وضع مناهجه لتستخدمه كأداة في خططها البعيدة الغاية، ولقد أشار إلى هذه الناحية من أهمية تأثير العلم على الناشئة الناقد الاجتماعي شاعر الأردية الأستاذ أكبر إله آبادي حيث يقول في بيت من شعره ما معناه:

"ما كان فرعون ليتهم بقتل الأولاد، لو أنه اهتم بإنشاء كلية للتعليم ".

ذلك هو الذي صنعه الإنجليز في الهند، و في مصر، والسودان، وصنعته فرنسا في الشام، وفي إفريقيا الشمالية، حتى استطاعا الوصول إلى النتيجة التي كانا يستهدفانها، وهي إنشاء جيل يكون أفراده في منزلة الأبناء والتلاميذ الأوفياء لهما، وقد بلغ من شمول نجاحهما في هذه الخطة أن أصبح الإسلام بتأثير خططهما لتعلم الجيل الناشئ غريباً في دياره وأوطانه، وضعيفاً في قوته وتأثيره، بعد أن كان هو القوة المحركة الوحيدة للنفوس والقلوب، فلم تكن تقتبس قوتها وانطلاقها إلا منه .

والمسلمون كذلك لم يستطيعوا أن يقاوموا الغزو الفكري الإنجليزي والفرنسي، بالقدر الذي استطاعوه إلا بفضل مناهجهم وخططهم التعليمية والتربوية الخاصة التي استطاعوا الاحتفاظ بها، أو إنشاء الجديد منها بوسائلهم الشعبية، ويشهد بذلك تاريخ الجامع

www.abulhasanalinadwi.org

الأزهر في مصر، وجامع الزيتونة، وجامعة دار العلوم بديوبند، ودار العلوم لندوة العلماء في لكناؤ الهند، وغيرها من الجامعات الأهلية في العالم، فكم من معلمين ومربين وقادة ومدرسين خرجتهم هذه الجامعات الأهلية الكبيرة، وكانوا بمثابة سور الفكرة الإسلامية، والروح الإسلامية من الاندراس والزوال، ولا يزال عدد كبير من هذه الجامعات يؤدي واجبه نحو هدفها الأسمى .

ولا ننكر فضل الجامعات والكليات التي يغشاها أبناء المسلمين، ويكتسبون منها العلوم التجريبية التي لا يمكن إنكار قيمتها في الحياة العملية الراهنة، ولا ننكر أن الجامعات الدينية قد حصرت نفسها في ناحية العلم الديني وحده، وهي ناحية مهما بلغت من الأهمية لا تسد مسد الناحية التي لها صلة بالعلوم التجريبية، فكان هذا النقص في مجال التربية سبباً كبيراً لاستغلال المستعمر للموقف بوضع خطة تربوية تسد حاجة المجتمعات الإسلامية إلى ما يفيدها في الجوانب التجريبية، وفي نفس الوقت تسد حاجة الحاكم أو الواضعين للخطة التربوية إلى القضاء على روح المحافظة على القديم والاعتزاز بالخصائص الأصيلة في نفوس الأمم الرازحة تحت الاستعمار، بل حاجته لكسب رضا هذه الشعوب وامتنانها بهذه العملية التعليمية، فصارت العملية بذلك عملية فتح النفوس والقلوب بعد فتح الأوطان والأبدان، عملية لم تفتقر لنجاحها إلى سفك دماء واضطهاد و إرهاب، بل إنما افتقرت إلى حكمة وكياسة ودهاء، واستغلال الظروف والأحوال .

www.abulhasanalinadwi.org

مفاتيح الشعوب

إن خطط التربية و وسائلها هي المفاتيح الوحيدة التي تفتح بها قلوب الشعوب ونفوسها وتقفل، وكل من ملك هذه المفاتيح كان له في هذا الميدان نصيب الأسد .

إن الشعوب الأوربية التي عرفت طبائع الشرقيين في زمن استعمارها لها، وفي عهد اختلاطها بها عقدت عزيمتها على التأثير على هذه الشعوب بسياستها ووسائلها للتأثير الأدبي والفكري، وصرفت إلى ذلك همتها و نشاطها، واختارت في ذلك كل جديد وقوى، فكان من وسائلها الصحافة، والإذاعة، والسينما، التي قامت بهدم ما تبنته التربية الصالحة في البيت والأسرة، ثم كان من وسائلها المدارس والكليات التي قامت بتليين النفوس والقلوب للأخلاق والأفكار التي تلائم أهداف الغرب، وسلخها من الأخلاق والأفكار والقلوب، و وسائل فتح النفوس التي لم تقع فريسة للتأثيرات المذكورة فظهرت في صورة النوادي الأدبية والثقافية، والمجامع العلمية والفكرية، أو المؤسسات الخيرية، أو بدأت تعمل وفق خطط محبوكة دقيقة النسج، وكان لها وجهان: وجه أمام الشعوب الشرقية تراه حبيباً جميلاً يشع بضوء الفضيلة والخير والأخوة والعطف، و وجه آخر وهو يختلف عن الأول كل الاختلاف، وكان فيه عزم وتصميم لتحويل الشعوب الإسلامية من أصالتها واتصالها بأصلها إلى اللحوق بزمرة التائهين الأفاقين تلك التائهة الضالة التي لم تحدد لنفسها هدفاً و لا إطاراً إنسانياً فاضلاً تحصر نفسها فيه، إنها فريسة النعرات

www.abulhasanalinadwi.org

المتطرفة، والمصطلحات المشبوهة، والوعود الكاذبة، والمظاهر الخادعة، فكانت جيشاً لكل مضلل، وغذاءلكل محتال، وغثاء كغثاء السيل، ونجح بذلك الغزو الأوربي أبعد النجاح .

هذه هي التربية التي نفذها الغرب وخططها فينا نحن الشرقيين، فنشأ بتأثيرها أجيال ليست أبداً في صالح الشرق ولا في صالح الأمة الإسلامية، بل إنما هي في صالح الغرب، وفي خدمة أهدافه كما يعرفه كل مطلع على الحياة الراهنة في العالم الإسلامي .

لقد قصرنا في معرفة أبعاد تأثير الخطط الغربية التربوية، وخدعتنا بالجمال الخارجي الذي ظهر في وسائل هذه التربية، ثم أخطأنا باختيارنا لهذه الخطط الغربية نفسها للاستفادة منها كوسائل للتربية الصالحة في شبابنا وجمهورنا، ولم نهتم بأن نغيرها تغييراً يوافق ديننا وتراثنا وطبيعة أمتنا فتكون وسائل تربية إسلامية، أو أقرب إلى التربية الإسلامية .

عملية التربية الإسلامية

إن عملية التربية الإسلامية ليست منحصرة في أن تخصص دروس للتربية الإسلامية من بين دروس كثيرة، لا تتفق روحها مع روح الإسلام والإيمان ، وليست عملية التربية الإسلامية منحصرة في أن تخضع نظم التربية ومناهجها كلها للروح الإسلامية والفكرة الإسلامية، إنما المطلوب إعطاء صبغة إسلامية صحيحة للبيئات الاجتماعية التي يتقلب فيها الأولاد، ويمارسون نشاطاتهم، والحياة المنزلية التي ينمو فيها الأطفال وينشأون، ولوسائل الإعلام سواء

www.abulhasanalinadwi.org

تبنتها وأشرفت عليها الحكومة أو العامة ليحصل من ذلك كله غذاء يساعد على تنشئة الشباب على السيرة النظيفة والحياة الإسلامية، ويجب أن تخلو بيئاتنا من هذه الصور الفاسدة التي تنقل إلى ناشئتنا وشبابنا وإلى أبناء الأمة الإسلامية في مختلف جوانب حياتهم عن طريق وسائل الإعلام التي كان من واجبها أن تبنى الحياة الخلقية والحياة العلمية على الخير والصلاح .

و يجب أن تتحلى حياتنا الاجتماعية بالإرشادات التوجيهية والمواعظ الإيمانية بصورة مباشرة وغير مباشرة، كما كانت تتحلى بها في قديمنا، فإن هذه الإرشادات الكريمة بمثابة مدارس غير نظامية تؤثر بنفس القوة التي تؤثر بها المدارس النظامية .

فكل ذلك إذا اجتمع للمجتمع الإسلامي فإنه كفيل بترسيخ دعائم الإيمان والإسلام في قلوب أفراده وعقولهم، وهو إذا تحقق بطريقة صحيحة يكون درعاً واقية للمسلم ضد الحملات والغزوات الفكرية المعادية .

على كل فإن ترسيخ الإيمان بالله ورسوله ودينه، والإيمان بمقومات الحياة الإسلامية التي ورثناها من أسلافنا النجباء، والاعتزاز بما عندنا من القيم والمثل واتباع الطرق الحديثة لغرس كل ذلك في قلوب الناشئة وأذهانهم منذ الصغر، وتنميتها مع الكبر، وتعهد النفوس والعقول بالإصلاح والإرشاد، وصيانتها وحفظها من أسباب الفساد وعوامل الإضلال، وأثر التيارات المعادية هي المهام العظيمة التي نجد الأمة الإسلامية في كل مكان أحوج ما تكون إليها بجنب

www.abulhasanalinadwi.org

النظم التعليمية الصالحة التي لا تشتمل على تناقض في روحها وطريقتها ، فإذا راعينا كل ذلك فقد قمنا بواجب التربية الإسلامية، وهناك يكون أثرها صادقاً على مجتمعاتنا، وتظهر هذه المجتمعات أمام العالم كمجتمعات إسلامية فتية نابضة بالحياة مثالية لمن يريد أن يحتذيها، أو يتعرف عليها، وتكون نتائجها سارة رائقة يعتز بها المسلمون، ويجمل بها تاريخهم .

www.abulhasanalinadwi.org

بناء المجتمع الإسلامي وخصائصه

www.abulhasanalinadwi.org

المجتمع الإسلامي في حاجة إلى الإصلاح والتقويم

المجتمع الإسلامي اليوم بحاجة إلى التصحيح والإصلاح، وحاجته هذه ليست جديدة، بل افتقر في فتراته المختلفة من عمره إلى هذا التصحيح والبناء، فقد واجه ويواجه تحديات مختلفة، ومر ويمر من خلال تقصير و غفلة من أبناءه و أصدقائه، ومؤامرات ومكائد من أعدائه، فتضعضع بنيانه، واضطرب أساسه، وشل من قواه فضعف عن أداء مسئوليته، و أداء دوره المنوط به للهداية والقيادة، مع أن قيمه وتقاليده وآدابه - لو التزم بها هذا المجتمع - لكانت كفيلة بحراسته وصيانته من الفوضى والانحراف.

ولقد بلغ بالمجتمع الإسلامي اليوم الحال إلى تضعضع واضمحلال شديد، فهو اليوم كبيت اندثر وتحطمت جوانب منه فلا يكاد يسد حاجة سكانه إلى وقايتهم من حر الشمس و عوادي المطر، وقد أرادوا أن يصلحوه فعالجوا إصلاحه بكل أداة و وسيلة حصلت لهم من صديق، أو عدو، فسدوا بعض الخلل، ولكن بلبنات لا تتلاءم مع لبناته وأحجار في أحجام مختلفة، وأسندوه بأساطين غريبة فلم يزيدوا

www.abulhasanalinadwi.org

حاله إلا خطراً أكثر، وذلك في وقت انتشرت الأمة الإسلامية في أنحاء المعمورة، و ازداد عدد أبنائها ازدياداً واسعاً، وأصبحت نسبتهم إلى مجموعة بني آدم في هذه المعمورة ما يقارب ربع الجميع، حتى أصبح أعداءها يحاسبون لهذا العدد حساباً، ويرونه في المجال الدولي قوة تجدر بأن تعرف الدول بثقلها و هيبتها، ولذلك تعاون أعداء المسلمين على تفتيتها وتحطيم هيكل هذه الأمة، وعلى إفساد مجتمعها الذي يحرز أبناءها منه القوة، ويستندون إليه في أحوالهم القاسية .

ظروف المجتمع المسلم الحاضرة :

يعيش المسلمون في مختلف أنحاء العالم في مختلف الظروف والأحوال، وهم في مجالهم السياسي موزعون إلى دول هم فيها أغلبية، ودول هم فيها أقلية، وبعض أقلياتهم تتمتع بالثقل السياسي، والقوة المعنوية، فوضعها في بلدانها وضع لا بأس به، ولكن أقلياتهم في بلدان أخرى أقل قدراً وأضعف حالاً .

أما البلدان التي يعيش فيها المسلمون كأغلبيات فهي أيضاً في أغلب شؤونها ليست أحسن حالاً، لأنهم لم يبنوا فيها مجتمعهم بناءاً متلائماً مع قيمهم وحاجاتهم، ولا راعوا فيه لما هو أصيل، وما هو دخيل، فأصبح بذلك مجتمعهم لا شرقياً، ولا غربياً،و لا إسلامياً كاملاً، فلا ينفع هذا المجتمع المرقوع أبناءه، ولا يصوغهم صياغة صحيحة، ولا يصونهم من الفساد والاضطراب، فهو كبيت لا يحفظ ساكنه من شر البلايا، ومن خطر الأعداء .

www.abulhasanalinadwi.org

مجتمع الأقليات الإسلامية :

أما الأقليات الإسلامية فهي لا تملك لأبناء جلدتها سيادة ولا قيادة، فهي لا تستطيع أن تبنى كما يناسبها، وكما تريد و تشاء، بسبب سيطرة الأغلبيات المعارضة لها على السيادة والتوجيه، وهذه الأغلبيات تقوم بحكم سيادتها بالتصرف بشؤون التعليم و الإعلام، وهما أكبر وسيلتين لصياغة المجتمع صياغة معينة، ولا يبقى بعدهما إلا المحيط المنزلي الذي أصبحت تغطيه أيضاً الإذاعة الصوتية والمرئية، والإنترنت، فأصبحت بذلك الحياة المنزلية أيضاً غير مصونة، وأصبح الولدان وكبراء المنزل بعد ذلك في غير موضع التوجيه والصياغة لحياة أبناءهم .

وبذلك فسد حال الأقليات الإسلامية تماماً، وأصبحت شخصيتها الإسلامية تذوب في بوتقة الثقافة والآداب والدين التي تخضع لها أذهان الأغلبيات الحاكمة، ومثال ذلك هو ما وقع أو يقع في عدد من بلدان الأقليات الإسلامية .

ولاشك في أن الأذهان القيادية لبعض الأقليات الإسلامية قد تتبع بعض الأساليب الأدبية الحكيمة للاحتفاظ بجانب من القيم الإسلامية والآداب الدينية، ويحرزون بذلك بعض النجاح، وأكبر وسيلة تساعدهم في ذلك هي مساجدهم التي يرتبطون بها بالعبادات اليومية والأسبوعية والسنوية على الأقل، وكذلك بعض تقاليدهم الدينية التي يقدر عن طريقها علماء الدين الإسلامي على ربطهم بدينهم الإسلامي الحنيف، وجمعهم في رباط اجتماعي مسلم، يبقى به لهم مجتمع شبه إسلامي، وإن كان مهلهل النسج بسيطاً في هيئته

www.abulhasanalinadwi.org

وحالته .

أما الأقليات الإسلامية التي لم تدخل بعد في وضع مخالف لإسلامها وقيم دينها دخولاً كاملاً، فهي تتمتع بجانب من الحريات، منها حرية إنشاء مدارس خاصة لهم مع حرية ولايتها وإدارتها، كما تتمتع بالاستعانة بوسائل الطبع والنشر، فهي لا تزال في وضع إسلامي أحسن من وضع الأقليات الضعيفة المغلوبة على أمرها تماماً، ولكنها بالنظر إلى مستقبلها تخاف من أي تغيير وتبديل فمستقبلها بذلك مجهول .

مجتمع الأغلبيات الإسلامية :

أما في بلدان الأغلبيات الإسلامية فيبدو في ظاهر الأمر أن مجتمعها الإسلامي مصون و مضنون، ولكن الواقع لا يصدق ذلك مع كل أسف بحيث إن المجتمع في هذه البلدان لم يصل في الواقع إلى الهيئة الإسلامية الصحيحة بعد خروج القوى الاستعمارية الغربية من هذه البلدان، فقد تركت القوى الاستعمارية الغربية في بلدان المسلمين اتجاهات فكرية وثقافية لا تتلاءم مع الفكرة الإسلامية الرشيدة، وهي من رواسب الفكر الاستعماري المعادي، فلقد بذل المستعمر الغربي في بلدان الشرق والإسلام جهوده لتربية عقول أبناء هذه البلدان على التبعية والتقليد للفكرة الغربية للمجتمع، وحاول صياغة مجتمع هذه البلدان في قوالب المجتمع الغربي، وقيمه في قوالب قيمها، صرفاً للنظر عن فوارق العقيدة والدين و الثقافة، و أحرز الغرب في ذلك نجاحاً أي نجاح، وبذلك لم يكن إخراجها للاستعمار من أراضيها

www.abulhasanalinadwi.org

إخراجاً كاملاً، ولن يخرج الاستعمار من بلادنا إلا بعد أن نخرجه من قلوبنا و أرواحنا كذلك، و هذا هو العمل الذي يجب أن يهتم به المسلمون، ويصوغوا مجتمعهم الإسلامي على أساسه وفكرته، ولكننا نفتقر في هذا المجال إلى تعيين مواضع الضعف أولاً، ثم إلى وضع منهاج مناسب للعلاج .

مجتمع المدينة المنورة أسوة ومثل :

ونفتقر لكلا الأمرين إلى الرجوع إلى المجتمع الإسلامي الأول مجتمع الرسول ﷺ، وهو المجتمع الذي برز وجهه الكامل خلال إقامته ﷺ في المدينة المنورة عشر سنوات، وهي مدة قصيرة بأعوامها، ولكنها مدة تمتد بمعنويتها العميقة الواسعة على مآت السنوات، فهي مرجع ومثال لجميع المجتمعات الإسلامية التي تنشأ وتتشكل في بقاع الأرض إلى يوم القيامة .

لقد اشتمل المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة على الأسس والمبادئ الكاملة لمختلف جوانب الحياة، فوقائعه وأحواله نبراس للمجتمعات الإسلامية عبر القرون والأحقاب، ومنها يمكن أن نستنبط للوقائع المتجددة في حياة مجتمعاتنا البسيطة والمتحضرة جميعاً ما يعوزنا من مبادئ وقواعد للحياة الجديدة .

فلقد أحاطت توجيهات الرسول ﷺ وإرشاداته ومعالجته هو ومعالجة أصحابه لقضايا الحياة بمختلف شؤون المجتمع الإسلامي فيحصل منها توجيه و تبصير للأجيال الإسلامية الآتية من بعده .

www.abulhasanalinadwi.org

مجتمع الرسول ﷺ بين الدين والدنيا :

فهو ﷺ عندما كان يأمر بتصحيح علاقة العبد المؤمن بربه، وإخضاع جوانب الحياة كلها لها، كان يراعي للحاجات البشرية التي لابد منها لكل إنسان لارتفاقاته، والتدبير لأسباب حياته العامة في نطاقه الفردي، ومحيطه الاجتماعي، وللأغراض السلوكية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية .

لقد كان قائداً دينياً أرسله الله تعالى للهداية والتربية، وللإصلاح السلوكي و الاجتماعي معاً، فكان يعتني بتعليم أتباعه العقيدة الصحيحة وطرق العبادات، وكان يهتم مع ذلك بتهذيب الجوانب العامة للحياة، فحيناً نجد أنه يأمر بالمحافظة على الأعمال الدينية والعبادة والتسابق فيها، فيتحدث في حديث قدسي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده الذي يبطش بها، و رجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه "[1]، ويقول مخبراً عن درجة الإحسان "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[2]، ويقدم من نفسه مثالاً لكثرة العبادة، والصلاة حتى تتورم قدماه، ولما

---

[1] – رواه البخاري،رقم : ٦٥٠٢ .

[2] – صحيح البخاري،كتاب الإيمان،رقم :٥٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

قيل له: إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر فلماذا تكثر هذه العبادة، قال أفلا أكون عبداً شكوراً [١]، وهو الذي كان يقول مع ذلك " إن لربك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه"[٢]، كان يأمر بالصدقات ويؤكد عليها، ويقول: "اتقوا النار ولو بشق تمرة[٣]، وكان ينفق في سبيل الله و لم يكن يبالي بالفقر، وكان يثني على الزهد والتوكل، و إيثار الآخرة على الدنيا، وعدم العكوف عليها، وكان يثني على من يتبتل وينقطع للعبادة، فكان أهل الصُفة المقيمون في مسجده لطلب العلم الديني يقاسون معه الجوع وقلة الغذاء لعدم وجود مورد اقتصادي منتظم، فكان ﷺ يشركهم فيما يحصل له من قوت قليل، وكان يأمر بالاهتمام الكبير بشؤون الدين والتبتل إلى الله والعبادة، فقد حدث أنه كان يحضر في مجلسه رجل كان يشتغل أخوه في كسب المال وينفقه على نفسه وعلى هذا الأخ فشكاه يوماً إلى رسول اللهﷺ بأن أخاه هذا لا يتعاون معه فقال صلى الله عليه وسلم: "لعلك ترزق به"[٤] يعني أن الله

---

[١] – عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر، قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً، متفق عليه (البخاري :١١٣٠ و مسلم : ٢٨١٩ و : ٢٨٢٠).

[٢] – البخاري : ١٩٦٨ والترمذي : ٢٤١٥.

[٣] – صحيح البخاري كتاب الزكاة رقم ١٤١٧.

[٤] – كما جاء في حديث رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: كان أخوان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أحدهما يأتي النبي صلى الله عليه وسلم، والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه للنبي صلى الله

www.abulhasanalinadwi.org

تبارك وتعالى ربما سهل عليه في الاكتساب ببركة أخيه الذي يبذل وقته في تعلم دينه، ولكنه في جانب آخر كان ينهى عن السؤال وإلقاء ثقله على غيره، فقد وجد رجلاً يطلب حاجته بسؤال الناس فنهاه عن ذلك، وسأله عما لديه من متاع وطلبه، فكان رداء وآنية، فباعهما بالمناقصة، ثم اشترى من ثمنهما فأساً ليستعين بها هذا الرجل لقطع الحطب، وبيعه حتي يستفيد بربحه لسد حاجته[1]، وبذلك أظهر للناس أن كسب المال يجب أن يكون بكد اليمين وعرق الجبين، وألا يكون الإنسان عالة على غيره، لقد كان يأمر بكثرة العبادة، لكنه لما علم أن ثلاثة من أصحابه حلفوا بأن يقضي أحدهم الليل كله في العبادة فلا ينام، وأن يقضي ثانيهم كل يوم من أيامه في الصوم فلا يفطر أبداً، وأن يهجر ثالثهم الدنيا فلا يتزوج بل يتفرغ للعبادة، نهاهم رسول اللهﷺ عن ذلك، وقال إني أكثركم عبادة لكني لا أفعل ذلك .

وكان يأمر بطاعة الأمير إطاعة كاملة، ولكنه لما علم أن أميراً من أمرائه كان أمر أتباعه بدخول النار، وهم لم يستجيبوا لأمره استحسن فعلهم ، وقال: " لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة"[2]، وقال في موضع آخر: "لا طاعة لمخلوق في معصية الله"[3]،

عليه وسلم فقال: لعلك ترزق به".(رواه الترمذي بإسناد صحيح علي شرط مسلم رقم : ٢٣٤٦).

[1] – سنن أبي داود كتاب الزكاة رقم : ١٦٤١ وابن ماجه أبواب التجارات رقم: ٢١٩٨ .

[2] – سنن نسائي كتاب البيعة ، رقم : ٤٢١٠ .

[3] – مسند الإمام احمد بن حنبل ، رقم : ٢٠٦٥٣.

www.abulhasanalinadwi.org

وكان يأمر بأداء حق الزوج على زوجته، وحق الزوج على زوجها، وكان يأمر بأداء حقوق الوالدين على الأولاد، وحقوق الأولاد على الوالدين، وكان يأمر بأداء حقوق الجار على جاره، وحقوق الخادم على مستخدمه، وحقوق العبيد على سيده، و توفي وعلى لسانه مع أمره بالمحافظة على الصلاة أمره بأداء حقوق العبد وبالرحمة على النساء، والأمر بالإحسان والرفق لهما، ولقد ورد وصفه لهن بالقوارير، وأمر بتحصين الحياة الاجتماعية، ونهى عن الشقاق والافتراق، وقال: "من شذ شذ إلى النار"[١]، وقال: " فإنما يأكل الذئب القاصية"[٢].

اهتمامه بالجانب التدبيري واختياره الحكمة والاعتدال في شؤون الحياة:

وكان ﷺ يهتم بالجانب التدبيري لشؤون الحياة المسلمة، فقد كان يعنى بتعبئة الجيش، ويختار أجدى وأحدث الطرق في تدبيره للحروب، ولا يتهاون في الحذر من كيد العدو، فقد قال: "لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين"[٣]، وكان يعد لكل أمر عدته وتدبيره، فقد استشار أصحابه في الخروج لمواجهة العدو إلى جبل أحد، أو الدفاع من داخل المدينة، و لما رأى غالبية أصحابه على رأى الخروج

---

[١] – جامع الترمذي، كتاب الفتن، رقم: ٢١٦٧.
[٢] – سنن النسائي، كتاب الإمامة، رقم: ٨٤٨، وسنن أبي داود، كتاب الصلاة، رقم: ٥٤٧.
[٣] – صحيح البخاري، كتاب الأدب، رقم: ٦١٣٣، وصحيح مسلم، الزهد، رقم: ٢٩٩٨.

www.abulhasanalinadwi.org

استعد للخروج، ثم أمر فريقاً من أصحاب الرماية بالجلوس على الجبل لمراقبة تنقلات الأعداء، ونهاهم عن النزول منه حتى تنتهي الحرب، ولكنهم نزلوا منه ظناً منهم بانتصار المسلمين وهزيمة الكفار، فمني المسلمون بخسارة كبيرة على هذا الخطأ، حتى كادوا يلاقون الهزيمة النكراء، وكان يأمر بجمع التوكل مع التدبير اللازم، فيقول: "اعقلها وتوكل "[1]، واستخدم ﷺ المنجنيق على اقتراح من صحابيه سيدنا سلمان الفارسي، واختار طريقة سائدة في الاتصال بالملوك، فأرسل رسائل إليهم، وكان يطبعها بالخاتم على العادة المتبعة لدى الساسة المثقفين في ذلك العهد، ثم إنه أمر بتعلم الكتابة، بل بتعلم لغة غير عربية، كذلك عندما اقتضى الأمر إلى ذلك، وكان يأمر باكتساب العلم، ويثني على ذلك ثناءاً كبيراً، وكان يهتم بجمعه، وتدوينه، فقد اهتم بكتابة الوحي، وقرر لها عدداً من أصحابه، وذلك خلافاً للطريقة المتبعة في عهده، حتى استغرب على ذلك رجال ذلك العهد، وقالوا كما ينقل القرآن الكريم قولهم﴿ **وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً**﴾[2]، ولم يمنعه زهده وتوكله على ربه من اختيار الوسائل المتبعة في عصره، رأى تأبير النخل، فلم يستحسنه على رأيه الشخصي، فنهى أصحابه منه، ولكنه لما عرف أن ترك التأبير كان سبباً لنقص الثمار، أذن لهم، وقال: "أنتم أعلم

---

[1] – جامع الترمذي أبواب القيامة، رقم: ٢٥١٧.
[2] – الفرقان: ٥

www.abulhasanalinadwi.org

بأمر دنياكم"[1] يعني أنه من التدابير العامة التي يختارها الإنسان بعقله، وتجربته، وأوضح بذلك أن الدين لا يمنع من ذلك، بل يأذن به، و ربما يستحسنه ما دام لا يعارض حكماً من أحكام الدين .

فكأنه أعلن بذلك مبدءاً عظيماً تقوم به الحياة العامة للمسلمين، و هو أن ما لا يتعارض مع حكم من أحكام الدين يدخل في أمور الدنيا، والمؤمن مع استسلامه لأمر ربّه و وجوب اتباعه لأمور دينه مختار لاختيار الوسائل المفيدة لتدبير حياته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ، وما يتعلق بها .

لقد أمر وقام رسول الله ﷺ بكل ذلك، وترك للناس بأعماله في حياته المدنية أسوة تبقى للناس إلى يوم القيامة أسوة دائمة مستمرة يستفيد منها المسلمون في تنظيم حياتهم الدينية والسلوكية، والسياسية والاقتصادية والثقافية كلها، ومن ذلك يأخذ المسلمون مدداً لتشكيل مجتمعهم الإسلامي في كل عصر ومصر، يبنون جوانبه الدينية على أحكام الشريعة الإسلامية المنبثقة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ويبنون جوانبه العامة على ما ترك رسول الله ﷺ ونوابه الصحابة رضي الله عنهم من أسوة وعمل في حياتهم الراشدة الكريمة .

مجالات العمل لبناء المجتمع الإسلامي:

إن مجالات العمل لبناء المجتمع الإسلامي في كل عصر ومصر تنقسم إلى ثلاثة أطر من الحياة الاجتماعية، وهي أولاً الحياة المنزلية التي تقع المسئولية فيها على الأبوين وكبراء العائلة، وفي مقدمتهم

[1] – صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، رقم : ٦١٢٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

جميعاً سيد الأسرة وعائلها، وهو الوالد، وسيدة الأسرة، والقائمة بشؤون الأسرة وهي الوالدة، فإن البناء الأول لشخصية الفرد يتم فيها، وفي مسئولية سيدي الأسرة، ويتم تثبيت العقائد والتربية على الأخلاق فيها .

ثم يأتي الإطار الثاني، وهو الإطار المدرسي الذي يدخل الولد بعد بدأ نشأته وتشكيل بناء شخصيته فيه، فيطلع على المعارف العلمية للحياة، ويتعلم الصناعات التي تتصل بحياته، وفيه تكمل تربيته، ويتم بناء شخصيته الإنسانية، وتحصل له العدة لمواجهة الحياة القادمة .

أما الإطار الثالث فهو إطار اجتماعي عام يدخل فيه الإنسان بعد تخرجه في المدرسة، ويواجه قضايا الثقافة والاجتماع، ويمارسها وتندمج شخصيته فيها، وتتم فيها صياغته كلبنة من لبنات بناية المجتمع، فيها عطاءات نشأته المنزلية وتربيته المدرسية وثقافته الاجتماعية .

الإطار المنزلي أهم مجالات العمل التربوي للطفل :

وأشد هذه المجالات الثلاثة استعداداً للقبول، واستجابة للتوجيهات الواردة على الطفل هو الإطار المنزلي الذي يشرف عليه الوالدان، ويكون تأثير الوالدة فيه تأثيراً مباشراً وعميقاً، ويكون الإشراف في كل ذلك والفكرة التي يقوم عليها هذه التنشئة هو الوالد كافل الأسرة، والطفل في هذه المرحلة الأولى من حياته يكون كالطين المعجون يمكن صياغته في أي قالب من قوالب السيرة الفردية

www.abulhasanalinadwi.org

والاجتماعية بكل يسر ومهارة كالإناء الخزفي الـذي يصوغـه الخـزاف من الطين المعجون البليل، وإلى ذلك يشير قول رسـول اللهﷺ في شـأن صياغة الطفل الدينية " فأبواه يمجسانه، أو يهودانه، أو ينصرانه"[1]، ولذلك ورد في الحديث الشريف تأكيد كبير على الاهتمام بتربية الطفل الدينية وتعزيره وتعنيفه إذا تغافل عن أداء أوجب وأهم عمل ديني في الإسلام، وهو الصلاة، ولقد رؤي أن عادة الالتزام بـأداء الصـلاة الـتي ترسخ في الطفولة تبقى طيلة الحياة .

الطفل يكون أكبر انفتاحا وقبولا لكل وارد في طفولته :

إن طبيعة الطفل ونفسيته في مرحلته المنزلية أشد انفتاحا لكل ما يقع حوله و يصدر من والديه و أفـراد عائلتـه، فـهو يريـد أولا أن يفهم كل ما يراه ويسمعه، وهو يحاكي كل ما تأنس به نفسه ، فإنـه جديد في هذه الدنيا، يرى كل شيء حوله أول مرة في عمره، وتعجبـه هذه الدنيا بمناظرها و أحوالها، وهو يشاهدها و يطلـع عليـها تحـت رعايـة والديـه وإشـرافهما وعطفـهما يصغـي إلى حديثـهما وشـرحهما لأحوال حياته الجديـدة، ويسـتجيب لهمـا، ويتفـاعل مـع مـا يـأتي منهما، إنما يكون مثاله في استجابته لكل ذلك كمثال أول هوى يدخل في قلب الرجل العاشق كما ذكر الشاعر العربي :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصـادف قلبـا خاليـا فتمـــكنـا

فقلب الطفل الخالي يستجيب لكل ما يصادفه من مرئياتـه في

[1] – صحيح البخاري ، كتاب الجنائز رقم : ١٣٥٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

هذه المرحلة، وللتوجيهات الصادرة ممن ينظر إليه الطفل بنظرة الإكبار والمحبة، وهما أبواه بالدرجة الأولى حتى أن الطفل يرى قوة والده لأول مرة فيظن أنه أقوى الناس جميعاً، ويطلع على فهم والدته وبصيرتها فيظن أنها أعقل الناس، ولذلك يسمع لقولهما، ويطيعهما، ويؤمن بعقائدهما، وتصوراتهما للحياة، ولذلك يجب على الوالدين أن يقوما بتكوين قاعدة إنسانية للطفل، وتثبيت العقيدة الإسلامية في عقله وقلبه، وبتربيته على منهاج أقوم للسلوك والسيرة، فإن ما يبذره الوالدان من بذور العقيدة، وما يصبغانه من الصبغة الإنسانية يبقى ملازماً للطفل في جميع مراحل حياته، ولن يزول إلا بجهود أشد وأقوى ، وبطرق ذات مكر و دهاء أعظم، ثم إن الجهود المبذولة في المراحل المستقبلة من حياة الطفل لن تؤثر تأثيراً كبيراً في تغيير الأثر الأول ، وإحلال أثر مخالف لتشكيله الأساسي، وينطبق عليه قول الشاعر الكبير أبي تمام :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
مـــــا الحب إلا للحبيب الأول

وإنما يعتني أهل البصيرة والحزم بتربية الطفل و تشكيل شخصيته الإسلامية في هذه المرحلة من حياته، وفحينئذ يسير أبناءهم على الوطيرة التي يريدونها، إلا أن يخطئ أهل البصيرة هؤلاء في فهم نفسية الطفل و معرفة طبيعته، وحينئذ لا ينفع سعيهم، فإن العمل الذي لا تنفتح له عقلية الطفل ولا تتلاءم معه مدركاته الطبيعية لا يأتي بنتيجة مطلوبة، بل وقد تنقلب طبيعة الطفل ويتمرد ذهنه على

www.abulhasanalinadwi.org

هـذا التوجيـه، فـإن لم يتيسـر لـه إظـهار مخالفتـه في هـذه المرحلـة فسيحتفظ بذكريات ذلك لمستقبله ثم يتمرد على وطيرة و الديه عندمـا يخرج من سيطرتهما، ويأتي بعكس ما كان قد لقن في المرحلة المنزلية وتحت إشراف والديـه في الطفولـة، فلابـد مـن رعايـة نفسـية الطفـل البسيطة الصغيرة، ومخاطبة عقله الصغير البسيط الذي يستعصى عليه إدراك المعاني الدقيقة، والمفاهيم المبهمة، ولا يسـاعد فيـه إلا العطـف والإمالة، وقليل من الضغط حينما لا ينفع غـير الضغـط، يقـول شـاعر عربي:

قسا ليزدجروا و من يك حازماً
فليقس أحياناً على من يرحم

مكانة الأم في تربية الطفل:

وتحتل الأم من بـين الأبويـن مكـان الصـدارة في شـأن تربيـة الطفل وتنشئته على أخلاق تبقى مع الطفل عبر حياته، وهـي أعظـم من ينال الطفل منه العطف والحنـان، ويـرى منـها الاهتمـام براحتـه ورغباته، وهي أكثر من يحبه الطفل ويستجيب لتوجيهاتـها، ويقبـل بصماتها، ولقد رؤي أن عدداً من الشخصيات الكبيرة عندمـا تحدثـوا عن أهم مكونات شخصيتهم و اتجاهاتهم ذكروا ما تلقوه مـن أمهاتـهم في بدايات حياتهم.

وفي إحـدى الحكايـات أن شـاباً عوقـب علـى فسـاده وشـره بالإعدام فطلب قبل تنفيذ حكم الإعدام لقاء أمه، فلمـا جـاءت للقائـه عض على أذنها بأسنانه عضاً شديداً، وقال هذا جـزاء مسـامحتها في

www.abulhasanalinadwi.org

طفولتي عند سماعها لانحرافاتي التي ساقتني إلى هذا المقام .

وللأمهات مساهمة كبيرة في الاحتفاظ بأحوال المجتمع الثقافية أيضاً، فإنهن ربات البيوت التي ينشأ و ينمو فيها الجيل الذي يتسلم أزمة الحياة في المستقبل، ولقد روي عن بيوت الهندوس في الهند عبر ثمانية قرون من الحكم الإسلامي أن ربات هذه البيوت حافظت على لغتهن الهندوسية، وكن لا يكتبن إلا بها، فلما تسلم أصحاب هذه البيوت مقاليد الحكم، رجعت إليهم لغتهم الهندوسية حية لائقة بالاستخدام في شتى مجالات الحياة العامة .

و لقد أدت الأمهات المسلمات دوراً مشرقاً في التاريخ الإسلامي، فعندما ننظر إلى خلفيات شخصيات إسلامية كبيرة نجد في أكثرها أمهات ذوات عزائم وإيمان، ولقد سجل بذلك عدد من العظماء، كما نجد في مقدمة سيد قطب الشهيد في كتابه" التصوير الفني في القرآن".

ميول الطفل و أهواءه الطبيعية

يحب الطفل الحكايات التي تتحدث عن الأحداث الغريبة ويشوقه الاستماع إليها، فالأذكياء من الوالدين يستطيعون أن يستخدموا هذه الرغبة لبناء عقيدته الدينية، وتشكيل تصوراته الخلقية و السلوكية، وينفع في ذلك قصص الأنبياء والمجاهدين والغزاة والفاتحين والأولياء الصالحين والتركيز بصورة خاصة على الجوانب الإصلاحية من هذه الحكايات، ويحسن أن يتولى ذلك السيدات المسنات في البيت اللاتي يجتمع الأطفال حولهن قبيل نومهم في الليل

www.abulhasanalinadwi.org

ليملأوا فراغهم قبل نومهم ببعض الأحاديث الشائقة، وكذلك تعليم الأطفال آيات من القرآن الكريم، وطائفة مختصرة من الأدعية في أوقات فراغهم، وتخالطهم بأفراد أسرتهم الكبار، وينفع في ذلك التكرار والإعادة، وطريق السؤال و الجواب.

كما يجب على الوالدين أن لا يظهر منهما أمام أطفالهما شيء ينفرهم عن الأخلاق الحسنة، وينافي الحياء ومعاني الشرف، ومن ذلك المجون والرفث الذي هو مباح بين الوالدين كزوجين فيما بينهما، لأن عقلية الطفل لا تصل إلى أغوار الحقيقة، فإنها تقبل المفهوم الماجن مما يسمعه ويراه، بل وليعلم الأبوان أن عقلية طفلهما كورق ناشف ينطبع بالحبر البليل من الورق المكتوب، فإنها تقبل من والديهما كل ما يصدر أو يظهر منهما من قول، أو عمل كريمين أو سخيفين بذيئين.

وعلى الوالدين أن لا يتركا طفلهما يرى ويطلع على سخافة الآخرين وبذاءتهم، أو أحوالهم الفاسدة إلا بإيضاح من والديهما ان أصحاب هذه الأفعال ليسوا في درجة الأسوة والمثال، وأنهم ليسوا لائقين بأن ينظر إليهم بتقدير، أو تقليد، وذلك أمر لا يحصل للوالدين إلا إذا تكلفوا و اهتموا برعايته وتلقين أطفالهما بالجانب الحسن من الأمور.

وإذا بدرت من الطفل بادرة غير حسنة بتقليده لرجل أجنبي أو بانجذاب منه إلى خلق غير لائق مثل الكذب، أو الكلمة البذيئة، أو السرقة، أو فعلة قبيحة، فعلى الوالدين الإسراع إلى تنبيهه على ذلك، وبيان جانب السوء في ذلك، وضرورة اجتنابه للاحتفاظ

www.abulhasanalinadwi.org

بالكرامة والشرف والحياء والنبل، وعلى الوالدين في هذا الصدد أن يضربا بأمثلة من حياة السلف الصالحين .

وسائل جانبية لتصحيح مسار الطفل :

ومن الأمور التي تسترعي انتباهنا هو أن المدنية الحديثة قد طغت على المجتمعات المختلفة فأصبح أفرادها منصرفين إلى مهمات كثيرة من الحياة، فلم يعد لدى الوالدين فراغ للاهتمام بأطفالهما، وذلك لاشتغالهما بأعمال الاكتساب والوظائف، وتبكيرهما لها في الخروج من البيت، ولذلك يفوض كثير من الوالدين أطفالهما إلى المربيات أو يرسلونهم إلى روضات الأطفال، فعليهم في مثل هذا الحال اختيار أصلح المربيات، وأكثرهن التزاماً بالحياة المستقيمة والعقائد الصحيحة، وكذلك اختيار أصلح روضات للأطفال من ناحية اتجاهاتها، وميولها بأن تكون هيئة إدارتها صحيحة العقيدة، مستقيمة السيرة، حسنة الأخلاق .

الإطار المدرسي :

أما في الإطار المدرسي فتقع فيه التبعة على أصحاب المدارس والكليات من رجال التعليم، و لايبقى للمشرفين على الأولاد القاصدين إليها إلا اختيار أحسن هذه المدارس بقدر الإمكانيات الحاصلة لهم، و هنا تأتي أهمية العمل التعليمي بكل قوة، ولا يخفى على ذوي البصيرة من الناس ما لعملية التعليم من تأثير فعال في تشكيل المجتمع، وصياغته في قوالب معينة، فلقد استطاع رجال التعليم و واضعو السياسة التعليمية في عدد من المجتمعات والبلاد من

www.abulhasanalinadwi.org

تغيير الاتجاه العقلي، وصياغة التصورات والمشاعر عند ما سخروا وسيلة التعليم لهذا الغرض، ويقوى تمكنهم من ذلك عند ما تدخل عملية التنظيم التعليمي في اختصاصات الحكومات، فإن الحكومات تسخرها للمآرب التي تراها مناسبة لأهدافها .

ثلاثة أسس في العمل التعليمي :

والعمل التعليمي يقوم على ثلاثة أسس هي الطالب،والمعلم، والمنهج الدراسي، فإذا لم تستقم هذه الأسس الثلاثة كلها لا يكون الغرض المطلوب من العمل التعليمي كاملاً،فقيام المجتمع الإسلامي لا يمكن إلا بالاهتمام بصلاح هذه الأسس الثلاثة .

أ – أما الطالب فلابد من أن يراعى لنفسيته الخاصة بحداثة سنه، وهي بساطة عقليته واستعداده القوى لقبول كل ما يعرض عليه بالتبسيط والإيناس، فإنه يقبل ذلك ويهضمه بسرعة .

ب – وأما المعلّم فإنه يكون في نظر الطالب نسخة مشابهة لشخصية والديه فإنه يقدر له تقديراً كبيراً، ويعده لائقاً بالتقليد إلا أن يكون هناك أمر منفر عنه، فهو يحاكي أستاذه في أعماله، ويستجيب لآرائه وتصوراته ، فلابد من حسن سيرة المعلم ومحافظته على السلوك الرشيد أمام طلابه بوجه خاص .

ج – أما المنهج الدراسي فهو بمثابة النظام الغذائي لعقل الطالب، وبخاصة في مواد آداب اللغة والعلوم الاجتماعية، فلابد من وضع مقررات نظيفة من كل فساد وإضلال، واختيار منهج متلائم مع متطلبات المجتمع الإسلامي الرشيد، متلائم مع عقيدة المجتمع الذي

www.abulhasanalinadwi.org

ينتمى إليه الطالب، وهادف بناء لمستقبل أفضل .

إعطاء الطفل الحرية الفاعلة :

وهناك اتجاهات نظرية وعملية في التعليم قامت عليها حركات تعليمية في أوربا الحديثة، أكثرها أكدت على العناية الزائدة بالطفل ، وجعلته نقطة مركزية من بين أسس العملية التعليمية، وزادت من حريته و رعاية ميوله في التعليم مثل نظرة مون تيسري وغيرها .

وقد أسست على هذه الفكرة مدارس كثيرة، ولا يزال يؤسس الجديد منها، وهذه النظرية إذا لم تكن بمغالاة ومبالغة فلا تخلو من تأثير وفائدة في تعليم الطفل .

وأكثر الاتجاهات التعليمية التي ظهرت في أوربا الحديثة وعمت و غزت العالم الشرقي اتخذت الحرية أساساً لفلسفتها التعليمية، وغالبيتها لا تؤمن بسيادة الدين وإشرافه على الحياة، فهي تطلق أخلاقية الإنسان إطلاقاً كاملاً، أما الطالب المسلم فله هدف ومنهج راشدان .

أقسام المواد التعليمية للطالب المسلم وضرورة الجمع بين القديم والجديد :

أما المواد التعليمية بالنسبة للمسلمين فهي منقسمة إلى ثلاثة أقسام كبيرة منها قسم الطبيعة والعلوم المتفرعة منها والخاضعة لها، ومنها اللغات والآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وهي تلك العلوم التي تحمل أهمية كبيرة في تشكيل الشخصية الإنسانية، والقسم

www.abulhasanalinadwi.org

الأخير من هذه الأقسام هو قسم العلوم الدينية ،وتهذيب الأخلاق، أما الغرب فلا يؤمن من هذه الأقسام بالقسم الأخير .

كان التعليم في أقطار المسلمين قبل استيلاء أوربا على الشرق تعليماً وجدانياً ،وكان ذريعة للطالب للوصول إلى ما يتوخاه من الدنيا أو الدين في نطاق الحياة العلمية والاقتصادية والسياسية السائدة في عصره، وكان ينشأ فيه العلماء في مختلف مجالات العلم والحياة، ولكن الاستعمار الغربي جعل التعليم قاصراً فيما يتوخاه من الإزدهار في أمور الدنيا وحدها، و ترك ما يصل بالمجال الديني لمن لا يريد الدنيا والقوة فيها، أما الأوفياء للدين فأرادوا الاحتفاظ بالدين واهتموا بالتعليم الديني وما يتصل به من المواد الفكرية، وحصر كثير منهم جهودهم في هذا الجانب وحده ، فانقسم بذلك التعليم إلى دنيوي وديني، وذلك أضر كثيراً بمصالح الأمة العامة، وأخل في بناء نظام تعليمي متلائم مع آمال الأمة وأحلامها مع أن طائفة من زعماء المسلمين العظماء والأوفياء للحياة الدينية والأخلاقية يواصلون جهودهم في التعليم الأخلاقي و الديني مع التعليم المتلائم مع مصالح الحياة العامة ومعارفها .

و هذه القضية قضية الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع في التعليم من أهم قضايا المجتمع الإسلامي اليوم، ولقد بحث هذا الموضوع رجال ندوة العلماء في الهند، ولهم دراسات وآراء ذات أهمية كبيرة في هذا المجال، ولقد قاموا ببعض التجارب العلمية بوضع المناهج، وإدخال المواد النافعة من العلوم الاجتماعية، ومن اللغات

www.abulhasanalinadwi.org

والآداب فيها، وبوضع السياسة التعليمية الحكيمة في هذا الصدد وهو أمر مهم وهدف جليل لبناء المجتمع المتكامل اليوم .

على كل فإن نظم التعليم التعليمية تملك أهمية شديدة في مجال التربية و تهذيب المجتمع، وإن له لدوراً بارزاً، ولكن إذا روعى فيه بجوانب الحياة الرشيدة لمجتمع إسلامي متكامل .

الإطار الاجتماعي العام أو مجال الإعلام :

أما في الإطار العام فإن هناك أقساماً كثيرة يمكن تنظيم عمليات التربية فيها وأولها وأهمها الصحافة، فإنها بمثابة مدرسة شعبية عامة تحصل فيها دروس حرة للجمهور وهي تلعب دورها بكل تأثير تغذي الأذهان، وتمد الميول والاتجاهات بما يساعد في صياغتها صياغة معينة، وتوجهها وجهات مقصودة وغير مقصودة، و ربما يكون تأثيرها أكثر من تأثير المراكز التعليمية والتربوية، ثم إنها تصل إلى كل مكان في المجتمع، إنها تدخل البيوت والمقاهي ودور التعليم ومراكز الفكر والأدب، وهي تصبح في البلدان الراقية غذاء راتباً يحصل لقارئها مع فطور الصباح، فهو يتناول منها غذاءه الثقافي للفترة اليومية، بل وقد يكفي هذا الغذاء الثقافي لعدد من الأيام أو أكثر، ولقد تقدمت الصحافة وقوي نفوذها في العصر الحديث، وقد يبلغ أثرها إلى الحد الذي لا يبلغ إليه تأثير غيرها في بناء المجتمع أو صياغته صياغة جديدة، وهي تبني شرف قوم، وتهدم شرف آخرين، تزيد في نفوذ حكومة، وتسقط أخرى في نظر الجمهور، تناصر حزباً فتجعله عظيماً مهاباً في النفوس، وتهاجم حزباً آخر فتزيل بذلك عظمته في

www.abulhasanalinadwi.org

أذهان الناس .

وبلغ من تأثير الصحافة في البلدان الراقية إلى أنها أصبحت ذريعة لزيادة نفوذ أي شعبة من شعب الحياة، و وسيلة لإسقاطها وذهاب أثرها من البلاد، فأهل التجارة يستغلون منها، وأهل السياسة يلجأون إليها، وأهل الثقافة والفكر يستفيدون منها، إنها تعرض على الناس شؤونهم و أحوالهم كيفما تشاء وتريد، فلا يعرف الناس إلا ما يريد رجال الصحافة أن يعرفوه، ويجهل الناس ما تخفيه عن أبصارهم .

والحكومات تحكم سيطرتها على نظم البلاد عن طريق الصحافة، وتسخرها حسب سياستها ومصالحها، وبذلك تخدم الصحافة أهداف الحكومة كذلك، وتصبح في بعض الأحيان أداة تأثير للحزب الحاكم لتشكيل آراء الشعب و ميوله واتجاهاته، وتكسب بذلك الحكومات وأحزابها الحاكمة نفوذاً وتأثيراً في اتجاهات شعوبها وأفكارها، فإنها إذا أرادت بناء طبيعة الخير والاستقامة في شعوبها فهي تستطيع ذلك عن طريق الصحافة بتسخيرها لصياغة المجتمع صياغة صالحة كريمة .

وأما حكومات المسلمين فهي أيضاً تستطيع أن تلعب دورها نحو صياغة مجتمعات بلادهم صياغة إسلامية طيبة وفقاً للتعليمات الحاصلة من مصدري الشريعة الإسلامية الغراء الكتاب والسنة النبوية– على صاحبها الصلاة والسلام – بكل قدرة و جدارة .

و ليست عملية صياغة المجتمعات الإسلامية صياغة إسلامية

www.abulhasanalinadwi.org

عملاً رجعياً بالمعنى السلبي الذي يتهم به الملحدون المعارضون للدين دعوة الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية، فإن تحكيم الشريعة الإسلامية في نظر الداعين إليه هو تقويم المجتمع الإسلامي وترشيده لتنظيم حياة فاضلة لتقوم به مدنية راشدة، وذلك لصالح البلاد والعباد، ينال بها المؤمنون صلاح دينهم ودنياهم، أما غير المسلمين فينالون بها صلاح دنياهم الذي يتوخونه و يطلبونه .

ولم تبق الصحافة الأداة المؤثرة الوحيدة للإعلام، بل بدأت ترافقها أداة إعلامية قوية أخرى، وهي الإذاعة والتلفاز، فإن أولاهما تقصر عملها بالأسماع، وتعمل أخراهما في مجال السمع والبصر كليهما، وتحملان كلاهما تأثيراً على تصورات الناس وأذهانهم لا يقل عن تأثير الصحافة، بل وقد تزيد عليه زيادة بينة، وبخاصة التلفاز وهي الإذاعة المرئية، فإنها تترك أثراً عاطفياً و وجدانياً كبيراً على النفوس، وتزلزل بذلك التصورات الثابتة والميول الراسخة في الأذهان والقلوب، وتنزل في محلها تصورات وميولاً جديدة

وتوسع عمل الذريعة الإعلامية المرئية عن طريق التسجيلات المرئية بانتشار الفيديو في الناس، وأصبح في استطاعة الناس أن ما يريدونه بحرية عن قيود البرامج المنظمة، من البرامج المختلفة مما تهيئ لهواً مباحاً أو غير مباح، وتحمل بذوراً من ثقافة ماجنة، وتصورات منحرفة، وميول فاسدة، وهي تعمل عملها في جمهور الناس بعيدة بعض البعد عن أنظار المراقبين، وفي غفلة أوغير غفلة من أولياء الحكم و النظام في البلاد.

www.abulhasanalinadwi.org

ولقد ثبت للناس خطر هذه البرامج الحرة لمعنويات الشعوب لا لالتزاماتها الدينية و الأخلاقية وحدها، بل لصالحها العلمية والاجتماعية كذلك، فإن الشباب والشيوخ حينما يشتغلون بمشاهدة التلفاز والفيديو يتغافلون حتى عن مسئولياتهم و واجباتهم الأساسية، فينصرف الطالب عن تذكير درسه والإعداد لغده، و راعي البيت ينصرف عن أداء واجبات منزله و أسرته، فيشغل فراغ في جانب مهم من الحياة، و يملأ فراغ لم يكن فراغاً في الحقيقة، هذا بالإضافة إلى ما تقوم به مثل هذه البرامج من هدم الأخلاق، وهتك القيم والأعراف، وإهدار الشرف والكرامات، وتشويش التصورات، ومن المؤسف أن الحكومات تتهاون في صد هذا الخطر مع أنها تستطيع أن تقوم بتنظيم ذلك تنظيماً صحيحاً فتستفيد منها في بناء المجتمع بناءاً سليماً تصبح به هذه الوسيلة المؤثرة من وسائل النفع والبناء والإصلاح والترشيد، لا معولاً هداماً لمعنوية الجماهير.

المجامع العلمية والأدبية ودور النشر والمساجد:

ومن وسائل تشكيل المجتمع الإسلامي تشكيلاً لائقاً وتربية أبنائه الفكرية والأدبية هي المجامع الأدبية والعلمية ومؤسسات النشر، فإنها تؤدي دوراً مهماً في مجال بناء المجتمع، وأداة هذا العمل هي المؤلفات والمنشورات، وأوسعها تأثيراً ونفوذاً هي المطبوعات الأدبية و الثقافية، فإن عملها يماثل عمل الصحافة، فهي تعم في الجمهور بعد صدورها من المطابع، وتنشر وتنال قبولاً ورواجاً كبيراً، وتبني تصورات الناس وتصبغها بصبغة معينة مقصودة.

www.abulhasanalinadwi.org

كما أن المكتبات العامة تفعل فعلها في النفوس،فروادها ينالون فيها ضالتهم و مطلوبهم، ويعكفون عليها يستلهمون منها تصورات معينة، وينصبغون بها انصباغاً .

وبجنب كل ذلك بل من صميم العمل البنائي للمجتمع يأتي دور المساجد و الحفلات الدينية، فإنها تقوم بتربية النفوس والأذهان في إطاراتها، وتربط جانباً كبيراً من جمهور الشعب بالثقافة الإسلامية الملتزمة، وتغذيهم بالأفكار الدينية، وتقيم الصلة بينهم وبين قادتهم و زعماءهم المؤمنين وهم يقومون بتوجيههم الوجهة التي يرونها لائقة بهم كأبناء الدين الإسلامي .

هذه إشارات إلى الأخطار التي تحدق بالمجتمع الإسلامي في العصر الحديث، وإن من الميسور إلى حد ما لزعماء المسلمين وقادة الفكر الإسلامي العاملين في المجال الاجتماعي أن يقوموا ضد هذه الأخطار بطرق حكيمة، وباستخدام وسائل الإعلام وتوجيهها وجهة صحيحة لبناء المجتمع الإسلامي الفاضل، ولكن استخدام هذه الوسائل وتسخيرها تسخيراً كاملاً لا يتيسر إلا للحكومات التي يديرها المسلمون، وإن لم تكن هناك حكومات للمسلمين، فتقع المسئولية في ذلك كاملة على كواهل القادة والزعماء الذين يتقدمون لخدمة الأمة الإسلامية و تربية أفرادها و دعوتهم إلى الفضيلة والصلاح والخير، وإلى إنشاء مجتمع إسلامي فاضل .

التأثيرات الأجنبية المعادية وضرورة مقاومتها وعلاجها :

وهناك قضية مهمة أخرى يجب الاعتناء بها أيضاً، وهي

www.abulhasanalinadwi.org

ضرورة رد الهجمات الشرسة التي يقوم بها أعداء الإسلام ضد النهضة الإسلامية .

فلقد تعاون أعداء الإسلام والقوى الاستعمارية والتبشيرية لتحريف مجتمعات الأمة الإسلامية عن جادتها الفاضلة، و إذابة معنوياتها الإسلامية، وتسريب أفكار وتصورات معارضة للتصورات الإسلامية الصحيحة، وقد نجحت القوى المادية في هذه الجهود إلى حد كبير، فجعلت أجزاء الأمة الإسلامية متفرقة ومتعصبة لوحداتها المحلية، وأثارت فيها المخاصمات والمشاحنات، وفرقتها إلى مذاهب وفلسفات مختلفة، كما استخدمت للتأثير عليهم وتشويش فكرهم الإسلامي، وتحريف عقيدتهم الصافية طرق التربية والإعلام، ووسائل التأثير المختلفة من المناهج التعليمية، والصحافة، والإذاعة، ومؤثرات الفكر والأدب والثقافة الحديثة الخلابة، وهي لا تزال تخضع إلى حد ما للتوجيه الغربي المستحر بحكم صلتها السابقة بالحكم الغربي الأجنبي في هذه البلاد .

من ناحية المناهج الدراسية :

وأعظم هذه المؤثرات خطورة وتأثيراً هي المناهج التعليمية والتربوية، فإن الطالب المسلم يواجه معلمين ومعلمات من أهل الكفر، ومن المسلمين الذين تربوا في أحضان الأعداء وخصوم الإسلام، أو الكارهين للدين بسبب نشأتهم أو دراستهم في بيئات حاقدة للإسلام من مستشرقين ومبشرين ومتسترين بالعلم والبحث والدراسة يواجههم الطالب المسلم، ويستفيد في خلال مرحلته الدراسية الابتدائية أو

www.abulhasanalinadwi.org

المرحلة الثانوية أو في مرحلة العالية والعليا، وينتقل إليه منهم شك في كثير من مسلماته العقائدية بصورة بطيئة مستمرة .

فلابد إذن من تطهير أذهان طلابنا من الأثر الذي تتركه محاضرات هؤلاء المعلمين، فإذا كنا لا نستطيع استبدال معلمين أوفياء لدينهم الإسلامي بالمعلمين الخصوم، فلا أقل من أن ينتبه الآباء للخطر و ينظموا دروساً منزلية تناول ما مس أذهان أبناءهم من دنس وتغسله، وأن يتعاون المفكرون الإسلاميون مع الآباء في إعداد كتب تبحث في موضوعات يسئ عرضها أعداء الإسلام و تتناولها بعرض الموضوع عرضاً شافياً وافياً .

البحوث العلمية والمناهج الدراسية :

وأما الإساءة إلى شرف الإسلام وحقائقه من أعداء الإسلام وتلاميذهم الأوفياء لهم فإنما يأتي في موضوعات مختلفة، ومن أخصها التاريخ والسيرة والجوانب من العقيدة الإسلامية، ويأتي منهم التشويه لوجه الإسلام بين خلال إنتاجهم الفكري، حول الحياة الإسلامية والمشرقية، وكما أنهم يتخذون لذلك ذريعة من براعتهم في اللغة، والآداب، فيجب التنبه على ذلك والاعتناء بالعلاج، وأنسب وأوفق طريق لذلك هو استعراض ما كتبه ويكتبه المفكرون والباحثون الغربيون عن الإسلام والمسلمين، وتحديد مواضع الخطأ والتشويه وتصنيفها صنفين صنف يدخل في التشويه المتعمد لغرض تحريف وجه الإسلام والمسلمين، وصنف يدخل في قصور الدراسة وعدم المبالاة منهم، ثم يجب معالجة كلا الصنفين بما يليق بكل واحد منهما بالنقد والرد

www.abulhasanalinadwi.org

والإيضاح، كما يجب إعداد كتب قوية الأسلوب في مختلف اللغات الراقية تحمل عرض التاريخ الإسلامي والدين الإسلامي في أسلوب شيق مقنع .

و موضع آخر يأتي منه الخطر أيضاً هي المناهج الدراسية واختيار المقررات التي لا تنسجم مع العقيدة والأخلاق الإسلامية، فإنها تمهد أيضاً لتحقير قيم إسلامية وتبجيل قيم أجنبية بدلاً منها، وهي تكون مجالاً كبيراً لتفخيم جوانب مغايرة، وتحقير جوانب الحياة الإسلامية ذات الصلة بالمعتقدات والتصورات التي لا يجوز للطالب المسلم التنازل عنها.

وإن هناك مؤامرة محبوكة ومدبرة منسقة للقضاء على القيم الإسلامية بتغيير رؤية الشباب إلى هذه القيم بنظرات من الشك والاستهانة، وإن قوى الفكر والتربية الغربية تخطط لهذا التغيير تخطيطاً أدبياً وفكرياً عاقلاً يستهدف أهل فكرها الشباب الإسلامي والناشئة الفجة في عقليتها، ويلقون في أذهانها رؤية مغايرة بل معادية للنظرة الإسلامية نحو الكون والإنسان والحياة، وذلك بوضع مناهج تعليمية ومقررات دراسية تزرع في نفوس قراءها التقدير والإعجاب بالفكر الإباحي الغربي،واستهانة الفكر الإسلامي النزيه الملتزم، فلا بد من احتساب هذا الخطر، وذلك يمكن باستعراض المكائد الخطيرة في هذا الصدد، و وضع مناهج سليمة نزيهة لشبابنا المسلم .

ومسئولية هذا الأمر تقع على كواهل واضعي المناهج من أبناء الإسلام، وعلى مؤلفي كتب المقررات منهم، وذلك لأن أشد ما يعاني

www.abulhasanalinadwi.org

من هذا الفساد هم المسلمون القاطنون في دول الكفر، وقد يعاني منه أبناء الدول الإسلامية أيضاً، وهي البلدان التي لم تتحرر فيها المناهج الدراسية من لوثات فكر أعداء الإسلام ومخالفيه حيث لم يحصل للمسلمين فيها الاكتفاء الذاتي في كل مجال من مجالات التعليم .

على كل فإنما يجب في هذه الأوضاع على المسلمين، وعلى حكومتهم الإسراع إلى استبدال مناهج تعليمية نظيفة بالمناهج التعليمية التي لا تنسجم مع تصوراتنا الصالحة، ولابد من النظر الفاحص الدقيق في مثل هذه الأمور لأن الإساءة قد تكون خفية في تجاعيد البحث العلمي .

أما في بلدان الكفر فلا يمكن استبدال المناهج بمناهج، ولكنه يمكن أن تنظم دروس جانبية بجنب الدروس النظامية للمدارس والكليات، يقوم بتعليمها خارج نظام التعليم ساعة أو ساعتين مسلمون ملتزمون خارج أوقات نظامهم الوظيفي على غرار المدارس التعليمية، أو على غرار دروس منزلية يتلقاها الطالب في منزله لتدعيم ما درسه في المدرسة وتذكيره .

فربما يكون هذا النظام الجانبي صعباً ومثقلاً، ولكن القضية مهمة لا تسمح بالتغافل عنها، أو التهاون فيها، وإلا كان الجزاء عليها مروق الجيل الجديد من معتقداته الدينية وتصورات أسرته وأسلافه، ويكون ذلك بمثابة قتل الجيل الجديد عقلياً إذا لم يكن قتله جسدياً .

www.abulhasanalinadwi.org

البحث والنشر و التوزيع :

وكذلك يجب الاهتمام باستخدام وسيلة البحث والنشر والتوزيع لصيانة الأذهان من الغزو المعادي، وتدعيم الفكرة الإسلامية، ولا يجوز أن يترك الأجانب أو المخالفون أحرار يتناولون الموضوعات الإسلامية من مصادرها الحقيقية، ثم يصوغونها صياغات بعيدة عن أصالتها وقيمها بأساليب جديدة رائعة، وبإخراج جميل، ثم يعرضونها على أبناء الإسلام فلا يطلع قراءها على الوجه الإسلامي الصحيح، ومن المؤسف جدا أن مكتبات أوربا و البلدان الكافرة، بل ومكتبات كثير من البلدان الإسلامية أيضا امتلأت بمثل هذه الكتب حتى أن الدارس المسلم لا يجد لحاجته العلمية في أساليب علمية رائعة إلا هذه الكتب فتتغير تصوراته الإسلامية من حيث لا يشعر، وبذلك يغزونا العدو في عقر دارنا والعياذ بالله، فالمسئولية تقع علينا من ناحتين ناحية تقديم معرفة صالحة نظيفة، وناحية إزالة الأثر الفاسد الخبيث ، ليقوم مجتمعنا الإسلامي مجتمعا فاضلا نزيها، ويكون للآخرين نموذجا حسنا لائقا للاختيار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

www.abulhasanalinadwi.org

بناء الشخصية أولا

إن أهم حاجة في حياتنا الشرقية، وأعظم شيء يستحق العناية منا، ومن حكوماتنا هو تكوين الأفراد تكوينا صالحا، تكوينا يتفق مع ضرورات الأمة وأهدافها في الحياة، بل ويكون متفقا مع المثل التي عرفت بها الأمة، ومع رسالتها التي كانت خرجت حاملة إياها في العالم، وتعينت بها مكانتها من بين الأمم والأفراد، وإذا لم يكن ذلك في مستطاع الأمة أو في مطامحها فلا أقل من أن تجعل تكوين أفرادها على مستوى المعيشة الذي يريدون لأنفسهم، ويرونه متفقا مع مكانتهم في مضمار الحياة وشرفها، كما فعلت أوربا، حتى تخرج الأمة من مدرستها في الحياة كأمة يكون أبناءها جديرين بالقيام بمسئولياتهم و واجباتهم تحت قانون الحياة الفردية والاجتماعية، وإن كان ذلك بصورة مصغرة ونطاق قصير، وأن يكونوا حاملين لأخلاق تجدر بمستواهم ومكانتهم العقلية بين الآخرين، وتتفق مع الأهداف الاجتماعية التي هم بصددها .

فلا تكون فيهم فوضى فكرية كما توجد اليوم في الأمم الشرقية

www.abulhasanalinadwi.org

المختلفة ، لأن ذلك يفقد الأمة من اتزانها وجديتها في مجالات العمل الاجتماعي والفردي، ولا يكون فيهم الكسل والإهمال في أداء الواجبات والمسئوليات نحو الأفراد والجماعة، فإن ذلك لا يزيد الأمة إلا في التخلف والهوان، وتجعل الجانب الأكبر من فرص العمل ضائعة خاسرة، ولا يكون فيهم الجهل لأن العلم أصبح اليوم أساس كل تقدم و ازدهار، وإن فقدانه فقدان خير كثير من خيرات الحياة في كل المجالات .

إن بناء الشخصية على الأسس الفردية والجماعية من أهم متطلبات الحياة في الأمم الشرقية اليوم، وإنما الإهمال في الحصول على ذلك إهمال ذو نتائج وخيمة جداً، ولا يمكن سد الخلل في ذلك بإعدادات سطحية مزخرفة، وبالتظاهر بألوان الحضارة الأوربية الزاهية التي بدأت تطغى منذ أيام على شعوب البلاد الشرقية ، وكلما تقدم الزمان ازداد أخذ هذه الأمم بهذه المظاهر الخلابة دون التقدم إلى أخذ اللباب المفيد المطلوب .

إن الشعوب الشرقية تريد أن تقلد أوربا الحاضرة لأنها تجدها راقية وقوية ، ولكنها لا ترى رقي أوربا وقوتها حاصلين إلا من الألوان الزاهية التي تتجلى من مظاهر مدنيتها وحضارتها وذلك فهم خاطئ جداً ، ومؤسس على الغباوة والجهل وإذا لم يكن منها ذلك فمن الحماقة إذن أن لا تقبل الشعوب الشرقية إلا على المظاهر والصور فحسب من حياة أوربا اليوم، أما الأخذ بأسباب الرقي والقوة الحقيقية فلا تنال من قادة الشعوب الشرقية و زعماءها إلا الإهمال والتعامي،

www.abulhasanalinadwi.org

وإن أقبلوا على شيء منها فبكل سخافة وبصورة غير جادة .

لم تصل أوربا إلى ما وصلت إليه من قوة وتقدم إلا بتجنيد طاقاتها المادية والأدبية كلها في سبيل غايتها من القوة والتقدم، لقد صاغت في طريق ذلك قوى أفرادها وميولهم في بوتقة الأهداف التي تنشدها وتريدها ، فنرى أن مدارسها وجمعياتها والدوائر الشعبية والحكومية كلها في هذه البلاد الراقية من العالم تهتم بالمحافظة على روح الجدية والنظام والعمل وتسيير عجلة الحياة حسب متطلبات الهدف ، وتقوم الحكومة بنظمها الإعلانية والتعليمية بصوغ أفراد الشعب في المصاغ المطلوب، وتحرز بذلك كثيراً من النجاح .

لا شك أننا لا نستطيع أن نقلد أوربا في كل جوانب نظامها وأعمالها، ولا شك أن طريقنا يكون مختلفاً عن طريقها بشيء قليل أو كثير، فمثلنا غير مثلهم، وأصول شخصيتنا غير الأصول التي تنبثق منها شخصيتهم، ولكن الذي يجب أن نراه بعين الاعتبار هو عملهم المضني، وتعاونهم المخلص للوصول إلى الهدف،وتجنيدهم لطاقاتهم في سبيل بناء صرحهم الأدبي والحضاري، وتنقية الجو من كل ما يعوق السير نحو ذلك، أو يعرقل التيار في هذا المجال .

لا شك أن أوربا متقدمة متفوقة اليوم على الأمم الشرقية، ولكن تفوقها ليس آتياً أبداً من أن أفرادها تتكلمون بلغات فلانية أو غير فلانية، وليس آتيا كذلك من أن أفرادها يلبسون من الملابس ويتزيون من الأزياء الفلانية أو غير الفلانية، ولا من أن صلتهم بخالقهم متحررة من كل مبدء أو انقياد، ولا من أنهم صبغوا حياتهم

www.abulhasanalinadwi.org

الخلقية بالصبغة اللادينية الخالصة، لا بل إنما تفوقت أوربا على أمم الأرض الأخرى باهتمامها بتشكيل الحياة المادية على أسس متينة ثابتة وتقييدها بقيود بناءة سليمة، وجندت طاقاتها في استغلال قواها ومواهبها الدنيوية في أعمال البناء، وفي سبيل التقدم، وكسب وسائل القوة والانتصار.

إن أول ما يفتقر المجتمع الإسلامي إليه في بناء كيانه القوي اليوم هو تثبيت أسس شخصيته الإسلامية وتحديد معالمها، ثم مواجهة حقائق الحياة، وتحديات العهد السائد بصرامة وشهامة، وذلك لا يحصل له أبداً بمجرد التقليد لمجتمع أقوى منه مادة وثروة، ومحاكاته في مسالك الحياة وأساليبها، بل إنما يحصل باستغلال مؤهلاته الشخصية، وطاقاته أولاً، وبمعرفة الأسس الأصيلة لأخلاقه وعاداته، ثم بتجنيد هذه المؤهلات للوصول إلى مركز العزة والقوة بين المجتمعات الأخرى، مع المحافظة على أسس شخصيته البناءة النافعة، وحينذاك ينفعه أن يلجأ في بعض جوانب حياته الفرعية والذرائع المفيدة لها إلى التقليد والاقتباس من مجتمع أقوى منه، أو من مثيله في القوة، فإن التقليد والاقتباس في مثل هذه المرحلة إنما يكونان قوة على قوة، ومدداً لنجاح الجهود التي هو بصددها، لا قبل هذه المرحلة وبدونها.

أما إذا تجردت جوانب الحياة و مجالاتها التي تبذل الجهود فيها من أصالة الخصائص الذاتية، وفقدت كل ما يحدد ملامح الشخصية ومعالمها و يطغى عليها كل نوع من التقليد والتبعية

www.abulhasanalinadwi.org

والاقتباس فلا تصبح الحياة إذن إلا كمجرد الظل .

ولانرى الشعوب الشرقية عامة والشعوب الإسلامية خاصة، إلا وتحتل اليوم في مجالات الحياة الإنسانية الراهنة مكان هذا الظل بعينه، وما دامت لا تخرج هذه الشعوب الإسلامية التي لها تاريخ في المجد والعزة والقوة من التبعية للأجانب الذين لا تجمعهم بهذه الشعوب وحدة في المثل والآمال والأسس الأخلاقية، وما دامت لا تهتم بتأسيس حياتها على قواعد ذاتها السليمة الأصيلة، فلا يمكن أن تخرج من حالة الهوان الذي هي فيه ولا من حالة التبعية، وظل الشعوب القوية الغنية، ومن احتياجها المستمر إلى التكفف أمامها والعيش على فتات موائدها بذلة وتبعية و هوان .

فماذا على هذه الشعوب الإسلامية لو عرفت قيمتها الذاتية، فإن كثيراً من شعوب العالم اليوم تهتم بالبحث عن أسس شخصياتها الذاتية، وتريد أن تأوي إليها، وماذا على الشعوب الإسلامية لو اهتمت بتزيين شخصيتها بمحاسن الكفاءة الذاتية، وتلقي نفسها على مسالك العمل المضني والجد اللائق بشخصيتها، وأن ترفع نفسها إلى المستوى المعروف عنها في تاريخها السابق الطويل.

لا شك أن الوصول إلىغاية من ذلك يفتقر إلى صبر وشظف، وإلى سهر وتعب وقد تمر الأمة أثناءها من خلال جوّ من الخمول والانزواء، ولكن لا بأس في ذلك ما دام هذا الخمول سيتحول عن قريب إلى الظهور، ويتحول هذا الانزواء إلى الشهرة والصيت مع حصول عزة وقوة، ونيل مآرب عظيمة من الحياة، كما قرأنا عن

www.abulhasanalinadwi.org

أسلافنا العظماء، و وجدنـا في تاريخـهم، فقد ربطوا مصادر قوتـهم وعبقريتهم بقوة أسمى من قوة الإنسان، وتمكسـوا في حياتـهم بأصالـة شخصيتهم النابعة منها، وصبروا على شدائد الكفاح، وعيش الشظف والتعب في ذلك حتى برزوا إلى منصة الظهور والقوة، كما تظهر أقـوى أمة في التاريخ الإنساني الطويل، وكما يخرج الذهب من أتـون النـار إبريزاً خالصاً أو فولاداً صلبـاً لا يشـترى بثمـن بخـس، ولا يفـل مـن حديد عادي، فدان لهم العالم، وخضع لعظمتهم، فكان القول قولهم، والحكم حكمهم، والسلطان سلطانهم والمهابة مهابتهم، ولهم في كتاب التاريخ الإنساني صفحات ذهبية مشرقة .

وهذه هي النتيجة الحتمية لحياة الصرامة والأصالـة والعمـل، لا لأخلاق التقليد و التبعية والميوعة التي ابتليت بها الأمة الإسـلامية منذ زمن مع الأسـف فزالـت عنـها سماتـها العظيمـة، وزالـت عنـها حالتها العملاقة، وأصبحت في وضع يتكرر فيـه لهـا الإخفـاق والذلـة والانخذال، ولا تعرف فيه من مجدها السابق إلا عبارات تتلـى وتقـرأ ككتاب، لا توجيهات وقانوناً يتبع وينفذ فيؤتي ثماره في الحياة .

www.abulhasanalinadwi.org

حاجة العالم الإسلامي إلى الشعور بالذاتية والعمل لإثباتها

العالم الإسلامي اليوم بحاجة إلى أن يكون مخلصاً لقضاياه، ساهراً على مصالحه الحقيقية، وتقع المسئولية في ذلك على قادته أكثر من غيرهم، سواء كانوا حكاماً، أو كانوا زعماء الشعب .

فإن الإخلاص والسهر على المصالح المشتركة ضمان للنجاح، وليست هذه الأسلحة الراقية، ولا الوسائل المتوفرة، فإن الأسلحة والوسائل المادية لا تعمل بنفسها، بل إنما تحركها وتستعملها الأيدي الإنسانية، والعقول البشرية، وهذه الأيدي والعقول لا تتحرك للخير، ولا تعمل بدون الإخلاص واليقظة، وهذا الإخلاص، واليقظة كلما وجدا في تاريخنا جاءا بأحسن العواقب، ولم يحل في طريقهما لا قلة العدد ولا قلة السلاح .

وتاريخ الإسلام حافل بأمثلة رائعة غلبت فيها القلة على الكثرة، وانتصر المغلوب على الغالب، ونزع حقه منه، فلو أن

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين الأوائل خافوا من قلتهم أمام عدوهم، ومن زهادة أسلحتهم بالنسبة إلى أسلحة أعداءهم لما خرجوا من أماكنهم وموطنهم، ولما كنا حيث نحن الآن .

لا نقول بلساننا إن تغيير الواقع المر ليس في وسعنا، ولكن علمنا يقول ذلك، أما الكلام بغير العمل فنحن أبطال لميدانه، ونستطيع أن نستعمله في كل معركة، بل إنما نكثر من استعماله سواء كان المجال هي الحفلات العامة، أو كان صفحات القرطاس، أو كان هي المؤتمرات، وأصبحت المؤتمرات هو الميدان المفضل لعملنا، والقرارات و البيانات هي أسهل ما يمكننا أن نبذله في هذا الميدان .

تعلمنا من أوربا عقد المؤتمرات، وإصدار القرارات، ولكننا لم نتعلم منها الاستفادة العملية من نتائج للمؤتمرات، والتطبيق للقرارات الصادرة منها، فتبقى قضايانا غير محلولة، ولا نزيد نحوها إلا أننا نعقد المؤتمرات، ونصدر قرارات، ونعلن بإدانات مرات ومرات، وبذلك نبقى في طريق لا نهاية له، إن القرارات والبيانات التي حصلت من مؤتمراتنا لو جمعت أوراقها في مكان لشكلت جبلاً من الجبال .

ماذا أفادنا هذا الجبل من القرارات والبيانات، هل انتزعنا به أراضينا المسلوبة في فلسطين، ليس الاستعمار باقياً فحسب في أراضينا، بل وقويت سيطرته على مقومات حياتنا وطاقاتنا أكثر من ذي قبل، ولقد كان الاستعمار في السابق من العنصرين الإنجليزي والفرنسي، ومن العنصر الروسي، أما الآن فهو إضافة إلى ذلك أصبح

www.abulhasanalinadwi.org

تحت العنصر الأمريكي، أو تحت وصايته، وكانت دولة إسرائيل في العهد الأسبق حلماً مقيتاً، فصارت اليوم حقيقة، وكانت رقعة غير معترفة بها ودخيلة، فصارت اليوم معترفاً بها ومؤثرة الأراضي الفلسطينية كلها خضراءها وصحرائها، ونحن نعقد مؤتمرات، ونصدر قرارات، ولا نتعب من ذلك .

لو أن القرارات والمؤتمرات كانت تنفعنا كما تنفع الأمم الغربية لكانت نعمة أي نعمة، فإنها طريق التخطيط للعمل، وطريق البحث فيما يحسن أو لا يحسن، ولكننا مغرمون بالكلام، ونجد فيه المتعة، ونطرب له، ونبذل جلستنا في التصفيق له، وذلك يمتص حرارة قلوبنا، ويجمد شرارة عاطفتنا، فيبقى الأمر كما كان، ويتقدم عدونا خطوة جديدة إلى الأمام .

لقد اتخم المسلمون من الكلام، وتبين لهم عدم جدواه، بل ظهر لهم ضرره لأنه يمتص رغبتهم للعمل، ثم يتركهم للنوم .

لقد آن الأوان بعد الخسران الطويل والنكسات المتتابعة أن نعود إلى الحقيقة المرة، فنعد أنفسنا للعمل، ونتحلى بالإخلاص لكرامتنا، ولمصالحنا، ولصالح بلادنا، وشعوبنا، وأن نكون ساهرين على الأخطار المحدقة بنا، وعلى المكائد التي تحاك ضدنا، فقد استهدف الاستعمار الغربي بلادنا منذ قرنين، وأصبنا بفتنه وشروره في حرية أوطاننا أولاً، وفي قيمنا وأقدارنا ثانياً، أو في نظراتنا وأفكارنا ثالثاً، حتى أصبحنا اليوم خدماً و أتباعاً في ركبه الحضاري السائر، نسير في موكبه، ونأكل من فتات مائدته، ونفتح له باب الاستفادة من

www.abulhasanalinadwi.org

الثروات التي نملكها على مصراعيه .

لقد كنا نرى الرجل الأبيض في السابق في أوطاننا دخيلاً ومكروهاً، لأن العمل الاستعماري منه كان صريحاً، ولكنه صار الآن صديقاً لنا محبوباً، لأنه عرف كيف يخدعنا بالمصطلحات، وبالمجاملة والكلام، وكيف يسحرنا بمظاهر المدنية والنظام، فهو متظاهر بالمجاملة ويمتعنا بكلامه، وبمظاهر مدنيته، وينتزع منا ثروات بلادنا، ويرزأنا في كرامتنا، لقد طال على بلادنا هذا الوضع، وتواصل حتى لم يعد خطبا، لا على العالم، ولا على الجاهل، ولا على الزعيم، ولا على الرجل العادي، ولكننا لا نملك له شعوراً يأخذ بيدنا إلى معالجة الوضع، وذلك لأن الدافع النفسي إلى ذلك مفقود وهو الإخلاص، والسهر على المصالح، فمتى يأتي أوانه يا ترى !!!؟

www.abulhasanalinadwi.org

الوحدة والانسجام

إن العالم الإسلامي كيان يتركب من أجزاء مختلفة في طبيعة بلدانه و أقطاره وأمزجة أبنائه وشعوبه، وفي الثقافات واللغات التي تسود في أطرافه، ولكن بقيت هذه الأجزاء كلها في أدوار تاريخها الإسلامي مترابطة فيما بينها، متعاونة في فهم مشكلاتها، والاهتمام بقضاياها، وقد كان ذلك اتباعاً للإرشاد النبوي الجليل والروح الأخوية الكريمة التي أوجدها في المسلمين نبيهم العظيم ﷺ بقوله : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"[١]، و"المسلمون كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٢]، وكان من أثر ذلك أن قضايا المسلمين كان يهتم بها في أدوارهم المختلفة بروح التعاون والاشتراك، وكانت تكسب من كل الأجناس و الألوان من العالم الإسلامي التأييد والانتصار، وقع ذلك في كثير من القضايا

[١] – صحيح البخاري رقم: ٦٠٢٦ ، ٢٤٤٦ وصحيح مسلم رقم : ٢٥٨٥ .
[٢] – صحيح البخاري رقم : ٦٠١١ ومسلم رقم : ٢٥٨٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامية سواء كانت صغيرة في ضخامتها، أو كانت كبيرة، وسواء كانت محدودة في جانب واحد من بين الجوانب الكثيرة، أو كانت واسعة اتساع قضية عالمية كبيرة، وبه عدت الأمة الإسلامية في تاريخها السابق أمة مهيبة مرهوبة، ولكن هذه الهيبة والرهبة أصبحت في زمنها الأخير تخف وتضعف، وأصبحت الأمة الإسلامية تتحول من الشوكة إلى الهوان، ومن معالي العزة إلى منازل الاستكانة، ولم يكن كل ذلك إلا لفقدان الأمة الإسلامية أساس مهابتها، وشوكتها العظيم ، وهي تلك الرابطة الإسلامية القوية التي دامت تجمع أجزاء الأمة الإسلامية في إطار واحد، وتحت آصرة أخوية واحدة .

لم يكن هذا الجمع والتوحيد سهلاً على الأمة الإسلامية إلا بتشبثها بالإيمان بالله والخضوع للأوامر التي أتى بها رسول الله ﷺ فقد قال القرآن: ﴿ **وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** ﴾ [١]، وبه وحده استطاع المسلمون في كل أزمانهم من التاريخ أن يحرزوا العلو .

ولكنهم نسوا أو تناسوا في عهدهم الأخير هذا الشرط الأساسي لإحراز هذا العلو .

لقد كان الولد في الأمة الإسلامية في عهدها الماضي يبدأ تعليمه وثقافته من معرفة ربه، ومن التعظيم له والحب لرسوله ﷺ، وكان ينشأ على خصائل مقتبسة من مصادر الشريعة الإسلامية، والاحترام لشريعة دينه، وبذلك لم يكن يبتعد في حياته عن المركز الإسلامي ابتعاداً كثيراً، بل كان يدور حول قطب واحد وهو قطب حب الله

[١] – آل عمران : ١٣٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

ورسوله، والانتساب إلى الملة الحنيفية الغراء .

فقد قال الله تعالى: ﴿**فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين**﴾ [١].

لقد كانت الأجيال المسلمة تنشأ بهذه الخطة، فكان يجمعهم جميعاً الإطار الواحد، ويربطهم الأصل الواحد، ويتحقق به الوحدة والانسجام في اتجاهاتهم، فكانت الأمة الإسلامية كجسد واحد، لم يكن – مهما ضعف هذا الجسد واستكان ومرض– أن يعدو من أن يكون جسداً واحداً، يشعر بعضها بألم بعض، وتتفاعل فيما بينها، ولكن الخسارة الكبيرة التي منيت أو تمنى بها الأمة الإسلامية اليوم هي أنها بدأت تفقد صفة التفاعل بين أجزاءها، فأصبحت إذا أصيب جزء منها بمصيبة لا يتحرك لهذه المصيبة كثيراً ساكن في جزء آخر من الأجزاء الشقيقة له، وزالت بذلك تلك الشوكة والرهبة التي امتازت بها الأمة الإسلامية من بين الأمم الأخرى في تاريخها .

ومن أكبر أسباب حدوث هذه الخسارة في الملة الإسلامية هو أولاً عدم تنشئة النشء الإسلامي على القيم المليـة الأساسية للأمة الإسلامية، وعدم ربط المسلم عن طريق تربيته وتنشئته منذ الطفولة والصغر بالتعظيم لربه والحب لرسوله ﷺ، والاعتزاز بملته، مع أنها هي اللبنة الأساسية لبناية الفرد المسلم لا يمكن بغيرها تكوينه الإسلامي، ولا يمكن قيام ملة قوية مرهوبة تترابط أجزاءها بعضها ببعض إلا إذا رفعت بناءها على هذه الأسس .

---

[١] – آل عمران : ٩٥

www.abulhasanalinadwi.org

أما السبب الآخر لكل ما ذكرناها من الخسارة فهو انتشار الدعوة القومية الهدامة للقيم الروحية والإنسانية في مجتمعات العالم الفكرية والثقافية اليوم التي جعلت كل فرقة من الناس مشتغلة بذات نفسها، معتزة بمحلياتها، وعلمانية في قيم دينها، منصرفة إلى أغراضها المادية وحدها .

وكان من تأثير ذلك أن فقدت الأمم والأمة الإسلامية خاصة ذلك التعاطف والتعاضد اللذين احتضنت بهما، وامتازت من بين الأمم الأخرى، وأصبحت أمة على طرز الأمم الأخرى في العالم، وفقدت امتيازها واختصاصها الذي عرفت به من بين الأمم الأخرى، وكسبت به خيراً كثيراً في التاريخ .

www.abulhasanalinadwi.org

المجتمع الإسلامي الواقعي يجذب النفوس

إن الدين الإسلامي هو دين إنسانية واعتدال، يطلب من أتباعه أن يبقوا بشراً، ويتجنبوا الرذيلة والطغيان، فليس عليهم أن يصبحوا ملائكة لا يعرفون ما هو الجوع، وما هو المرض، ولا لهم أن يبقوا في أخلاق بهيمية وأهواء جامحة، فيصيروا مثل الحيوانات الهاملة التي لا تعرف إلا الأكل وإشباع رغباتها الحيوانية، فإن الاعتدال هي السمة الكبيرة لهذا الدين، والتوسط هي الميزة الكبرى له، ولقد دل عليه قول رسول اللهﷺ عندما سمع أن صحابياً من أصحابه قرر أن يعبد الله تعالى طول الليل ولا ينام، وقرر صحابي آخر أن يصوم كل يوم طول حياته، و قرر الثالث ألا يتزوج ولا يحقق رغبته في ذلك، فقال: لا تفعلوا فإني أكثر عبادة منكم، ولكني أعبد الله في الليل، وأنام كذلك، وأصوم و أفطر، وأتزوج كذلك [١]، هذا من

[١] – عن أنس رضي الله عنه قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلي الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها وقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد

www.abulhasanalinadwi.org

جهة، ومن جهة أخرى تدل أخباره أنه قال مرة، وكان وجد طعاما حسب رغبته مع بعض أصحابه: "هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة [١]" مشيرا إلى الآية القرآنية **﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾** [٢].

وكلما حاد الإنسان عن هذا الاعتدال والتوسط وقع في الفساد، فقد وقعت أوربا في قديمها في الرهبانية العاتية، فقمع الناس فيها رغباتهم الإنسانية الفطرية المباحة طلبا للرقي الروحاني، ولكنه لم يترق في العبودية والقداسة حتى يصل إلى درجة الملائكة ولم يبق بشرا يجوع و يأكل، ويقع في القذارة فيغسل، ويتطهر، و يمرض فيستشفى ويعالج .

أنه يجب أن يكون الإنسان بشرا، ولكن بالصلاح والتقوى، وتملي عليه الإنسانية أن يعرف ضعفه البشري، وحاجته، وراحته، وآلامه في الدنيا، ويعرف مسئولية أواصر القرابة والجوار، و يشعر بآلام نفسه البشرية، و بآلام غيره ممن يعاشرهم في حياته، هذا في ناحية، و في ناحية أخرى يطلب السعادة و الخير في الآخرة، يطلب

غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ،(البخاري : ٥٠٦٣ ومسلم : ١٤٠١) .

[١] –مسلم في كتاب الأشربة ، رقم: ٢٠٣٨، والترمذي في الزهد ، رقم: ٢٣٦٩.

[٢] – التكاثر : ٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

رضا ربه بالأعمال الحسنة ، فإن طلبه لخير الآخرة يحفظه من الفساد والطغيان، وإن طلبه لما يحتاجه لحياته في الدنيا يحفظه من أن يقع في رهبانية مهلكة .

لقد وقعت أوربا قديماً في رهبانية شديدة، وحرمت نفسها من خيرات الحياة الدنيا، ثم تمردت أخيراً على طلب الخير في الآخرة، فوقعت في مادية رعناء، و في مساقط الرغبات الجامحة، فمرت أوربا من تجربتين متعارضتين، وهي الآن بحاجة إلى تجربة التوسط والاعتدال، ولا يمكن أن تحصل لها هذه التجربة إلا في الإسلام، ولكن كيف تحصل لها هذه التجربة، وأين تجدها، وتطلع عليها، فإنما المسئولية في ذلك على المسلمين أن يتقدموا إلى أوربا بتعريف الإسلام، وبيان خيراته، وحسناته على الإنسانية، ولا يمكن للمسلمين ذلك إلا إذا كانوا هم أنفسهم متحلين بالأخلاق الإسلامية الصحيحة بدون أن تكون فيهم مغالاة في جانب، وتقصير في جانب آخر، يجب أن يتقدموا إلى غير المسلمين بوجه إنساني فاضل، وحياة إنسانية كريمة، متمثلين لأخلاق الرسول ﷺ وصحابته الكرام، كيف كانوا يعاملون الناس، وكيف كانوا يدعونهم إلى الخير والهدى، كيف كانوا يغضبون عند ما كان الأمر يستدعى الغضب، وكيف كانوا يتلطفون عندما كان الأمر يستدعى التلطف .

لقد انغمست أوربا في شهواتها و تحررت من التزامات إنسانية، ودينية كثيرة، فوقعت فريسة لشقاء إنساني وانهيار خلقي شديدين، فهي بحاجة إلى من يمسك بيديها، وينقذها من شقاءها .

www.abulhasanalinadwi.org

إن الغرب المسيحي اليوم قد ضجر من حياته المادية الملحدة بسبب رتابتها وخلوها من العواطف الإنسانية الرقيقة، وقد بُعدت صلته بالدين المسيحي لعدم استطاعته بملأ كل فراغ ديني في حياته، فهو هائم في طلب دين يمسكه من السقوط والتخبط في مهامه الحياة، ولايسعفه في ذلك إلا الدين الإسلامي .

ولكن الدين الإسلامي الذي يقدمه بعضنا إليه اليوم هو دين الجدل والضرب أكثر من أن يكون دين الفضيلة والبر، وما دمنا نظهر للغرب وجه العنف والجدل للإسلام، فلن نجد من الغرب رداً إلا بالإعراض والمقت .

إنه يحب أن نعرض الإسلام على الغرب كدين منقذ من الويلات الخلقية والاجتماعية للحياة المعاصرة، التي ضجت نفوس الغربيين عنها، وأرادوا الهروب منها، و اللجوء، إلى حلول ظاهرة تبدو لأقطار الغرب في الشرق والغرب، ففي هذه الحالة إذا لم يظهر أمام الغرب وجه الإسلام الصافي المواسي الرفيق، فلن يجذب الإسلام نفوسهم و قلوبهم، وهم سيستمرون في اللجوء إلى كل ملجأ و مغارة يظنون فيها شفاء لأسقامهم، مثل الرهبانية البرهمية، أو البوبهمية الهاملة، و نجد لها أمثلة كثيرة في كل مكان، وتقع المسئولية على الدعاة المسلمين لأنهم لا يختارون الطريقة الصحيحة اللائقة للدعوة إلى الإسلام، مع أن مسئولية الدعوة خاصة بهم، لقوله سبحانه وتعالى **﴿كنتم خير أمة للناس أخرجت للناس تأمرون بالمعروف، وتنهون**

www.abulhasanalinadwi.org

عن المنكر ، وتؤمنون بالله ﴾ [١].

لقد انقسم العاملون للإسلام اليوم إلى أقسام، فمنهم من يتزعم إعطاء فكرة الضرب والحرب للإسلام، ولا يكتفي في ذلك بالإظهار العملي وحده، بل يجعله من أساسيات الإسلام، يفعل ذلك بدون أن يرى سيرة الرسول عليه السلام، ومنهاجه في ذلك، فلقد احترز ﷺ من قتل المنافقين مع علمه بأنهم أشد عداء من الكفار، وذلك لئلا يقال "أن محمداً يقتل أصحابه"[٢] وبذلك كان يصون الإسلام من شهرة غير حسنة، و كان يقبل من الرجل قوله لا إله إلا الله، فقد قال في حالة مخالفة لذلك: "أفلا شققت عن قلبه"[٣].

وقسم من العاملين للإسلام يعكفون على شرح الإسلام نظرياً وحده، ويعكفون على تنظير الإسلام بشكل يجعله شبيهاً بالنظريات الغربية في الحياة، مع أن الغربيين أتخموا من النظريات، وكادوا يضربونها عرض الحائط، لأنها لا تسعفهم في إدخال الراحة والطمأنينة إلى قلوبهم، ولذلك يهجرون حياة بنيت على هذه النظريات، وقد يلجأون إلى الحياة الهاملة، تاركين كل شيء حتى حاجيات الحياة، لقد تقدم الغرب وبلغ أوج رقيه في النظم السياسية والاقتصادية و القوة العسكرية، و وسائل المعيشة، وازدهار المدنية، وحاول بكل ذلك حل مشكلاته الإنسانية، وإزالة همومه النفسية،

---

[١] – آل عمران : ١١٠ .

[٢] – صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، رقم : ٣٥١٨ ، وصحيح مسلم ، أبواب البر ، رقم : ٦٥٨٣ .

[٣] – صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، رقم : ١٥٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

ولكنه لم يعد من محاولته هذه بطائل، وأصبح شباب الغرب يهيمون في كل مجال يظنون فيه حلاً لعقدهم، وذلك لأن الاضطراب الخلقي والفراغ النفسي الذي يعاني منه أبناء الغرب اليوم، إنما هو نتيجة حضارتهم هذه المتحررة من الالتزامات الخلقية والدينية، وهي سبب اضطراب ميزان السعادة النفسية لحياتهم، وهو سبب مرضهم وسقامهم ، ولا ينفع فيه إلا العودة إلى تعاليم الأنبياء وخاصة تعاليم خاتم الرسل محمد ﷺ الذي دعا إلى تحقيق الصلة بالخالق، و إلى الاعتدال في الاستفادة بوسائل الراحة، فلا تكالب على اللذات، ولا الاستمتاع بكل وسائل المتعة والراحة، ولاحاجة إلى اختيار الرهبانية، والتخلي من حاجيات الحياة فقد قال الله تعالى: ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** ﴾[1]، إنما النظر الصحيح إلىالحياة الدنيا هو أنه نعيم محدود ،و زائل، وأنه متاع الغرور فلا يوخذ إلا بالاعتدال ولا يربط به القلب حتى يصعب تركه .

فالغرب لا يرغب اليوم إلى نظام اقتصادي جديد، بدلاً من نظامه الاقتصادي الذي توصل إليه، ولا إلى نظام سياسي جديد، بدلاً من نظامه السياسي الذي اختاره، لأنه جرب أنواعاً راقية من الأنظمة، و وصل إلى أقصى ما بلغ به علمه و دراسته وفهمه، فهو غير راغب إلى مزيد جديد منها، لأنه لا يجد حلاً لمشاكله فيها، إنما يرغب الغرب إلى السكينة القلبية والراحة النفسية التي لا يتكفل بها

---

[1] – الأعراف :٣٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

نظامه للاقتصاد، ونظامه للسياسة لديه، إنما يتكفل بها تلك الفضائل والآداب السماوية التي دل عليها وهدى إليها رسل الله سبحانه و تعالى و خاتمهم محمد بن عبد اللهﷺ، وهي التي تعوز بيئات العالم الإنساني اليوم .

وعلى الداعي إلى الفضيلة والحق أن تكون حياته مثالاً للمنهج المعتدل الجامع للاستفادة من وسائل الحياة، واتخاذ نظرة صحيحة لتقييم هذه الوسائل، و ذلك يحصل بالأمثلة العملية أكثر من الشرح العلمي مع أن الشرح العلمي له مكانة لا يستهان بها في دعم هذه النظرة ومساندتها .

فهل يسعنا أن نعرض الإسلام على الناس بطريقة موافقة لسنة رسول اللهﷺ، وسنة صحابته الأولين، فليس في غيرهما علاج.

www.abulhasanalinadwi.org

نظرات في الدعوة الإسلامية ومناهجها

www.abulhasanalinadwi.org

منهج الحركات المعاصرة
و منهج الدعوة الإسلامية

من آداب الداعي المسلم أن يتميز بالمحبة والرفق في دعوته، ويتحاشى العنف و العداء بقدر ما يسعه، فإن هذا المنهج للداعي من أقوى أسباب تأثير دعوته ونجاحها .

أما ظهور الداعي المسلم أمام غير المسلمين في صورة مخاصم أو معاد فيطمس صورته الفاضلة الحقيقية، ويصرف نظر المدعوين عن حقيقة إخلاصه ونصحه في دعوته، ويصرفهم عن فهمها وإساغتها، وبذلك تبتعد النفوس عن الإقبال على الدعوة الإسلامية والاستجابة لها بصورة عامة، والأسوة الكاملة للدعاة المسلمين في ذلك هي السنة النبوية الشريفة، فقد حافظ الرسول ﷺ على سلمية الدعوة مدة كبيرة، ولم يختر سياسة العنف والاصطدام إلا بعد أن أجبره المعادون على الرد ومواجهة العنف بالعنف، وبعد أن أثبت صورة الإسلام السلمية و وجهه المتسم بالفضيلة والخير، ولقد صبر مدة غير قصيرة صبرا شديدا، ومر المسلمون معه من خلال ظلم وكبت واضطهاد، حتى ذكر ذلك بعض الصحابة للرسول ﷺ كما رواه البخاري عن خباب بن

www.abulhasanalinadwi.org

الأرت قال: شكونا إلى رسول اللهﷺ، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو الله لنا ؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم، أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمّنّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون "[1].

ومثال آخر لمنهج الرسول ﷺ في هذا المجال هو ما قام به من عقد الصلح يوم الحديبية، فقد توقفت بذلك إلى يوم فتح مكة المصادمات التي كانت تحدث من بعد هجرته ﷺ بين المسلمين والكفار، وحال بينهما سلم هيأ للمسلمين أن يقدموا صورة الإسلام الطبيعية إلى غير المؤمنين بها، وهيأ للكفار أن يطلعوا على الإسلام، بعيدا عن العنف الذي تستلزمه سياسة المخاصمة والحروب، فدخل الكفار في الإسلام في عدد فاق بكثير على العدد الذي أسلم في غير هذا العهد.

وهذا المنهج السلمي الرفيق من حياة الرسول ﷺ خير مثل لعمل الدعوة في العصر الحاضر الذي يشبه في بعده عن الإسلام الحقيقي العهد الجاهلي الذي دعا فيه الرسول العرب إلى الإسلام.

لقد احتمل الرسول ﷺ والدعاة المسلمون معه في عهده الأول

---

[1] – صحيح البخاري، كتاب المناقب رقم: ٣٦١٢.

www.abulhasanalinadwi.org

وهو مدة ثلاث عشرة سنة منذ بعثته ألواناً من الأذى والاضطهاد، ولكنهم حافظوا على سلمية الدعوة الإسلامية، ولم يجعلوا القضية قضية سياسة وسلطان، أوقضية ثأر أو قتال، فإن منهج السياسة المقاومة منهج يقتضي لنجاحه مكراً و حيلة، أو استخدام سلاح، وإذا اختار به أحد وبنى عليه دعوة من الدعوات منذ بدايتها فلا تظهر هذه الدعوة في الجاهلين عنها والغافلين عن حقيقتها إلا كحركة سياسية يحب صاحبها من أول أمرها الوصول إلى الغلبة والحكم، وذلك بسبب الطموح إلى الغلبة والحكم الذي ينشأ في نفوس أصحابها، أو طلب الجاه والمال والسلطان، وهذا أمر قد جلبت عليه طبائع البشر بصورة عامة، وهو الذي يتبادر الظن به إلى أذهان الناس في عامة الأحوال، وقد جاء أمام رسول اللهﷺ ذلك،فقد قال عتبة بن ربيعة يوماً،- وكان سيداً - وهو جالس في نادي قريش ورسول اللهﷺ جالس في المسجد و حده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة، و رأوا أصحاب رسول اللهﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا : بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال : يا ابن أخي: إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آباءهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال رسول الله ﷺ: قل يا

www.abulhasanalinadwi.org

أبا الوليد، اسمع، قال: يا ابن أخي: إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي ياتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا، حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه أو كما قال له! حتى إذا فرغ عتبة، و رسول اللهﷺ يستمع منه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: افعل، فقال بسم الله الرحمن الرحيم﴿ **حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون، وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه**﴾ [1].

ويشك الناس بصورة خاصة إذا كانت الحركات تنهج منهج السياسة العملية، أو العنف، وقلما يثقون بها، وقد وجدنا كثيراً من الدعوات التي اختارت من أول يومها سياسة الاصطدام والعنف أنها أخفقت في إقناع الناس بأنها دعوات فاضلة، وأنها تريد الحق والفضيلة والبر بالناس، إلا أن يكون قد سبق في تاريخ هذه الدعوات دور اشتغل فيه أصحابها بالأعمال المخلصة الخيرية والخدمات الإنسانية، بنشر الفضيلة زمناً لا بأس به، إلى أن أصبح لديهم رصيد من حسن الصيت بصلاح نياتهم و نصيحتهم لعامة الناس .

---

[1] - السيرة النبوية لابن هشام المجلد الأول . ص : ٢٩٣-٢٩٤

www.abulhasanalinadwi.org

ولكن الحركات التي تبدأ عملها من منهج السياسة العملية المتسمة بالمكر أو الاصطدام فقلما يدخل عنها في نفوس الناس إلا صورة من حب الجاه والمال والسلطان، ولا يأخذ الناس عنها فكرة للفضيلة والبر والصلاح .

ونجد أمثلة كثيرة من التاريخ الإسلامي تشهد بذلك بالبلاد التي غزاها المسلمون بالمنهج الحربي الخاص لم تخضع لهم البلاد خضوعاً مخلصاً، وانقلب عليهم الوضع يوماً من الأيام مهما تأخر ذلك، وذلك عند ما ضعفت قوتهم المادية والحربية اللّهم إلا أن يساند حكمهم دعاة مخلصون من أهل الصلاح والتقوى، يعملون لتقريب الفضائل الإسلامية إلى القلوب والنفوس، بمحبتهم للناس وبسيرتهم الرقيقة الصالحة، وبطلبهم لخير الجميع، باذلين جهوداً مخلصة لاستمالة القلوب إلى فهم الفضيلة الإسلامية والإقبال عليها، مثبتين ذلك بحياتهم المثالية المتسمة بالمحبة والنصيحة والإحسان، فهؤلاء هم الذين يحفظون الحكم الإسلامي من كراهة المفتوحين له، وإذا عاصر هؤلاء الحكم الإسلامي على امتداده التاريخي لفتحوا القلوب والنفوس للإسلام، مع وجود مخالفات إسلامية من الحكام المسلمين، فقد يتحول شعب البلاد كله بجهود هؤلاء المخلصين الأبرار إلى شعب إسلامي جديد، فيزول البعد بين دين الحاكم ودين المحكوم، ويصير الحكم حكماً ذاتياً، فلا حاكم ولا محكوم .

وقد نرى نقص هذا المنهج المهم في التاريخ الإسلامي في أسبانيا، فقد حكمها المسلمون قروناً، ولكنهم لم يتمكنوا من تحويل

www.abulhasanalinadwi.org

شعب البلاد، ولم يجدوا من يفعل ذلك، فبقي أكثر أهلها بعيدين عن الإسلام، ولذلك قويت الجبهة العسكرية لأعدائهم حتى أعادوا البلاد إلى ما كانت عليه من الدين المسيحي، وطردت المسلمين من البلاد .

ولكن الوضع في شبه القارة الهندية قد اختلف عن الأندلس إلى حد كبير، فلم يبدأ فيها حكم المسلمين إلا وبدأ الدعاة والمصلحون الذين رافقوا جيوش الإسلام، أو توافدوا بعدها بفترات، يتسربون إلى المجتمعات الهندية الضالة المغزوة سياسيا، ويختلفون إليها ممثلين للحياة الإسلامية الرحيمة الرقيقة، فأحالوا بصورة تدريجية أعدادا كبيرة من أبناء البلاد إلى الإسلام بتأثير سلوكهم وسيرتهم الإسلامية الرحيمة، فكانوا السبب الأول والأكبر لتضخيم عدد أبناء الإسلام في الهند، حتى تحولت مناطق من شبه القارة الهندية إلى بلاد إسلامية خالصة، مثل مناطق بنجاب، والسند، وبلوجستان، ومناطق الشرق من باكستان، مثل كشمير في الهند، ومثل بنغلاديس، فإنما يشكل المسلمون أغلبية ساحقة من هذه المناطق، يناهز عددهم فيها نحو ثلاثمائة مليون مسلم، وإذا أردنا الدقة والتفصيل لإسلام هؤلاء فعلينا دراسة تاريخ هذه المناطق عند تحولها إلى الإسلام، فسنجده مليئا بجهود الدعاة والعلماء الربانيين لا السلاطين والحكام المسلمين .

و ليس معنى ذلك أن المواجهة الحربية أو الغزو السايسي والحكم لا يملك أهمية ولا قيمة في الإسلام، لا بل إن لها قيمة وأهمية لا يستعاض منهما، ولكنهما يأتيان كوسيلة ردع وسند للجهود الإسلامية المبذولة خلقيا وأدبيا لإصلاح النفوس ونشر الفضيلة، ولذلك

www.abulhasanalinadwi.org

لا يسمع في عمليات الجهاد الإسلامي إلا بأن تعرض الدعوة الدينية على الأعداء أولاً، فإن قبلوها فيحرم دماءهم وأموالهم، ويصبحون مستحقين لبقاء حكمهم الذاتي، وإذا أنكروا ذلك فيطالبون بالدخول في ذمة الإسلام وعهد المسلمين، فتبقى بذلك للدعاة المسلمين فرصة القيام بعمل الدعوة الدينية فيهم بدون إكراه أو إجبار ولا ظلم، وإذا أنكروا ذلك أيضاً فيأتي حكم الجهاد فيقاتلون إلى أن يسلموا أو يستسلموا، هذا هو المنهج الإسلامي .

إن الغرب المسيحي اليوم قد ضجر من حياته المادية الملحدة بسبب رتابتها وخلوها من العواطف الإنسانية الرقيقة، وقد بعدت صلتها بالدين المسيحي لعدم استطاعته بملأ كل فراغ ديني في حياته، فهو هائم في طلب دين يمسكه من السقوط والتخبط في طرق الحياة، ولا يسعفه في ذلك إلا الدين الإسلامي .

و لكن الدين الإسلامي الذي يقدمه بعضنا إليه اليوم هو دين القتل و الحرب أكثر من أن يكون دين الفضيلة والسلم، وما دمنا نظهر للغرب وجه العنف و القتل للإسلام فلن نجد من الغرب رداً إلا بالإعراض و المقت .

إنه يجب أن نعرض الإسلام على الغرب كدين منقذ من الويلات الخلقية والاجتماعية للحياة المعاصرة التي ضجرت نفوس الغربيين عنها، و أرادوا الهروب منها، واللجوء إلى حلول ممكنة تبدو لأقطار الغرب في الشرق والغرب، ففي هذه الحالة إذا لم يظهر للغرب وجه الإسلام الصافي المواسي الرفيق، فلن يجذب الإسلام نفوسهم

www.abulhasanalinadwi.org

وقلوبهم، وهم سيستمرون في اللجوء إلى كل ملجأ ومغارة يظنون فيها شفاء لأسقامهم، مثل الرهبانية البرهمية، أو اليهودية الهاملة، ونجد لها أمثلة كثيرة في كل مكان، وتقع المسئولية في ذلك على الدعاة المسلمين لأنهم لا يختارون الطريقة الصحيحة اللائقة للدعوة إلى الإسلام، مع أن مسئولية الدعوة خاصة بهم، لقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[١].

لقد انقسم العاملون للإسلام اليوم إلى أقسام: فمنهم من يتزعم إعطاء فكرة الضرب والحرب للإسلام، ولا يكتفي في ذلك بإظهار العمل وجده، بل يجعله من أساسيات الإسلام، يفعل ذلك بدون أن يرى سيرة الرسول عليه السلام ومنهاجه في ذلك، فلقد احترز صلى الله عليه وسلم حتى من قتل المنافقين مع علمه بأنهم أشد عداء من الكفار، و ذلك لئلا يقال أن محمداً يقتل أصحابه، وذلك لأن الإشاعات لا تكون مبنية على الصحة بدقة، وبذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصون الإسلام من شهرة غير حسنة، وكان يقبل من الرجل قوله لا إله إلا الله، فقد قال عند ما عرف خلافاً من ذلك: "أفلا شققت عن قلبه"[٢].

وقسم من العاملين للإسلام يعكفون على شرح الإسلام نظرياً وحده، ويهتمون بتنظير الإسلام بشكل يجعله شبيهاً بالنظريات الغربية في الحياة، مع أن الغربيين اتخموا من النظريات، وكادوا

---

[١] – آل عمران : ١١٠ .

[٢] – صحيح مسلم كتاب الإيمان ، رقم : ١٥٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

يضربونها عرض الحائط، لأنها لا تسعفهم في إدخال الراحة والطمأنينة إلى قلوبهم، ولذلك يهجرون حياة بنيت على هذه النظريات، وقد يلجأون إلى الحياة الهاملة، تاركين كل شيء حتى حاجيات الحياة التي لا بد منها .

لقد تقدم الغرب وبلغ أوج رقيه في النظم السياسية والاقتصادية، والقوى العسكرية، و وسائل المعيشة، وازدهار المدنية، وحاول بكل ذلك حل مشكلاته الإنسانية، وإزالة همومه النفسية، ولكنه لم يعد من محاولته هذه بطائل، وأصبح شباب الغرب يهيمون في كل مجال يظنون فيه حلاً لعقدهم، وذلك لأنه الاضطراب الخلقي والفراغ النفسي الذي يعاني منه أبناء الغرب اليوم، إنما هو نتيجة حضارتهم هذه المتحررة من الالتزامات الخلقية والدينية، وهي سبب اضطراب ميزان السعادة النفسية لحياتهم، وهو سبب مرضهم وسقامهم، ولاينفع فيه إلا العودة إلى تعاليم الأنبياء وخاصة تعاليم خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم الذي دعا إلى تحقيق الصلة بالخالق، وإلى الاعتدال في الاستفادة بوسائل الراحة، فلا تكالب على اللذات، ولا الاستمتاع بكل وسائل المتعة والراحة، ولا حاجة إلى اختيار الرهبانية، والتخلي من حاجيات الحياة، فقد قال الله تعالى: **﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾** [١].

إنما النظر الصحيح إلى الحياة الدنيا هو أنه نعيم محدود وزائل، وأنه متاع الغرور، فلا يوخذ إلا بالاعتدال، ولا يربط به القلب

---

[١] - الأعراف : ٣٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

حتى يصعب تركه .

فالغرب لا يفتقر اليوم إلى نظام اقتصادي جديد، بدلاً من نظامه الاقتصادي الذي توصل إليه، ولا إلى نظام سياسي جديد، بدلاً من نظامه السياسي الذي اختاره، لأنه جرب أنواعاً راقية من الأنظمة، و وصل إلى أقصى ما بلغ به علمه ودراسته وفهمه، فهو راغب إلى مزيد جديد منها، لأنه لا يجد حلاً لمشاكله فيها، إنما يفتقر الغرب إلى السكينة القلبية والراحة النفسية، التي لا يتكفل بها نظامه للاقتصاد، ونظامه للسياسة لديه، إنما يتكفل بها تلك الفضائل والآداب السماوية التي دل عليها وهدى إليها رسل الله سبحانه وتعالى وخاتمهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وهي التي تعوز بيئات العالم اليوم .

وعلى الداعي إلى الفضيلة و الحق أن تكون حياته مثالاً للمنهج المعتدل الجامع للاستفادة من وسائل الحياة، واتخاذ نظرة صحيحة لتقييم هذه الوسائل، وذلك يحصل بالأمثلة العملية أكثر من الشرح العلمي، مع أن الشرح العلمي له مكانة لا يستهان بها في دعم هذه النظرة ومساندتها .

فهل يسعنا أن نعرض الإسلام على الناس بطريقة موافقة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و سنة صحابته الأولين، فليس في غيرهما علاج .

www.abulhasanalinadwi.org

العمل الإسلامي والحاجة إلى إعادة النظر في الاستراتيجية

لقد تم استيلاء الغرب المسيحي الاستعماري الغاشم على البلدان النامية جمعاء، وذلك بسلاحيه الاقتصادي والدبلوماسي اللذين استخدمهما الغرب في القرن الحالي في عدد من البلدان المتخلفة تعليمياً واقتصاديا، وسياسيا، ولقد استخدم الغرب في استعمال هذين السلاحين الشطارة والخداع، فكان من نتيجة ذلك أن تساقط بلد بعد بلد في حجر الدول الكبرى، طلباً لدعمها المالي وحمايتها السياسية .

وشطارة الغرب وخداعه في هذا المجال هو إثارة شعور البلدان المتخلفة، وإيجاد الرغبة فيها لطلب القروض منها لتقوية الحياة المدنية و العسكرية فيها .

أما تقوية الحياة المدنية فلإزالة وصمة العار الذي يلحقها بكلمة التخلف، أما تقوية الحياة العسكرية فلأنها تشعر بأنها محاطة بجارات تجري بينها وبين هذه الجارات حرب لاهوادة فيها للمنافسة

www.abulhasanalinadwi.org

في المال والسلطان .

وقد نجح الغرب في ذلك بحيث إن القوى الكبرى منه قد ساعدت الشعوب الشرقية وغطتها بالقروض، وأصبحت هذه القروض بأيدي البلدان الكبرى كلجام في يد صاحب الفرس يتصرف بها في شأن تحريك الفرس وتوجيهه، لقد كانت سياسة الغرب هذه بدون صخب أو ضوضاء حتى لا تفطن الشعوب الشرقية للمكر الذي يكمن في هذه الدبلوماسية، واستعملت القوى الاستعمارية هذه السياسة عند ما رأت أن اليقظة التي بدأت في الشعوب الشرقية لن تسمح لقوى الغرب باستبقاء استعمارها المباشر في هذه البلدان لسبب انتشار المكر والمقت والرفض والكره للاستعمار في شعوب الشرق، واستخدمت القوى الغربية طرقاً ناجحة لتطويق البلدان الشرقية كلها بسلاحها الاقتصادي ومساعداتها العسكرية، فالبلدان التي كانت فقيرة أدانتها القوى الغربية بعنوان المساعدات، ولكن بشروط باهضة، وأما الشعوب الشرقية التي كانت قد أصبحت غنية لوجود الذهب الأسود أو الأحمر في أراضيها، فأوقعتها القوى الغربية في حرب الأشقاء، وشجعت كل طرف من الطرفين معنوياً، أو بمساعدات الأسلحة حتى ينقض كل طرف منها عرى الطرف الآخر، وليخرج الطرفان بعد نهاية الحرب مكدودين منهوكين مفلسين فيصيرا هما الآخران مديونين للغرب ومحتاجين إليه بصورة أكبر .

فلا نرى اليوم في العالم كله بقيت حكومة عليا إلا واحدة وهي أمريكا، ومن المؤسف جداً أن أمريكا هذه بدأت الآن تتدخل في

www.abulhasanalinadwi.org

الشؤون الدينية لكل الشعوب الإسلامية كذلك، فتغري حكام البلدان الإسلامية بمطاردة المعتصمين بدينهم والمتمسكين بالمحافظة على السيرة الإسلامية، فالبلدان التي كانت تعد حمى للإسلام، وكان يهرب إليها كل من كان يضطهد ويطارد في بلاد الكفر من الإسلاميين، أصبحت تختار الجفاء لهم، فأين يهرب رجل يريد التمسك بحياته الدينية والمحافظة على السيرة الإسلامية، لأن أمريكا توجد في كل بلد مستولية على سياسته واقتصاده، وهي لا تريد اليقظة الإسلامية في أي مكان، وتسمى كل يقظة إسلامية بالأصولية والإرهاب، وتسد باسم الأصولية والإرهاب هذا الطريق في وجه كل من يريد دعماً لحياة المسلمين الإسلامية، فماذا يكون من الحكمة والاستراتيجية المفيدة للمسلمين في هذه الحالة القاسية المقلقة.

إني لا أرى في الوضع الحالي هذا فائدة في الاصطدام العشوائي مع القوى الأقوى وطاقات أشد وأوفر، لأن الاصطدام واستخدام القوة قد يكون نافعاً إذا كان بين جيشين نظاميين أو طاقتين متعادلتين إلى حد ما، أما أن يكون في جانب أفراد موفورون بالقوة والتأثير، ويكون في جانب آخر أفراد مشتتون، ومستندون إلى قوة بسيطة فلا يلقون وهم الأفراد إلا الخسائر المتواصلة، وهذا هو الذي بدأنا نراه في العالمين العربي والإسلامي كليهما، وهو لا يزيد نفوسنا إلا في الأسى والحزن، نشعر بهما على مصاب المظلومين المضطهدين من أصحاب العاطفة الدينية والشعور الإسلامي النبيل من المسلمين، والمقت والغضب على هؤلاء الظالمين الذين يقومون بالاعتداء السافر والاضطهاد البغيض طلباً

www.abulhasanalinadwi.org

لرضا الآخرين والأجانب بدون مراعاة لكرامة الإنسان ورعاية الأشقاء والإخوان .

إنه يجب في مثل هذه الحالة أن ينظر العاملون للإسلام في استراتيجيتهم، ماذا يحسن أن يوخذ منها وما يجدر بأن يرفض، فإن لكل حالة استراتيجية، ولكل ظرف منهجاً للعمل، وإن الظروف الحالية تقتضي أن يبنى العاملون للإسلام استراتيجية جديدة لأن أعداء الإسلام أصبحوا في طبقات طبقة فوق طبقة لا طبقة واحدة، أما الطبقة الدنيا منهم فهم المستغربون البعيدون عن الدين ممن لا يعرفون عن الإسلام شيئاً، ولا يحملون له حماساً، ولا يملكون له في قلوبهم حباً ولا عطفاً، وهم مالكون للزمام للثقة التي ينالونها من القوى المتصرفة العليا، فهم لا يريدون جواً إسلامياً في البلاد على كل حال، ويخدعون الجماهير بنسبتهم إلى الأمة الإسلامية، ثم تأتي طبقة أعلى منها، وهي طبقة الخبراء والمستشارين جاءوا أو استوردوا من الخارج، وفوقها طبقة استعمارية عليا من القوى الكبرى .

فإن الظروف الحالية في العالمين العربي والإسلامي تقتضي اختيار استيراتيجية جديدة أجدى، و أراها في الأوضاع الحالية اختيار سبل مختلفة لتصحيح فهم الطبقة المثقفة الثقافة الجديدة فيهما التي قد أسيئ فهمها عن طريق مناهج التربية والتعليم الحديثة التي يهيمن عليها منذ أكثر من قرن التصور الغربي للحياة الخالي من الإيمان بجدارة الدين لمسايرة الحياة، كما أسيي فهمها مع فهم الجماهير المسلمة الغافلة عن طريق الإعلام الذي تطور في أيدي

www.abulhasanalinadwi.org

الغربيين تطوراً هائلاً .

حتى بدأ يؤدي واجب المدرس في المدرسة، و واجب الوالد والوالدة في المنزل، وحق الزميل لزميله، والرفيق في السفر وغيره، وذلك بوسائل الصحافة اليومية والأسبوعية والإذاعة السمعية والبصرية حتى الكاستات السمعية والبصرية أيضاً التي لا تقف على حدود جدران البيوت، ولا على حواجز الغرف والمخادع .

فإن هذه الوسائل قد أثرت على أذهان الناس وتصوراتهم عن الدين والحياة بحيث كادت أن تقصيها عن الإيمان بضرورة الدين وحتميته للحياة، وعن الإيمان بالآخرة وبصلاحية الدين الإسلامي لمواكبة الحياة، أصبح المؤمنون بقيم الإسلام و مثله بذلك طبقة صغيرة ومحصورة من الناس لا يؤثر صوتها ولا يؤثر على النفوس إلا في حدود ضيقة .

فإنه لا بد من معالجة الأمر باستخدام الأدب و وسائل التربية والإعلام بأكثر ما كان يتيسر وأقوى ما يمكن، ليزداد حجم طبقة المؤمنين بجدارة الإسلام للحياة، ولا عجب في أن تتأثر بذلك أذهان عدد من المتصرفين بشؤون البلاد فتتأثر سياستهم وفكرهم، وتضعف معارضتهم للاتجاه الإسلامي .

لا شك أن الدعاة المسلمين المخلصين أصبحوا يستخدمون الصحافة بحجم غير صغير، ولكنها محدودة في الإطار الإسلامي البحت، إنه لابد من التوغل في مجال الصحافة السائدة العالمية والقطرية معاً بإدخال صحفيين إسلاميين فيها حتى يبرز هناك أيضاً

www.abulhasanalinadwi.org

صوت إسلامي، كما لابد من التوغل في أوساط الأدب المتحكمة في الاتجاهات الأدبية، والحوار مع الأدباء العلمانيين و إقناعهم بصلاحية الإسلام لمواكبة الحياة الجديدة، كما لابد من الاتصال بالطبقة الحاكمة على الصعيد الشخصي والتأثير على أفرادها و كسب استجابتهم للاتجاه الإسلامي الرشيد .

وكيف لا ننجح في هذا وقد تغلغلت بمثل هذا المنهج الجالية اليهودية في أمريكا حتى وصل أفرادها بشكل خبراء وإخصائيين إلى المراكز الحساسة في البلاد، وأحاطوا بالمركز العالمي للحكم، فهم يؤثرون على سياسة البلاد، إلى أنهم يخضعونها لمصالح أمتهم ودينهم في الخارج فضلاً عن الداخل، ولم تكن ذريعتهم في ذلك مجرد المكر والدهاء بل العمل المضني والتوغل في الطبقات المالكة لأزمّة البلاد من صحافة واقتصاد وسياسة كذلك وبجهد مضن .

إن الظروف الحالية في العالمين العربي والإسلامي ظروف حالكة، وأكبر سبب في ذلك هي غفلة أكثرنا في اختيار الطرق العملية الجادة التي تحتاج إلى الجهد الصامت لا الكلام والاحتجاجات والمناقشات العنادية وحدها .

www.abulhasanalinadwi.org

هذا هو الطريق الوحيد

إن الطاقات الإنسانية إن تخلت عن الخضوع لسلطان الضمير والمروءة والشهامة، فهي فضلاً عن أن تؤدي دوراً في ميادين الخير والفضيلة والبناء تصبح وبالاً على الإنسانية كلها، وعلى أصحابها كذلك، ولا تبقى لديهم إلا كأداة هدامة و وسيلة إلى التخريب والإفساد.

ومما يؤسف له أن كثيراً من المسلمين بوجه عام وأن أكثر قادتهم وزعمائهم ممن لم يتربوا تربية صالحة طيبة في أحضان الإسلام، وفي بيئاته الراشدة، إنما يعيشون اليوم في عزلة عن الخضوع لسيطرة الضمير الحي والمروءة الصادقة اللذين كانا من أعظم خصائص أسلافهم منذ أقدم العصور والأدوار، وقد بلغ بهم الضعف في هذا المجال إلى أنهم فقدوا الإيمان بماضيهم العظيم كذلك، والثقة بالطاقات المعنوية الهائلة التي تمتاز بها أجيالهم السابقة دون غيرهم، والتاريخ الإنساني شاهد بذلك ومعجب به أي إعجاب، ويقدر له التقدير اللائق، إنه أصبحوا اليوم متغافلين عن هذه القوى

www.abulhasanalinadwi.org

الروحية، والمعنوية العظيمة التي قلبوا بها في السابق أعنف التيارات الجاهلية، وغيروا وجهة التاريخ، ومهدوا للعالم طريقاً سلكت عليه الشعوب والأمم، ونالت بالسير عليه كل فضيلة وخير.

ولم يكن عددهم في ذلك الحين عدداً كبيراً لا في الإحصاء ولا في النسبة إلى الخصوم والأعداء، ولم تكن لديهم من الوسائل والمعدات الحربية والمادية ما يعجز عنها غيرهم، ولم تكن عندهم تجربة عميقة أو طويلة للنضال والكفاح، بل إنما كانوا أمة جديدة صغيرة خرجت إلى العالم دون أن يكون وراءها سابق عظيم، أو تاريخ كبير في المجال العملي المعروف.

ولكن القطب الذي كانوا يدورون حوله كان يختلف عن أي قطب آخر، والمنبع الذي كان يفور منه نبع قوتهم الصافي، كان أعظم منابع القوة والحياة، فقد كانت فيهم الحيوية الصادقة في أجل صورة وأجملها، وكان فيهم الوفاء للمبدء، والتفاني لهدفهم الجليل في أعظم صورة وجدت في العالم.

فلما ظهروا وخرجوا كانت وثبة نادرة للإنسان لم يعهد مثلها في ذاكرة التاريخ، بل كانت وثبة جبارة شاملة غيرت وجه التاريخ وكانت تجربة قلبت قانون الثورة و الانقلاب.

لم يكن العالم يعرف من الانقلاب إلى ذلك الحين إلا أنه تغيير دولة بدولة، وتغيير حكومة بحكومة، وتحويل سلطان من أيد إلى أيد أخرى، ولكنه عرف من المسلمين لأول مرة في تاريخه أن الانقلاب قد يكون أشمل وأوسع مما جربه الناس وعرفوه سابقاً، إنه

www.abulhasanalinadwi.org

يكون في النفوس والقلوب، وفي النزعات والعقول، وإنه لا يسلب من المفتوحين شيئاً، بل إنما يعطيهم شيئاً كثيراً، إنه لا يأتي لسلب، أو نهب ، بل لإصلاح الفاسد وإعطاء خير .

لقد خرج المسلمون عندما خرجوا بخير أخلاق وبخير خصال، ففتحوا القلوب، وفتحوا النفوس قبل أن يفتحوا الحكومات والبلاد، وقدموا نماذج من أروع ما يمكن أن يتصوره الإنسان في التاريخ، فهزوا العالم هزاً، وأحدثوا زلزالاً لم يعهد مثله منذ القديم، ومهدوا للركب الإنساني طريقاً واسعاً إلى الخير والفضيلة والسلام من سلك فيه فقد أحرزهما لانتصاره ونجاحه في الحياة في الدنيا و في الآخرة كذلك .

ولقد كان هذا الطريق، هو الطريق الوحيد للنجاة في كل عصر ومصر عندما يعم الظلام في كل جهة، وتخبط الإنسانية البائسة فيه خبط عشواء، وتتسكع في مهامه الحياة، وهو الطريق الذي كان ضماناً للمسلمين أيضاً في جميع عصورهم، كلما اتبعوه وسلكوا فيه نجوا وأحرزوا الانتصار والكرامة، وكلما حادوا عنه وقعوا في ذلة وخسران، وقع ذلك في الأندلس عندما دخلوا فيها، ووقع فيها عكس ذلك عند خروجهم منها، ووقع ذلك عند فتوح العجم والعراق، و وقع عكسه عند ما لقوا القتل والإهانة في عروس بلادهم بغداد .

وهذا هو الطريق الذي لا مناص للمسلمين من اختياره إذا أرادوا الكرامة، فقد جربوا ذلك مراراً، وليس من المعقول أن يغفلوا عنه ، وينخدعوا بتيارات عقلية جديدة، وأنظمة متطرفة أخرى مما لا يصادق عليه دينهم ولايتفق معه تاريخهم، ولا تقبله مثلهم ونظم

www.abulhasanalinadwi.org

حياتهم، فقد يجوز أن يشتهوا الجديد، وترغب نفوسهم إليه، ولكنه ليس من اللازم أن يجدوا في كل جديد الدواء والخير.

إن المسلمين اليوم في حاجة إلى دواء يشفيهم من هذه الأسقام التي تعرضوا لها منذ زمان، وفي حاجة إلى فضيلة وخير ينفيان عنهم هذا الهوان والذلة التي يلاقونها في كل مجال من الحياة المعاصرة، إنهم في حاجة إلى سابق قوتهم، وسابق عزهم، وسابق مهابتهم، إنهم في حاجة إلى سابق إيمانهم، وسابق ثقتهم، وسابق ثباتهم، وسابق جديتهم، وصرامتهم، فهم حقيقون بها ومحتاجون اليوم إلى اختيارها.

إن المسلمين اليوم لم يعودوا يفتقرون إلى عتاد كثير، ومال كثير، ولا إلى أصدقاء وأنصار كثيرين، وإن كان لكل ذلك قيمة وفائدة، وكل منها ينفع في محله، ويفيد في مكانه، ولكن أيا من ذلك لا يقدر أن يكون بديلاً عن الشهامة والصرامة والحمية الصادقة والخصائل التي فقدناها اليوم، فهي لا توجد لدينا، وإذا وجدت فإنما توجد بمثل أغلفة القوارير الفارغة من محتواها التي تلمع ويحسن مرآها من الخارج، ولكنها فارغة فقراء من الداخل لا تملك نفعاً لأحد، ولا فائدة، ولا يمكن الحصول منها على دواء ولا غذاء، فإلى متى يطلي علينا الانخداع بكلمة المسلمين وخديعة الناس بها، وإلى متى نستمر في مجرد الانجراف في سيول المظاهر الجوفاء من مدنية الغرب دون الرجوع إلى الاستقاء من منابع ديننا وتراثنا وتاريخنا الذي عشنا في ظلالها الوارفة طويلا.

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الصحوة الإسلامية بحاجة إلى جهود علمية و إعلامية

إن عقلية المثقفين بالثقافة الغربية وهم الطبقة الغالبة في أهل المعرفة والعلم اليوم تنطوي على الخوف من الإسلام، لأنهم لا يعرفون عن الإسلام إلا تضيقات مختلفة للرجل والمرأة كليهما في حياتهما، وذلك لأنهم لا يعرفون التسهيلات والموافقات الفطرية للحياة التي يحفظها الإسلام لأتباعه في مختلف جوانب حياتهم من "إن الدين يسر "[١]، و"ما خير رسول اللهﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما"[٢] وقال رسول اللهﷺ: "ولنفسك عليك حقا وإن لأهلك عليك حقا "[٣]، وقد جعل الإسلام أتباعه أحراراً في تناول كل طاهر من المأكولات

---

[١] - صحيح البخاري رقم: ٦٤٦٣، والنسائي، رقم: ١٢١-١٢٢.

[٢] - صحيح البخاري، كتاب الأدب، رقم ٦١٢٦. وصحيح مسلم، الفضائل، رقم: ٦٠٤٥.

[٣] - صحيح البخاري كتاب الصوم، رقم: ١٩٦٨ وكتاب الأدب، رقم: ٦١٣٩

www.abulhasanalinadwi.org

وأباح لهم أخذ الطيبات من الرزق، وأباح لهم الاستفادة مما خلق الله في هذه الأرض من الطيبات ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**﴾ [١]، ولكن المثقفين الثقافة الغربية لا يعرفون عن ذلك شيئاً، وإن عرفوا فلا يعرفون كيف تحصل لهم هذه التيسيرات، فهم لذلك يخافون من الإسلام ويكرهونه، ونحن ما دمنا نقصر في إزالة هذا الخوف والكراهة من الإسلام من قلوب الناس، فسنبقى نواجه كره أمم العالم للإسلام والمسلمين ومقتها لهم، بل وسنبقى نواجه خصومة وعداوة بين المسلمين أنفسهم، بين الداعين إلى تطبيق الإسلام، وبين الهاربين منه .

وزماننا اليوم هو زمان انتشار العلم والمعرفة، وأصبحت وسائل التوجيه، وإبلاغ الفكرة وإحلالها في النفوس، والقلوب كثيرة ومتنوعة، ويستفيد بها الكفار كل الاستفادة، فقد أفسدوا ببحوثهم ومؤلفاتهم وبتعليمهم وإعلامهم أذهان الناس، وأبعدوها عن الإسلام، وعن شريعة الإسلام، وعن نبي الإسلام، نجد ذلك عندما نزور أي بلد من بلدان الكفر، وندخل في دار لتوزيع الكتب، أو مكتبة من المكتبات، ونلتفت إلى ركن كتب تتحدث عن الإسلام وتاريخه وشريعته وأحكامه، أو عن نظمه للحياة، ونتصفح أي كتاب منها، فنرى تخليطاً للحقائق وعرضاً محرفاً، يثبت منه أن الإسلام دين الجهالة و التخلف، وعدم مسايرته للحياة، فيه تعدد للزوجات لإشباع النفس بالشهوات، وفيه ظلم على المرأة وضربها إذا خالفت

---

[١] - الأعراف : ٣٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

زوجها، وفيه كذا وكذا .

ولقد تصفحت كتاب سيرة للرسول ﷺ ألفه أحد أصحاب الاختصاص في علوم الشرق أثبت فيه ببحثه و دراسته أن محمداً ﷺ لما كان قد نشأ في بلد الفقر قام بإخراج قبيلته من الفقر، ثم إخراج العرب إلى الثروة والقوة، وحارب لأجل ذلك، واستدل المؤلف بدلائل تخدع الأغرار من الناس، وأثبت بذلك أنه لم يكن إلا زعيماً، أو قائداً سياسياً قومياً فحسب، ونحن حينما نختلط بأحد من المثقفين الكفار في أي بلد من بلدان الكفر ونذكر له الإسلام فما نجده إلا ويتأفف، حسب معلوماته ومظنوناته من شدة الدين الإسلامي على أتباعه، وسلوك المسلمين الإرهابي مع الآخرين، ويظهر ظنه بأن الإسلام دين التضيق والعودة إلى عصر التخلف، وأنه لا يصلح للعصر الحاضر، هذا بالنسبة إلى بلدان الكفر، أما في بلدان يحمكها المسلمون فلا نجد في أغلبية المثقفين الثقافة المعاصرة إلا تصورات شبيهة بذلك التصور .

في هذا الوضع كيف نعتقد أن الذين يملكون أزمة السياسة والحكم و قيادة نظم الحياة الاجتماعية المختلفة سيرضون بالإسلام كبديل حسن لنظمهم السائدة، بل ولن يكرهوا الإسلام، ولن يكيدوا ضد غلبته، و وصول المتمسكين به والمتعصبين له إلى منصة الحكم .

الأمر في كل ذلك إنما يرجع إلى تقصيرنا نحن، وإلى خطأنا في التقدير، وعدم استعراضنا للحالة الواقعية، وإلى أننا لا نهتم إلا قليلاً جداً بتصحيح فهم المخطئين لفهم الإسلام، وفهم تاريخه المجيد في صورته النافعة الحقيقية، ولا نهتم بإعداد وتوزيع كتب لشرح

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام للجاهلين له، ولا نهتم بعقد ملتقيات في الأوساط الكافرة تعرض على الغافلين عما يمتاز به الإسلام على غيره من فضائل وموافقات طبيعية، ولانهتم باختيار وسائل الإعلام في العالم الأجنبي، وفي العالم الإسلامي كليهما، إن جهودنا في كل هذه المجالات قليلة تافهة جداً، نحن نبذل أموالاً طائلة على رغباتنا الشخصية، ولكننا لا نبذلها على مصالحنا الاجتماعية، وحاجاتنا الدعوية، وعلى الوسائل الأدبية والعلمية المفيدة إلا قليلاً، أما في مجال التعليم فإن تخريجنا لرجال يضطلعون بمهام العمل في النظم الإدارية، والتخصصات التنظيمية والعلمية، مع معرفتهم الصحيحة لأحكام الإسلام، و روح الإسلام ومع الكفاءة اللازمة لسياسة البلاد، لا يعد بشيء أمام تخريج المؤسسات الغربية مئات وألوف من الاخصائيين في الأعمال المختلفة مع بعدهم عن الثقة بالإسلام ومعرفة أحكامه وروحه .

لماذا لا نبذل جهودنا في تربية كتاب ومؤلفين يقومون بإعداد بحوث علمية وأدبية، ويؤلفون الكتب على المنهج العلمي الرائق، وباللغة الفصيحة التي يتحسنها أهل اللغة، ويستجيدون قراءتها ليعرضوا فيها حقائق الإسلام بروعة تعبير، وأسلوب أخاذ يجذب إليها القراء، وكذلك أمر الصحافة والإعلام، فنحن فيهما في الحضيض، لا نستخدمهما إلا لمجرد الاستهلاك المحلي، ولإشباع الرغبات فحسب، وعدونا يتعلمهما لتربية الأذهان ولمصلحة خاصة، إنه عمل مضن دون شك، ولكنه لا بد منه إذا أردنا أن يفهمنا غيرنا على الصورة الصحيحة الصادقة فيقتنعوا بجدارة الإسلام لمسايرته

www.abulhasanalinadwi.org

للحياة المعاصرة .

إننا نجحنا في إيقاظ عدد لا بأس به من الجماهير المسلمة على ضرورة عودتهم إلى الإسلام وتطبيق نظم إسلامية للحياة، وهو عمل عظيم من غير شك، وسوف تكون له جدواه ونتيجته الحسنة، ولكن تقصيرنا في مجالات أخرى من كسب طاقات لا بد منها لإقامة الحياة الإسلامية تقصير يخاف فيه من أن يطمس جانباً من جهود قادة الفكر والرأي المسلمين لتصعيد الصحوة الإسلامية السائدة اليوم، هذا جانب مهم يجب أن نهتم به أيضاً، وحينئذ تعطي جهودنا للصحوة الإسلامية ثمراتها الطيبة الكاملة مما تساعد في إقامة نظام شامل مقبول لدى الناس، و لقد هدانا الله تعالى بقوله: ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين، وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين، واصبر و ما صبرك إلا بالله، ولا تحزن عليهم، ولا تك في ضيق مما يمكرون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾[١] .

[١] - النحل : ١٢٥- ١٢٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

إصلاح المجتمع الإسلامي من أساسيات الصحوة الإسلامية

إن مسئولية الإصلاح الإسلامي تمتد في مجالين إثنين، مجال أنفسنا الفردي والأسر التي نرأسها، والمجال الاجتماعي الذي نقضي فيه حياتنا، فنحن مسئولون بعمل الإصلاح في المجالين الفردي والاجتماعي جيمعاً، يجب أن نرى أولاً إلى أنفسنا، ثم إلى أهلنا وعيالنا، ثم إلى جيراننا وأبناء وطننا من العوام والحكام فنؤدي العمل الإسلامي فيهم جيمعاً، وبذلك يكمل أداءنا للمسئولية الملقاة علينا .

لكن المؤسف أن أكثرنا لا يكمل أداء للمسئولية في جميع أجزاءها، فمنا من يهتم بالعمل الإسلامي في نفسه وحدها، ولايهتم بصلاح أسرته، ومنا من يهتم بصلاح أسرته، ولكنه لا يهتم بصلاح جيرانه وأصحابه وبني وطنه .

وأشد شيء في هذا الصدد هو أن بعضاً منا يهتم بإصلاح غيره دون إصلاح نفسه، وبعضنا يهتم بالجوانب السلبية للعمل الإسلامي

www.abulhasanalinadwi.org

وحدها، دون الجوانب الإيجابية فيهتم بالانتقاد والطعن، ولايهتم بالوعظ والنصح والتربية، وغير خاف عن الجميع أن العمل السلبي أسهل من العمل الإيجابي .

فمن الأمور السهلة أن يكتفي الواحد منا بالكلام فينتقد وينصح، ولا يهتم بالسعي لتنفيذ هذا القول بطرق إيجابية بناءة .

ولقد كثر و ازداد التكلم بالنصح والانتقاد اليوم، وساعدت في ذلك حرية الكلام الحاصلة من ذيوع وسائل النشر والإعلام فنقرأ ونسمع من وقت لآخر الكلام بالانتقاد والتجريح بدون أن يوجد وراءه رصيد من العمل في قائله، وقلما يكون صاحب هذا الكلام في المستوى العملي المناسب لما يقول أو ينتقد غيره فيه .

وإن كان من اللائق بكل واحد منا أن يبدأ العمل من نفسه، ثم يهتم بأسرته، ثم بالآخرين،وليس صحيحاً قلب هذا الوضع، بأن يبدأ الواحد منا العمل الإسلامي بالاهتمام بشؤون غيره قبل شؤون نفسه وأسرته .

لقد كثر كلامنا في سيئات غيرنا وفي ضرورة إزالتها منهم، وفي ضرورة إصلاح هؤلاء الآخرين حكومة وشعباً، وكثر الكلام في أمر الصلاح و الفساد .

ولكن غالب هذا الكلام يكون موجهاً إلى الآخرين، وفي نفس الوقت يكون الوضع في شخصية القائل وفيما تحت أمره وضعاً متعارضاً مع هذا الكلام، ونجد أن حياة طائفة من المنتقدين لغيرهم والناصحين لهم تخلو من مستوى لائق بكلامهم .

www.abulhasanalinadwi.org

وبذلك يضعف تأثير كلمتهم وتفقد نتيجتها الحسنة، فإن أقوى ما تكون عملية الإصلاح تأثيراً أن تكون مؤيدة بالعمل الفردي.

وأسوة العمل الفردي هي التي تفتح القلوب، وتغزو النفوس أكثر من غيرها، وأكثر الصحابة رضي الله عنهم دخلوا في الإسلام برؤيتهم للأسوة الصالحة الكريمة في رسول اللهﷺ، وفي السابقين الأولين من صحابته البررة الذين لم يهتموا بالمعلومات النظرية قبل الممارسة العملية، بل اكتفوا بما رأوا من عمل الرسول ﷺ، حتى في أشد القضايا منها على نفوسهم، فقد أصبح كل واحد منهم مهتماً بذات نفسه أولاً، ثم كان يلفت نظر غيره إلى ما فيه خيره ثانياً.

لقد فقدنا اليوم الاهتمام بسيرتنا الذاتية، و وقعنا بصورة عامة في الاهتمام بسيرة غيرنا وحدها، ومن هذا القبيل أيضاً أن اهتمامنا بصلاح الفرد أصبح أخف كثيراً من كلامنا في صلاح الكيان الجماعي، وأن طلبنا لصلاح الحكومة أصبح أشد من عنايتنا لصلاح أنفسنا، كأننا نظن أن المجتمع يستطيع أن يصلح بنفسه بدون أن تصلح أجزاءه، وأن صلاح الحكومة يكفي بصلاح الأفراد.

إنما الأمة تتكون من الأفراد فإذا لم يصلح الأفراد أو أكثر الأفراد فكيف تكون الأمة صالحة، والحكومات تستمد قوتها وحياتها من الأمة، وما دامت الأمة تكون غير صالحة فكيف يرجى من الحكومة المعتمدة عليها أن تكون صالحة، أو يبقى فيها الصلاح.

فلابد من الاهتمام بالأفراد أولاً، وذلك بعطف اهتمام الأفراد بصلاح أنفسهم، وتكوين سيرتهم الذاتية على الاستقامة والصلاح

www.abulhasanalinadwi.org

والحق .

لقد كثر اليوم في كل مكان الكلام بالصلاح والإصلاح، إنه كثر على منابر الاتصال بالجماهير، وعن طريق وسائل الإعلام المهيأة اليوم، ولكن الحالة العملية مختلفة كل الاختلاف، فنحن نتكلم ونطالب بحياة مثل حياة الصحابة، ونعيش بأنفسنا حياة شبيهة بحياة المنافقين واليهود، ما هي أخلاقنا الفردية ؟ وما هي سيرتنا الذاتية ؟ أليست شبيهة بما ورد عن المنافقين واليهود ؟.

فهل ينفع بعد ذلك كلامنا الكثير وعملنا لإصلاح الآخرين!؟

لقد ثبت في التاريخ أن عمل الإنسان يكون أسوة لغيره، فإذا كان صالحاً كانت الأسوة صالحة، و إذا كان فاسداً كانت الأسوة فاسدة، و أن الإنسان لا يستفيد من أكثر ما يستفيد به في حياته من الانتقاد و التوجيه الكلامي وحده، لأن كلام النصح لا ينظر إليه الناس إلا في مرآة حياته، فإذا وافقها استقبلوه وقدروه، وإذا لم يوافقها رفضوه أو سكتوا أمامه، ولم ينصحوا به إلا نادراً .

إننا نرى في حياة الرسول ﷺ أفضل أسوة و أرفع مستوى للسلوكيات الصالحة، ولذلك كم من الصحابة رضي الله عنهم دخلوا في الإسلام واختاروه منهجاً لحياتهم لمجرد أن التقوا بالرسول ﷺ ، ورأوا أخلاقه، وسمعوا كلامه الصادق مع ربه، والصادق مع نفسه، ودخلوا في الإسلام و قبلوه ديناً وشريعة لحياتهم، لما سمعوا كلام الله تعالى من فم رسوله العظيم ﷺ الذي كانت حياته أصلح أسوة للحياة، ذلك الكلام العظيم الذي لم يقدم إليهم نظريات أو فلسفة لحياتهم،

www.abulhasanalinadwi.org

بل ذكر لهم ما حسن من العقيدة والدين، وما حسن من السلوك والأخلاق، وضرب أمثلة لها من حياة الصالحين، وضرب أمثلة من المنحرفين الهالكين، فتأثروا بكل ذلك، وصاروا أفضل عباد الله جميعاً إلى يوم القيامة، ولكننا نرى اليوم أن كلام الخطباء والكتاب ومواعظ كثير من الناس وكلامهم عن غيرهم قد كثر وتوسع أكثر من ذي قبل أضعاف مرة، ولكن تأثيره نقص وتضاءل أضعاف مرة، وذلك لأن الناس ينتفعون من العمل أكثر من القول، ويتأثرون بالأسوة العملية أكثر وأسرع من أقوال النصح الخالية .

على كل فإن المفيد في هذا المجال هو أن يكون قولنا مؤزراً بعملنا ، وأن يبدأ أمرنا بإصلاح أنفسنا، فقد قال الله تعالى : **﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾** [١]، فجاء ذكر الإيمان والعلم أولاً والتوصية بالحق ثانياً .

و يأتي بعد إصلاح الرجل لنفسه إصلاح من يكون تحت رعايته و تربيته، فقد قال الرسول ﷺ: " كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته"[٢]، وذكر الله تعالى فلاح عباده بتواصيهم بالحق، وأثنى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيكون ترتيب العمل هو إصلاح الإنسان لنفسه أولاً، ثم لمن في مسئوليته ثانياً، ثم إصلاح الآخرين،

---

[١] – العصر

[٢] – صحيح البخاري، كتاب الجمعة، رقم: ٨٩٣، وصحيح مسلم، الإمارة، رقم: ١٨٢٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

ولا أقل على كل حال من أن يكون كلام الإنسان في ذم عمل غيره بعد أن يكون قد نزّه نفسه من هذا العمل. ولكن الموازين انقلبت اليوم عند كثير من الناس بحيث يكثرون لوم غيرهم ومذمتهم، وتكون أنفسهم واقعة في فساد وانحراف في ذلك، فنحن محتاجون إلى تصحيح الترتيب في عمل الإصلاح، فإن ذلك لائق بنا، ونافع لغيرنا أيضاً، والله ولي التوفيق .

www.abulhasanalinadwi.org

العمل الصامت و الإيمان الصامد و تربية الفرد والمجتمع عماد النهضة الإسلامية

لقد بذل القادة والزعماء في العقود الماضية في كافة أطراف العالم الإسلامي جهودهم لتحرير البلاد، ونهضة العباد، وقد خرجت بلاد وأوطان من الحكم الأجنبي المباشر، وعرف المسلمون كيف يتكلموا عن الإسلام، وكيف يستخدموا المصطلحات العلمية، والتعابير السياسية المعاصرة، وكيف يتحدثوا عن تطلعاتهم إلى المجد والعزة والقوة، وكيف يتظاهروا بمظاهر الأبهة الحضارية، ويرفلوا في ملابس الحضارة المزركشة، وتقاليد متطورة متطرفة راقية .

ولكن ذلك كله لم يزد المسلمين قوة حقيقية، ولم يغير من واقع الحياة كثيرا، فإن وضعهم في المجال الدولي لم يخرج من الضعف والهوان، ولم يتغير واقع بلادهم وأوطانهم عن السابق تغييرا كبيرا، فهي لا تزال البقر الحلوب وشعوبها مقهورة مسلوبة الاختيار فيما تريده وتحن إليه .

www.abulhasanalinadwi.org

كان يحكم بلاد الإسلام في الماضي حكام أجانب، والآن يحكمها عملاء للأجانب، كان أهل هذه البلاد في الماضي مقهورين سياسياً، أما الآن فهم مقهورون فكرياً وثقافياً .

كانوا في الماضي عبيداً للأجانب لم يكونوا يملكون حكم بلادهم بأنفسهم، فأرادوا أن يتحرروا، وكافحوا لذلك ونجحوا، ولكن ناب عن الأجانب مواطنون لا يقلون عن الأجانب في العداء لقيم البلاد، وضمائر شعوبها، يتبعون من أساليب حكم البلاد ومعاملة شعوبها ما اخترعها الاستعمار الأجنبي نفسه، وصدره إلى الشعوب الضعيفة، يستنزف بها طاقاتها، وهي أساليب الإعلام وزخرفة الكلام لحل أزماتها ومشاكلها، فلا تبقى لدى هذه الشعوب قوة معنوية تقوم بها في وجه العدو الحقيقي، فهي إذا غضبت لجأت إلى الحرب الكلامية، وإلى المؤتمرات، وإصدار القرارات، وهي كلها تذهب في الهواء .

إن أساليب الإعلام و المؤتمرات لحل المشاكل والأزمات قد ثبتت قلة جدواها، وإخفاقها في حل المعضلات، وقد أصبحت اليوم بمثابة موضة من موضات الحضارة الحديثة يتجمل بها المتعلمون، ويتزين بها المتطرفون من أهل السياسة، والمدنية الحديثة، وتبذل فيها طاقات وأموال قد يكون بذلها أكثر نفعاً وفائدة لو بذلت في مجال آخر .

إنه لا يزال تثبيت قاعدة المعنوية الحقيقية في نفوس أفراد الشعب هو أهم شيء، فهي التي كلما تضعف وتهون يهون الشعب،

www.abulhasanalinadwi.org

ويضيع أبناءه قوة وكرامة، فلا يملكون حتى رد كيد الأعداء، أو مقاومة هجماتها.

لقد كثر عدد المسلمين في العالم اليوم، وكثر عدد شعوبهم وحكوماتهم، وكثرت ثرواتهم، وتوفرت أصواتهم في الهيئة الدولية، ولكنهم ضعفاء، وقد لا يملكون مع كثرة دولهم من العمل ما تملكه دولة كبيرة واحدة في العالم، إذن ماذا يفيدنا الكلام وأساليب التفاخر الخالي.

إن المسلمين في حاجة إلى العمل الصامت، وإلى الإخلاص، وإلى الإيمان الصامد، وإلى تربية الفرد، وإعداد قبل الكلام والإعلام.

فلقد اهتم نبينا وقائدنا الأول سيدنا محمد رسول الله ﷺ بتربية النفوس والقلوب أولاً، وقضى في ذلك وقتا طويلا حتى أصبحت لديه ثلة مؤمنة قوية في إيمانها وإخلاصها وتفانيها لقيمها ومثلها، فقامت بالمعجزات، فلو أصبح فرد واحد اليوم على هذه الشاكلة الرفيعة لاستطاع أن يأتي بأغرب النتائج، فالمسلمون بحاجة إلى اختيار أسلوب التربية والبناء، وأسلوب العمل الصامت والاعتماد على العمل أكثر من الاعتماد على الكلام، سواء عرف الناس عنا، أو لم يعرفوا.

www.abulhasanalinadwi.org

كيف نواجه الغزو الفكري

www.abulhasanalinadwi.org

الاستعمار أمس و اليوم

لقد عاشت أقطار العالم الإسلامي، والمسلمون في أقطار الشرق خلال فترة الاستعمار الغربي لها في حالة ضعف واستكانة، ونفسية انهزامية، ومركب النقص، وذلك بسبب الضغط الاستعماري الغاشم، ولتخلف أهالي هذه الأقطار في الحياة المدنية ومجال العلم، و رافق ذلك شعورهم بالكبت واليأس، ولكن الله ألهم طائفة من عباده الهمة لمواجهة الحالة، ولإنعاش مجتمعاتهم المتخلفة في الحياة، فظهرت جهود أثرت على مشاعر أبناء هذه البلاد وأفكارهم، وبدأ شيء من اليقظة والنشاط في طائفة منهم، فبذلوا سعيهم لمقاومة الغلبة الأجنبية الاستعمارية أولاً، وافتقر النجاح في ذلك إلى جهد طويل ومدة مديدة إلى أن نشبت الحرب العالمية الأخيرة في نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي، وأنتجت فيما أنتجت ضعفاً في القوى الاستعمارية، وصعب عليها مواصلة سيطرتها على أقطار الشرق، فبدأت تستجيب بقدر ما لطلب الاستقلال إلى أن بدأت الأقطار الشرقية تنال استقلالاً من الاستعمار، وبدأت تتحرر أقطار تلو أقطار في نتيجة ذلك، ولكن أبناء هذه الأقطار كانوا قد نشأوا وتربوا تحت النظام التربوي الذي نفذه

www.abulhasanalinadwi.org

الحكام الأجانب في هذه البلاد المغلوبة على أمرها وفق أهداف الاستعمار المخالفة لأهدافها الوطنية الشرقية والإسلامية .

فكانت مغادرة القوى الاستعمارية من هذه الأقطار مغادرة عسكرية واصطلاحية، لأن الحكومة الاستعمارية كانت قد أنشأت فيها طائفة من رجال الفكر والسياسة لا تنظر إلى دول الغرب وحضارتها إلا بعين الإكبار والتمجيد، بل كانت تضمر في نفوسها إيماناً بعظمتها وحقها وجدارتها بالسيادة في كل العالم، وبقيت هذه الطائفة من أبناء البلاد مخلصة للقوى الاستعمارية، وحمل أفرادها مسئولية الحكم في البلاد أيضاً، وأشرفوا على نظم التربية والتعليم أيضاً فيها يصوغونها كما صاغتها القوى الغربية على المناهج الغربية، فبقي تأثير القوى الغربية في أذهان الناشئة وعقولها في مجال الفكر والسياسة، والاتجاهات الثقافية لهذه البلاد، واستغلت القوى الاستعمارية هذا الوضع من خارج البلاد، وتعاون معها المؤمنون بعظمتها وجدارتها للسيادة الفكرية والسياسة العملية من الداخل .

ولكن أصحاب الفكر الوطني والديني السليم انتقدوا هذا الوضع المحزن، فبدأ التشاجر بين قوى المعسكرين، وحدثت اصطدامات فكرية بينهما، وساندت القوى الاستعمارية من الخارج مناصريها في داخل البلاد، وتدخلت خفية في شؤونها السياسية، وأفضى أمر البلاد إلى حدوث ثورات عسكرية في عديد من هذه البلاد وبخاصة في منطقة الشرق الأوسط، وحدثت الفوضى السياسية والفكرية في الحياة، وبقيت القوى الغربية تؤثر فيها بوسائلها العلمية

www.abulhasanalinadwi.org

والسياسية والاقتصادية وتضع ثقلها على المواقف السياسية والفكرية، والأوضاع الاقتصادية لهذه البلاد، واستخدمت طريق الحيل والمكايد أيضاً، ولا تزال تستخدمها، وإنها ضربت حكومات هذه الدول بعضها ببعض، فنشبت حروب بين الأقطار الشرقية كان من وراءها توجيه خفي وظاهر من هذه القوى الغربية، وهي التي استفادت أكثر من نتائجها.

ثم خطت القوى الغربية خطوة أخرى، واختارت مكايد للقضاء على حمية أبناء هذه الدول الدينية وعزتهم الإسلامية، وكانت هذه الحمية تنبع في المسلمين من تعاليم دينهم وعقيدته، وهي تحمل أصحابها على معارضة الشر والظلم، وتحمل على مخالفة أهداف الغرب الاستعمارية، فاتهمتها القوى الغربية بالرجعية، ثم بالإرهاب، وقامت لمحاربتها واستهدفت كل الجهود الدينية والأعمال المتصلة بها في هذه الأقطار تسعى للقضاء على كل مقاومة لظلمها واعتداءاتها، واتخذت وسائل مختلفة لاتهام القوى الدينية حتى بحوادث مفتعلة وبخاصة بحادثة ١١ سبتمبر في نيويورك، فقد أكثرت الدعاية عليها، وجندت بناءاً على ذلك للقضاء على قوة المسلمين المعنوية وحميتهم الدينية كل السبل المؤثرة والوسائل في كافة الأوطان الإسلامية، وبحيث إن قوة المسلمين المعنوية وحميتهم الدينية كانت تنبع من المدارس الإسلامية ومراكز الدعوة والتربية الدينية، فأرادت اقتلاع جذور هذه القوة الدينية التي هي مبعث الاحتجاج ضد الظلم، وحث الناس على العدالة والحق، وبذلك أصبح العالم الإسلامي في حالة

www.abulhasanalinadwi.org

المواجهة لحرب ضروس وفي مواجهة عنيفة من القوى المعادية ضد اتجاهاتهم الدينية، والفكرية السليمة، وصار الوضع معقداً شائكاً بالغ الخطورة، وأصبحت معاهد التربية الدينية والتعليم الإسلامي والجهود الدعوية والدينية في كافة الأقطار الإسلامية هدفاً لهذه الحرب المعنوية ضدها التي تحمل أعمال الضغط والقمع والاضطهاد المختلفة .

ومن الأسباب الأخرى وراء هذه الحملة الضروس من القوى الغربية هي رغبة هذه القوى المعتدية أن تسيطر أيضاً على مناطق العالم الغنية بالخامات، وهي كثيرة مكتظة في مناطق الشرق العربي والإسلامي، تريد هذه القوى المعتدية أن تستغلها لنفسها لترقية اقتصادها، وتريد مع ذلك بسط سلطانها السياسي على العالم كله، وفق نظامها العالمي المقترح الجديد الأمريكي، وذلك بإخضاع الشعوب كلها تحت سلطان واحد، و وجدت القوى القائدة لهذا النظام خير معاونيها لتنفيذ برامجها رجالاً من ذوي السلطان من نفس البلدان الشرقية، وهم ربائب الفكر الغربي، والمصابون أمامها بمركب النقص، وهم يملكون حكم البلاد، ولا يرون لأنفسهم البقاء على حكم بلدانهم إلا بمساعدة هذه القوى الغربية الطاغية، فالمسلمون المحافظون في العالم أصبحوا يواجهون المشقة والبلاء حتى من أبناء وطنهم الذين لهم سلطان على البلاد، وكذلك من النظام الذي يغزوهم من الخارج، وبذلك أصبح الوضع للعالم الإسلامي كله وضعاً قاسياً ومضطرباً فهو يفتقر إلى كثير من الحكمة والتدبير مع الرعاية للظروف الراهنة، ندعو الله تعالى بالرحمة والخلاص من هذا الوضع القاسي الراهن .

www.abulhasanalinadwi.org

العالم الإسلامي في وجه الغزو الحضاري

يعاني العالم الإنساني اليوم بأقطاره المختلفة من أنواع مختلفة من الفساد الخلقي والإنساني الشامل انتشرت في الشرق والغرب جميعاً، وذلك في نتيجة ما يقوم به زعماء المدنية الغربية والحضارة الأوربية الحديثة، وقادتها للسياسة والتوجيه والتربية من اتباع لأهواءهم السياسية المتغطرسة، ورغباتهم الفردية والاجتماعية الجامحة، أفسدوا بذلك مناهج السياسة وأوضاع الاجتماع في المجمتعات الراقية والنامية، فسرت فيها الوقاحة والظلم للوصول إلى أغراضهم بأي طريق ممكن، وعمت صور الرذيلة وأشكال الخلاعة، ولم يبق في الناس من الحياء ويقظة الضمير ما يمنعهم من كل ذلك، وسمّوا أعمالهم وأفكارهم بغير أسماءها، فسمّوا الكذب دهاءاً، والمكر والخديعة ذكاءاً، والختل شطارة، والخيانة ضرورة، والخلاعة ترفيهاً، والفسوق لهواً بريئاً، وتكميم الأفواه وتعذيب المعارضين إصلاحاً وتقويماً، والاستبداد تصحيحاً للأوضاع، والدعايات الكاذبة تصحيحاً للأخطاء وتوجيهاً، وسلب الحريات بسطاً للأمن وتدعيماً

www.abulhasanalinadwi.org

للنظام .

أما الصدق والأمانة والعفاف والضمير فهي في نظرهم مصطلحات يمكن أن يتمتع بسماعها واستعمالها بمثلما يتمتع بالاستماع إلى شعر ممتع أو كلام طيب، وبذلك تغير كل شيء، وأصبحت المعاني القديمة كلمات ومصطلحات يليق بها أن تستخدم للزينة في الكلام، لا صفات وأخلاقاً للتحلي بها، حصل كل ذلك بتأثير المدنية الغربية التي جعلت الأهمية كل الأهمية للوصول إلى أهداف استغلالية واستعمارية معينة، وهي تستخدم في ذلك وسائل العلم والمعرفة المجردة البعيدة عن التوجيه السماوي والوحي الإلهي، وما أتى به الأنبياء والرسل من ربهم لهداية الناس، ولإنقاذهم من التفسخ والانحراف والفساد، لقد صار الوضع الحالي بذلك في عالمينا الراقي والنامي كليهما هو النفاق والتظاهر بالصفاء، ونجد ذلك واضحاً في سيرة زعماء اليوم وقادته وساسته ممن بيدهم التصرف بشؤون البلاد والعباد، لأنهم يملكون أسباب النفوذ والسلطان، ويحركهم عقلاء الصهاينة عن طريق تلاميذهم وعملاءهم والتابعين لثقافتهم و فكرهم في بلاد الشرق، ولقد صار ذلك بلاءاً عالمياً يكتوي به بصورة كبيرة أبناء الإسلام ممن يسعون للمحافظة على القيم، وعلى الأخلاق، وعلى السيرة المستقيمة، لأنهم هم الذين انقلب في حقهم مصطلحات المدنية والحضارة، حيث إنهم إذا اجتهدوا أن يختاروا الصلاح والعفاف اتهموا بالسعاية والدسيسة ضد أمن البلاد، وإذا أرادوا المحافظة على القيم الموروثة اتهموا بأنهم إرهابيون يريدون إفساد أمن البلاد، وإذا

www.abulhasanalinadwi.org

تدينوا بالعبادة في مساجدهم والالتحاء في وجوههم فيتهمون بأنهم يحيكون المؤامرة ضد الحكم والنظام.

و لكننا إذا رفعنا الغطاء عن أحوال هؤلاء المتصرفين بشؤون البلاد لوجدنا فيهم بالعكس من أبناء شعوبهم واقعاً خسيساً، وأمراً معكوساً، وسياسة مأجورة، وحالة خليعة في عامة حياتهم .

لقد مر شرقنا قبل عقود من السنين من ضغط استعمارين إثنين قاما بدهاءهما ودبلوماسيتهما الماكرة، أحدهما استعمار سياسي وحكومي كانت تتزعمه الدول الراقية ذات العتاد والسلطان في العالم، وآخرهما استعمار خلقي أتى به اليهود الصهيونيون، وهو الذي سعى كل السعي للقضاء على الأعراف القديمة والقيم الصالحة، ولإزالة الصلاح والحياء من النفوس والقلوب ليصير بذلك العالم كله متهافتاً ومتفسخاً، يمكن فيه التصرف لليهود بشؤونه الخلقية وخصائصه الإنسانية كما يشاءون، لقد سيطر هؤلاء الصهيانة أولاً على وسائل الاقتصاد والإعلام في أوربا وأمريكا، ومن سيرطتهم هذه سيطروا على الاقتصاد والإعلام في العالم، وملكوا زمام التربية والتوجيه في الشعوب والبلاد، وكان من نتيجة ذلك أن نشأ جيل بكامله يخضع لهم عقلياً و نفسياً .

وصار عدد من أبناء هذا الجيل وسطاء مخلصين لسادتهم في الغرب، يشتغلون ضد شعوبهم وبلادهم لتنفيذ الخطط المرسومة من زعماء الغرب لتجريد بلاد الشرق وأبناءه من خصائصهم وسماتهم الخيرة، وتربيتهم على الكيد والختل، والدبلوماسية الفاتنة التي

www.abulhasanalinadwi.org

بجنب فتنتها لا تقصر عن أي قهر وقمع، وفي تنفيذ أي خطة مهما كانت ظالمة، ومهما كانت بعيدة عن تقاليد أمتهم وشعوبهم وقيمها ومثلها وآدابها .

وليس كلامي هذا حديثا جزافا، فإنما نرى بوضوح ما يتجدد في أقطار العالم الإسلامي اليوم من تهافت الأوضاع القديمة، وسقوط القيم الموروثة، ونبذ الدين والأخلاق، وتجرد من معاني الفضيلة، والأمانة، والإخلاص، و دخول البلاد في هتافات لا تعود على أهلها إلا بالذوبان الداخلي والاندحار الخارجي .

إنما وقع كل ذلك لأن القيادة والسياسة الفكرية والاقتصادية صارت تابعة لإرادة الاستعمار الغربي، وخاضعة للفكر الوافد المعادي للدين، رغم أن الجماهير المسلمة لا تزال بخير، فإنها تحمل في نفوسها تقديرا لقيمها الأصيلة، ولا تقبل القيم الوافدة إلا بغير أريحية لها، كما أنها تفتح آذانها لأصوات مخلصيها من المحافظين عن الدين، والمنادين بالقيم الصالحة الكريمة، فهي في واد، وقيادتها المستسلمة للغرب في واد آخر .

إنه وضع خاسر للشرق أمام سلطان قاهر للغرب، وقد حصل ذلك لاستلامنا لمناهج الاستعمار والصهيونية التعليمية والإعلامية، فإننا لم نضع لنا مناهج تتلائم مع فكرنا الشرقي والإسلامي وطبيعتنا الشرقية والإسلامية، أصبحنا متطفلين في كل شيء على الغرب، نأخذ منه كل شيء، ولا نختار منه ما يمتاز به اختيارا بمقتضى طبيعتنا وقيمنا، بل إنما نأخذ ما نأخذه جزافا، ولكن الأوان قد حان للاطلاع

www.abulhasanalinadwi.org

على ما هو صالح لنا، فنأخذه، وما هو فاسد لنا، فنتركه .

لقد بدأ عقلاء المسلمين يفطنون للواقع، وبدأوا ينادون بتصحيح الأوضاع، وذلك يبعث على الأمل، فإننا بحاجة إلى يقظة وعمل أكبر وأكبر، حتى لا تفلت فرصة الاستدراك والنجاة، فهنيئاً لمن يكافحون الفساد والتفسخ، ويقاومون قوى الضلال والإضلال، ويستخدمون أقوى أسباب التأثير، وهو استخدام التعليم، والإعلام بأنواعه المقروء والمسموع والمرئي كلها، فإن جهودهم في ذلك بمثابة قارب النجاة في خضم السيل العارم من وسائل الإفساد وأسباب الإضلال .

www.abulhasanalinadwi.org

تطوير الحياة الإسلامية عقلياً و ثقافياً لمواجهة الغزو الفكري

واجه العالم الإسلامي في عهده الأخير غزواً فكرياً كاسحاً من الجهات الأوربية، وهي محنة قلما واجه الإسلام والمسلمون في تاريخهم مثلها، وقد اشتغلت عقول المفكرين الإسلاميين بحل المشكلات التي نبعت من هذه المحنة، ولكنهم لم يصلوا بجهودهم إلى الآن إلى نتائج سارة، ولم يتمكنوا من أن يقيموا سداً منيعاً على التيار الثقافي و الفكري الغربي الذي يريد تمويع الإسلام .

ولقد أثر هذا التيار العاتي من الغزو الأوربي على أوساط المسلمين المختلفة، وعم في ديارهم وأوطانهم .

وكان أثره كالوباء فلا يكاد يخلو بيت من بيوت المسلمين، ولا بيئة من بيئات العالم الإسلامي ولا عائلة من عوائله من آثار هذا الغزو، وهي حالة تبعث على الأسى والأسف، وتبعث أحياناً على اليأس .

ولا أقول ذلك جزافاً بل أرى ويرى كل مطلع على أحوال الشباب الإسلامي وأفراد الجيل الناشئ الذي نشأ تحت التربية

www.abulhasanalinadwi.org

اللاإسلامية، وأمام التيارات الفكرية المعادية أن شبابنا اليوم لا يتنكرون للأفكار الإسلامية والتعاليم الدينية فحسب، بل إنما بلغ بهم البعد عن الدين إلى أنهم يسخرون من أفكاره وتعاليمه، ويستهينون بها غير أن سخريتهم هذه لا تظهر إلا أمام من لا يخافون منهم على منافعهم المادية، أما بين من يملكون لهم نفعاً أو ضرراً مادياً من أصحاب الإيمان والغيرة الدينية، فلا يتظاهرون أمامهم إلا بالإيمان والاحترام للتعاليم النبوية الكريمة، وهنا ينخدع كثير من الناس عن حالتهم الحقيقية إذ لا يستطيع كثير منا أن يعرفوا مدى انحراف الجيل الجديد عن الإيمان بدينه، وتمرده على مثله وإنكاره لشريعته، مع أن تأثير الفكر الأوربي قد نخر باطن أبناء هذا الجيل وفتنه فتنة شديدة، فلم يعدوا يؤمنون بالقواعد الثابتة للعقيدة الإسلامية، ولا يضمرون في أنفسهم إكراماً لها غير أنهم لا يريدون كشف ذلك للناس حفاظاً لمصلحتهم المادية، فلقد كسبهم الفكر كسباً، وأحرز عليهم انتصاراً، وملك ناصية عقليتهم وفكرهم، وسيطر على ميولهم و رغباتهم .

و اختار المفكرون الغربيون في ذلك طريقة تمويع قيمة الإسلام بسعي إثباته في نظر أغرار الفكر من المسلمين مخالفا للعقل، وغير مزاع للتقدم العلمي وطبيعة الحياة، فقد يتحدثون عن قوانين العقوبات الإسلامية فيصفونها بعدم صلاحيتها لمجاراة الحياة، ويتحدثون عن تاريخ انتشار الإسلام فيصفونه بسفك الدماء والقهر والظلم، ويستوي في ذلك من الغربيين من يعادي الإسلام عداءً سافراً، ومن يظهر العطف

www.abulhasanalinadwi.org

والصداقة كالمستشرقين، وحيث إن الغرب دام في القرنين الأخيرين زعيماً وقائداً للعالم النامي، وكانت المناهج التعليمية والمؤلفات الفكرية والأدبية تصاغ تحت إشراف رجاله، وتدرس تحت توجيهاته، فكان بوسعهم أن يشوهوا الحقائق الإسلامية أو يتعرضوا لها من الجانب السلبي بحيث يناسب ذلك فكرتهم و أغراضهم العدائية، وقضى العالم الإسلامي مدة بقاء الاستعمار الغربي في بلاده مكتوف الأيدي لا يستطيع رد الهجمات الفكرية والأدبية على الإسلام، وبذلك نشأت أجياله في هذه المدة تحت تأثير توجيه الغرب الأدبي والفكري فتأثرت به إلى حد كبير .

ولكن المسلمين اليوم قد تحرروا من الحكم الأجنبي في أكثر أقطارهم، وملكوا أزمة نظمهم التربوية بأنفسهم، وعندهم القدرة الكافية لصياغة هذه النظم وفق مصالحهم العقلية والخلقية والثقافية والدينية، فعليهم أن يعتنوا ببناء كيانهم ومجتمعهم الأصيل بتنظيم أسس التربية ومناهجها تنظيماً إسلامياً لائقاً .

وتنظيم التربية على الأسس الإسلامية ضرورة كبيرة للمجتمع لا ينكر أهميتها اليوم أحد، والمهم أن الأمر في حاجة إلى بذل الجهود في جهات مختلفة بدقة وشمول، لأنه ليس العمل في أمة بكر في فكرها وسيرتها وأخلاقها وثقافتها، بل إنما العمل في أمة انهزمت أمام موجات فكرية قامت التربية الأجنبية بدفعها إليها .

ومن جوانب العمل في هذه الشأن وضع المناهج التربوية والمقررات الدراسية، وهو يجب أن يكون في كافة مجالات العلم

www.abulhasanalinadwi.org

والمعرفة، وأن تكون صياغتها في قوالب علمية وأدبية مختلفة غير القوالب التي صاغها أبناء الفكرة الغربية وتلاميذهم في الشرق الإسلامي، ومما يبعث على السرور أن جهودا إسلامية قد بدأت منذ قريب لوضع مناهج إسلامية، ولكنها لا تزال في البداية، وفي حاجة إلى دقة وشمول.

ومن أقسام العمل في هذا الشأن هو تنظيم مجامع وأكاديميات علمية في كل قطر من أقطار الإسلام تشتغل بالفحص عن الأدواء الخلقية والدينية والثقافية التي أصيبت المجتمعات الإسلامية بها بتأثير الغزو الفكري، والمناهج التربوية المنافية للإسلام، وبتأثير التخلف الطويل الذي مرت من خلاله مجتمعاتنا الشرقية، فإننا في حاجة إلى الاطلاع على هذه الأدواء حتى يمكن لنا إزالتها والتغلب عليها.

كما أننا نحتاج مع كل ذلك إلى إيجاد المناعة والحصانة في نفوس أجيالنا بحيث تحفظها من التأثير الخارجي، ونحتاج إلى ترسيخ دعائم القوة والإيمان في نفوسها، حتى لا تنخذل بسهولة ويسر أمام أي تيار فكري يغزوها من الخارج.

وهناك جانب آخر من الصيانة من تأثير الغزو المعادي، وهو اختيار الحمية، فإن العلاج والدواء مهما كان مفيدا ومؤثرا يضعف تأثيره، بل ويضيع أحيانا إذا فقدت الحمية، والحمية في هذا المجال هي صيانة أبناء الأمة من التأثير المضاد.

إن الفكرة الإسلامية لا يمكن أن ترسخ وتقوى في العقول والأذهان إلا إذا خلا الجو لنموها ورسوخها، أما إذا زاحمتها أفكار

www.abulhasanalinadwi.org

مضادة ومعارضة ، فإنها تذبل وتنقص ، وإن العالم الإسلامي مع كل أسف مواجه لهذه المعارضات، والمضادات، فإن الأفكار والنظريات من كل نوع ولون ترد في بلاد الإسلام، وتحل في عقول أبناءها وتستهويها استهواءاً، وتقتنص الفجة منها اقتناصاً، نحن لا نمانع الاتصال العلمي بالغرب، بل قد نكون ملزمين بالاقتباس من الغرب والاستفادة منه فيما ينفعنا في كثير من جوانب حياتنا الضعيفة، ومنها ما نحتاج إليه على الصعيد العلمي، وعلى الصعيد الأدبي .

و لكن الذي لا يقل أهمية كذلك هو أنه يجب أن لا تكون استفادتنا هذه على حساب قيمنا الأصيلة ومثلنا الرفيعة، بل من الأفضل لنا أن نقلل بقدر استطاعتنا من احتياجنا إلى من لا يتفق دينهم مع ديننا، وأخلاقهم مع أخلاقنا، وقيمهم مع قيمنا، ويجب أن لا ندعى لأنفسنا قوة تتكفل كل صيانة وحفظ، فإن الشيطان يدخل في العقل من حيث لا نعلم .

على كل فإن الانتصارات الفكرية المعادية التي أحرزها الغرب طيلة سلطانه في شعوب الشرق الإسلامية لا يمكن إزالة تأثيرها وإعادة المجتمعات الإسلامية إلى أصالتها إلا بتنظيم جهود دقيقة وشاملة تغطي كل جوانب الحياة الإسلامية العقلية والأدبية، وهذا التنظيم مفتقر إلى خبرات مخلصة، وعقول مؤمنة، وجهود لا يوجهها إلا الإسلام، ولا يغذيها إلا الإيمان بشرف الدين الإسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان، وإلى اختيار الحمية، فإن الحمية نصف العلاج، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

www.abulhasanalinadwi.org

الغزو الفكري والثقافي والمنهج الأفضل لمواجهته

لا شك أن الإسلام يواجه اليوم في مختلف دياره وأقطاره تحديات شديدة، منها الغزو الثقافي الذي اكتسحت به أوربا أقطار الإسلام وشعوبه، وأحدثت به في اتجاهات الجيل الإسلامي وأخلاقه وآدابه انقلاباً هائلاً، وفي أفكاره وأخلاقه وآدابه تغييراً كبيراً .

وقد حدث ذلك لتفوق أوربا في القوة السياسية ولتقدمها في العلوم التجريبية والاكتشافات الجديدة، ولانتصاراتها في كسب المعرفة لأسرار المادة، واستعملت أوربا كل هذه القوة والتقدم الذي أحرزته في ميادين الاكتشافات المادية، والاستهتار بالأمم الضعيفة، والضغط عليها لتكييفها لمنافع نفسها واستغلال مواهب هذه الأمم وطاقاتها المختلفة لمصالحها الاستعمارية، ولأغراضها وأهدافها الخاصة، لا لأغراض هذه الشعوب و أهدافها .

وكانت الأمة الإسلامية من أكثر الأمم والشعوب ضحية لهذا

www.abulhasanalinadwi.org

الضغط والتغيير، لأنها كانت لقرون عديدة منافسة للأمم الغربية، بل متفوقة عليها في ميادين الحياة الكثيرة، فنشأت العداوة للإسلام في قلوب أبناء إلغرب و زعمائه منذ ذلك الوقت، واستمرت مع مرّ القرون والأجيال، ولم تخل قلوبهم من الحقد وطلب الثأر من الإسلام والمسلمين، بل دأبت أيديهم المكشوفة والخفية أيضاً تعمل للانتقام والنيل من الإسلام، ومن كل ما يتصل به من مجد وفخار، وكان عقلاؤهم ومثقفوهم في مقدمة الجند الذي يعمل لهذا الغرض إلى يومنا هذا، وقد نجحت أوربا في خطتها أعظم النجاح بحيث استطاعت تحطيم القوة المعنوية الصامدة، وإذابتها من أغلب أفراد الجيل الناهض من هذه الأمة، وحطمت بذلك قوتها الأساسية في الحياة، وجعلت بذلك أمة الإسلام اليوم فريسة لكل فوضى واضطراب فيما يتصل بدينها وثقافتها وأمجادها، وذلك لأن الطبقة المثقفة بالثقافة الجديدة انبهرت أمام بريق المدنية الغربية الخلابة، وخضعت لتوجيهات مفكريها و رجالها في كل مجالات الحياة من فكرية وثقافية و روحية، وأصبح أفرادها بتأثير السموم التي بثتها أوربا في نفوسهم من خلال التعليم والتربية اللذين تلقوهما على أساتذتها وموجهيها عديمي الثقة والإيمان بقيمة ما ورثوه من أسلاف أمتهم من تراث ديني وفكري وثقافي، وصاروا بتأثير ذلك كله فاقدين للانسجام النفسي والعقلي مع باقي طبقات أمتهم وبعيدين عنها في التفكير والشعور بآلام الأمة وآمالها، واشتد البعد مع مضي الأيام بين هذه الطبقة وبين الطبقات الأخرى من الأمة الإسلامية إلى أن أصبحت

www.abulhasanalinadwi.org

طبقة المثقفين هذه ترى نفسها أوفق وأقرب إلى أوربا في تفكيرها وشعورها وفهمها للأوضاع والآلام والآمال، بل وأصبحت هذه الطبقة أكثر انسجاماً مع الأفكار الأوربية، فهي تسعى لتنزع عن هذه البلاد وعن شعوبها مسحتها الطبيعية الأصيلة، وتطبعها بمسحة مستوردة مهما خالفت هذه المسحة طبيعتها ومصالحها ومقتضياتها.

وهذا يحتاج إلى جهود جبارة وعمل مرهق مخلص طويل لفتح عقول هذه الطبقة للإسلام و ثقافة المسلمين الصالحة، فإذا صلحت هذه الطبقة، فالرجاء أن تصلح شعوب البلاد كلها، وتنال بلادها كل خير وتقدم وازدهار، فلابد من البحث عن الوسائل الجدية لإمالة هذه الطبقة، وإعادتها إلى ذاتيتها الإسلامية، وإلى أصالتها الدينية والفكرية، وبذلك يمكن أن تنشأ بين هذه الطريقة وبين منابع الإيمان والثقة بالإسلام صلات تمهد لها الطريق للنظر في تراثها الإسلامي الصحيح، والتفهم له والاستفادة منه، ومن خلال هذه الوسائل نستطيع أن نستلفت عناية أفراد هذه الطبقة إلى تلاوة كتاب الله تعالى تلاوة تأمل وإساغة، كأنه كتاب جديد ينزل على قلب التالي من السماء، وهو يصغي إلى ما فيه ويتفهم معانيه بنفس صافية بسيطة لا بنفسية معقدة، وإلى قراءة كتب الحديث الشريف وهو يعترف بما فيها من خير وفضيلة وينتفع بها، وإلى مطالعة كتب فيها صور الإيمان والولاء للرعيل الأول من أبناء الإسلام، وبيان أحوال الحياة التي مرت من خلالها الدعوة الإسلامية في عهود تضحيتها وكفاحها، ومدى القوة المعنوية التي كانت تملكها، فقد زحزحت الجبال،

www.abulhasanalinadwi.org

وحطمت الصخور، و أذابت جلاميد القلوب وقلبت أعتى التيارات، وبيان ما كان فيها مع كل ذلك من محبة وإنسانية وحنان، وذلك الجانب الذي يوجد في حياة الدعوة، والجهاد التي اتصف بها الأسلاف الأوائل في كتب تتحدث عن ذلك بأسلوب طبيعي بليغ، وأرى في الدرجة الأولى من التأثير من هذه الكتب كتب سيرة الرسول عليه السلام، وسيرة أصحابه البررة الكرام، وسير الأعلام من أوفياء الإسلام .

هذه ناحية واحدة، والناحية الأخرى هي أن يستلفت النظر أيضاً إلى مطالعة بحوث و دراسات تكشف القناع عن الحقيقة الإسلامية، وتثير جوانب أظلمت في نظر المثقفين اليوم من تعاليم الإسلام وما يقدمه الإسلام من حلول المعضلات للحياة الراهنة ومتطلباتها في ميادين العلم والسياسة والاجتماع، وما يعطيه من إرشادات وتوجيهات حول النفس والأخلاق، وأرى في ذلك من المناسب أن يلفت نظر هذه الطبقة إلى مطالعة كتب المؤلفين والمفكرين الذين أحسنوا العرض لأفكار الإسلام، وأجادوا الشرح لتعاليم الدين، وبأسلوب يتفق مع أذهان الجيل الجديد والشباب المثقف من المسلمين، ومن هؤلاء الكتاب الباحثين على سبيل المثال الشهيد سيد قطب، والمرحوم مصطفى السباعي، وفضيلة الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي، وفضيلة الأستاذ أبي الأعلى المودودي، والأستاذ الشيخ محمد الغزالي، والأستاذ مالك بن نبي، والأستاذ الدكتور محمد محمد حسين، والأستاذ محمد قطب، وغيرهم، وهم بفضل الله

www.abulhasanalinadwi.org

كثيرون اليوم، ولهم بحوث ومؤلفات في مختلف القضايا التي تحتاج إلى شرح و إيضاح للشباب الحريص على فهم الفكر الإسلامي، والحريص على المحافظة على تراث آبائه وأجداده من أعلام التاريخ، ورجالات الإنسانية، كما نجد من رجالات الفكر الإسلامي الذين نشأوا في مهاد الفكرة الغربية وأجادوا فهمها، ثم منَّ الله عليهم بالإيمان بجمال الإسلام والرفض لمادية الكفر والإلحاد مثل الأستاذ محمد أسعد النمساوي، والسيدة الفاضلة مريم جميلة الأمريكية، وهما يكتبان باللغة الإنجليزية، فكتاباتهم كذلك تعطي زاداً مفيداً لائقاً بكل تقدير واستفادة، فنلفت نظر الشباب إليها .

وأهم شيء في صدد إنقاذ أجيال الإسلام المنهزمة أمام الغزو الثقافي الغربي، وإعادتها من مجالات الشك والانحراف والفساد إلى حظيرة اليقين الإسلامي، هو إبعاد أسباب الإغراء الحضاري الغربي عن أبصار أجيالنا وعن قلوبنا، فإ ن هذه الأجيال ما دامت تسبح في بحر المغريات المادية والحضارة الغربية لا يرجى أن تنفع فيها وسائل إصلاحها وإعادتها إلى الإيمان بدينها والثقة بقيم الإسلام الفاضلة التي سبقت لها في التاريخ الماضي أروع الأمثلة .

ولكننا إذا لم نستطع إبعاد الإغراءات المادية والحضارية الغازية للنفوس والقلوب في العالم كله فيجب إيجاد قوى وطاقات يكون تأثيرها أقوى من تأثير هذه الإغراءات، ويكون جذبها أشد من جذب المؤثرات الطاغية اليوم، وإن هذه القوى والطاقات هي قوى المعنوية الإسلامية التي تتمثل في أفراد الناس ومجتمعاتهم، فإنها

www.abulhasanalinadwi.org

تكون كفيلة بتجنيب نفوس كثيرة من الأوحال، لأنها تملك مغناطيسية الإيمان في حياتها، فقد كان عدد كبير من أسلافنا يملكون هذه المغناطيسية في حياتهم، وبها مثلوا دوراً رائعاً لإنقاذ أفواج وأجيال من الناس من الضلال والفساد، وإدخالها في النور الإسلامي الوهاج، فكم آمنت بالإسلام شعوب بأسرها، ودخلت في الإسلام بلاد بسائرها، وتطلعت أفواج من الناس إلى حظيرة الإيمان بتأثير أفراد من هذه القبيل، نجد قصص ذلك في تاريخ الدعوة والإيمان الموجود في بطون الكتب، فإنما يجب أن تبرز للناس شخصيات عملاقة في إيمانها وثقتها بالدين وحفاظها على شعائر الإسلام ومبادئه بحيث إذا رؤيت هذه الشخصيات فكأنما رؤي الإسلام مصوراً فيها، يشع الإيمان من أعمالها، وتظهر الثقة الإسلامية من أفكارها و وجهات نظرها، ومع ذلك تعمل مغناطيسيتها الإيمانية في القلوب والنفوس التي تتصل بها، فهي تعمل بقوتها في النفوس والعقول، فإن مثل هذه الشخصيات العملاقة إذا وجدت في عدد ما في كل قطر إسلامي، فإن وجودها لكفيل إلى حد كبير بإثارة الإيمان الجامد في النفوس وإعادة الثقة إلى الإسلام، وإلقاء جموع المسلمين على جادة الحق وإعادتها إلى التمسك بالذاتية الإسلامية السامية التي نشكو من انهيارها من شعوب وأجيالها الحاضرة اليوم، ولكننا لا نستغني مع وجود هذه الشخصيات الإسلامية المشعة بالإيمان والثقة بجدارة الإسلام في كل زمان ومكان عن إنشاء مجتمعات كذلك في كل مكان تكون أجواءها خالية من

www.abulhasanalinadwi.org

مغريات الحضارات المادية، ومن الأفكار الأوربية الغازية للشرق اليوم، مجتمعات يجد فيها كل من يعيش فيها أو من يبذل فيها زمنا من أوقاته جو الفضيلة، والبراءة، والإنسانية، وحب الخير، يتقي أفرادها ربهم ، ويخافون عقاب الآخرة، ويرجون ثواب الجنة، ويرون اتباع الصحابة ومن تبعهم بإحسان من أسلافنا العظماء، وفي سيرتهم وأخلاقهم أكبر فضيلة، وأعظم سعادة في حياتهم، ويجب أن تستخدم هذه المجتمعات الفاضلة كمدارس لبناء السيرة لكل من يخاف على دينه وأخلاقه من الفساد والانحراف .

هذه هي الطرق التي أجدها صالحة للتأثير المطلوب لإعادة الأجيال الصاعدة اليوم إلى الإيمان والإسلام، وبها تنجح إلى حد كبير إن شاء الله خطوة لإنقاذ النفوس المذبذبة في حق الإيمان والإسلام، ولمقاومة ما وقع فيها من الزيغ والفساد، وإعادة هذه النفوس إلى مكانتها الأصيلة من الوفاء لدينها، والسير على ما يملي هذا الدين عليها من هدى وإرشاد وهي :

١- طريقة الاستفادة الفكرية، والاقتناع القلبي بمعالجة السيرة الصالحة، ومطالعة الكتب المفيدة .

٢- طريقة الاستفادة الشخصية الحاصلة من فرد لفرد .

٣- طريقة الاصطباغ بصبغة البيئة والوسط .

فإن هذه الطرق الثلاث إذا استطعنا من استخدامها فإنما يرجى من وراءها نتائج حسنة عظيمة حقا، والله هو الموفق للخير والصواب، وبه الثقة في كل الأمور .

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمون والتحديات المعاصرة

إن حالة الضعف والمهانة التي يمر من خلالها عالمنا الإسلامي منذ مدة من الزمن هي نتيجة لتقصيرنا في معالجة الوضع في وقته المناسب، ولتقصيرنا في تربية النشء الإسلامي تربية لائقة بقيمه الإسلامية، ثم تقصيرنا في تنظيم مخلص للعمل الشعبي، فإن الغرب قد تغلب على الشرق بتخطيطه وتنظيمه، وبانتهاز فرصة ضعفنا وغفلتنا، وبالعمل اللائق بهما لبناء قوته وإحكام سطوته، وإذا نظرنا في أسباب تقدم الغرب وتخلف الشرق في القوة والازدهار المادي وجدناها كامنة في الفوارق بين الطبقة المتعلمة في الشرق والطبقة المتعلمة في الغرب كذلك بالإضافة إلى الأسباب المذكورة، فقد امتاز الغرب بالسعي الحثيث في التزود بالعلوم التجريبية والتفوق فيها على ما خلفه الحكماء المسلمون من تراث علمي وفكري وحضاري، مقترناً بالتخطيط والتنظيم، بينما طرأ على قادة الشرق الفتور فيهما من جانب، والتقصير في إيجاد الوعي الإسلامي الصحيح من جانب آخر، فهذا الخلل والعجز في التخطيط والتنظيم في شعوب الشرق كان من

www.abulhasanalinadwi.org

أشد الأسباب تأثيراً في تخلف الشرق وتقهقره أمام الغرب المتقدم الصاعد، فكان من نتيجة ذلك أن صار النجاح حليفاً للغرب في مجهوداته للغلبة على الشرق، وفي تخطيطاته الاستعمارية في الأقطار المتخلفة، وهذا الانتصار للغرب فكرياً وعسكرياً على الشرق هو الذي أبعد شعوب الشرق عن منابع قوته، وأحدث فيها الشعور بمركب النقص، والانهزامية، وسلب منها قوة التصرف والانطلاق وبناء صرح مجدها من جديد، بل زادها اتكالاً على الغرب، وخضوعاً لهيمنته.

ومما زاد الطين بلة هو أن الطبقة المتعلمة في الشرق لم تقتبس روحها وتربية شخصيتها من مصادرها الشرقية، بل تبنت غالبيتها سلوكيات الغرب لارتمائها في أحضان التعليم الغربية، ومنها تلقت التوجيه، واستفادت فكرتها في الحياة، لكنها لم تستفد من الغرب فيما استفادته العناية المخلصة بالتخطيط اللائق بشخصية شعوبها، وبالتنظيم اللائق بأهدافها، فلم تستطع هذه الطبقة المتعلمة الشرقية التي تربت في أحضان الغرب التعليمية أن تبني نفسها على الإخلاص لأصالتها ولأهدافها الدينية والوطنية، فنشأت فيها نفسية مركب النقص، ونفسية الجبن أمام العقلية الغربية الاستعمارية والاستغلالية، وبذلك كسبت القوى الغربية الاستعمارية من الشعوب الشرقية نفسها طائفة متعلمة عاقلة بارعة في الأعمال التي يريدها الغرب، و في شؤون الحياة التي يرضاها الغرب، والتي خدمت الغرب في كسب أهدافها.

هذه هي مصيبة كبيرة ابتلي بها الشرق أمام الغرب، ولذلك نجد أن القوى الاستعمارية عندما غادرت الأقطار الشرقية تركت في

www.abulhasanalinadwi.org

أقطار الشرق أصدقاء مخلصين لها في الطبقة المتعلمة فيها، وهي بسبب التربية التي حصلت لها من مناهج الغرب التربوية أصبحت تحول بين أهالي الشرق وبين تحقيق آمالهم في الدين ومصالحهم للوطن، ولقد رأينا آثار ذلك منذ أن تحررت أوطان الشرق، فنرى أن مناهج التعليم هي المناهج الغربية، وأن طبيعة العلوم والآداب هي نفس طبيعتها السائدة في الغرب، فالجيل الناشئ الذي يمر من هذه المناهج ينمو وينشأ على غرار الجيل الناشئ في الغرب، فنجد أن طبيعة النظر إلى الكون والحياة والإنسان في أبناء الشرق وإن كانت تنبع من منبع عقائدي وديني وسلوكي في الحياة شرقية ودينية، ولكنها تصاغ بعدها صياغة غربية في شؤون حياتها العقلية وأحوالها السلوكية، وينطبق على ذلك ما ورد في الحديث النبوي الشريف " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه" فالطفل الشرقي يولد على أصالته الشرقية وطبيعته الإنسانية، ولكن أحضان التعليم والتربية الغربية تصنعه رجلاً مطبوعاً على الطبيعة النفعية المادية، وعلى الانبهار أمام الحضارة الغربية، ويحصل ذلك بصورة مدبرة، وبذلك لا يبقى الشرقي شرقياً، كما أنه لا يصبح غربياً أيضاً بصورته الكاملة بسبب اختلاف البيئة، والطبقة المتعلمة هذه هي التي تنال مناصب التوجيه والسياسة والإدارة في بلادها، فالشعوب الشرقية لم تزل بذلك منذ زمان تابعة لأهداف الغرب، و وسيلة نافعة للقوى الأجنبية التي لها أغراض معينة وأهواء خاصة.

www.abulhasanalinadwi.org

ثم إن الذين يشعرون شعوراً عملياً مخلصاً في أقطار الشرق، ويسعون لمعالجة الأمور المخالفة لطبيعة البلاد في أعمال أهاليها يصبحون هدف تهمة للقوى الاستعمارية الغالبة، فهي تتهمهم بصفات مكروهة مفتعلة تجعلهم هدفاً للكراهية من ناحية الثقافة والعمل، فقد دام أهل الغيرة الإسلامية وأهالي هذه الأقطار يتلقون من أوفياء الغرب تهمة الرجعية، ثم استبدلوا بها كلمة الأصولية، ولما ظهر الاستنكار للاعتداءات السياسية وشدائد القسوة على شباب البلاد الإسلامية، ونشأت بسببها فيهم عواطف انتقامية كرد فعل لها استبدلت القوى الغربية التهمة بكلمة الإرهاب، وتطور ذلك إلى إجراءات شديدة وظالمة، واستخدمت القوى الاستعمارية في ذلك وسائل الدعاية والإعلام، وجعلت هدف التهمة كل من يمت إلى الإيمان بصلة، حتى أشاعت في أذهان كثير من الناس أن الإسلام والإرهاب شئ واحد، مع أن الإسلام برئ من ذلك كل براءة، فإن الإسلام يعلم أهله الرحمة والسلام، ويأمر بعدم الإكراه في الدين، ويدل تاريخ حروب المسلمين مع ألد أعدائهم على أن القتل وسفك الدماء كان يقع بصورة أقل ما يمكن، وذلك بالعكس مما وقع ويقع في الغرب حيث سفكوا الدماء أنهاراً، و دليل ذلك هو ما وقع عند ما استولت القوى الصليبية على القدس الشريف قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي، وجرت بأيدي الصليبيين دماء المسلمين أنهاراً، ثم ما وقع عندما فتح السلطان صلاح الدين القدس واستعاده إلى ولاية المسلمين، فقد عفا السلطان عن كثير من المقاتلين الأعداء، وأعلن بالأمان لأهل

www.abulhasanalinadwi.org

البلاد، وقد اعترف بذلك أعداء صلاح الدين أيضاً، وكذلك إذا رأينا ما وقع من سفك الدماء في الحروب العالمية الثلاثة بين القوى الغربية نفسها في القرن الماضي حالياً، وكان عدد القتلى فيها عدداً هائلاً جداً، وكذلك ما فعلت روسيا السوفيتية عندما أجلت سكان قرى عديدة من البقاع المسلمة وألقتهم في ساحات سائيبيريا المثلجة، وكم قتلت من الناس، وما فعلته أمريكا عندما غزت فيتنام، ودمرت قرى و أريافاً كثيرة، وكذلك ما فعلته القوى الاستعمارية في البلدان الشرقية عند ما طالب أهلها بالاستقلال في الجزائر والمغرب والبوسنة والشيشان، وما تفعله إسرائيل في فلسطين من تدمير البيوت وإهلاك النفوس بالقنابل غضباً على طلب أهل فلسطين للاستقلال، حتى قتلوا المجاهد الجليل الشيخ أحمد ياسين بهمجية وظلم، والغريب في ذلك أن هذه الأفاعيل لا تسمى بالإرهاب، أما إذا وقعت حملة انتقامية من مسلم أو مسلمين على أساس واقعي صحيح فيصبحون هدفاً لتهمة الإرهاب، وينالون على ذلك عذاباً قاسياً أليماً .

ولكننا مع ذمنا للغرب على اعتداءاته نعد الأمر نتيجة أيضاً لتهاون المسلمين وغفلتهم في فهم المؤامرات التي تحاك ضدهم، وفهم التخطيطات الدقيقة التي توضع قبل التنفيذ، ثم التهاون من الطبقة المثقفة الثقافة الغربية في الوفاء بأداء رسالة دينها وحقوق وطنها وطبيعة أبناء جنسيتها، وذلك بسبب عقليتها التي نشأت في أحضان التربية الغربية الصليبية الملحدة، فأصيبت بناء على ذلك بمركب النقص أمام الغرب، أما أبناء الغرب فقد هجروا الحياة الدينية،

www.abulhasanalinadwi.org

وتظاهروا بالعلمانية، و تبنوا فكر الإلحاد، ولكنهم لم يزالوا محافظين على فكرهم الصليبي بالنسبة إلى الإسلام والمسلمين، ويدل على ذلك إصرارهم على مخالفة شعائر الإسلام مثل الحجاب الذي أصبح قضية شاغلة لديهم كأنها مؤامرة المطالبين بالحجاب ضد الوطن والبلاد، مع أنها قضية مجرد وضع البنت لمنديل على أشعار رأسها لا غير، وهو أمر يدل على التهذيب واللياقة، ولا ضرر فيه لأحد، و كذلك دعمهم السافر لجمعيات التنصير، و إجبارهم للحكومات الإسلامية على اتخاذ خطوات لقمع حركات الدعوة الإسلامية، و العمل الإسلامي، وتدخلهم في مناهج التعليم الديني، ويدل على عداوة الغرب للإسلام ظهور كلمة الحرب الصليبية على لسان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عندما أظهر غضبه على المسلمين باتهامهم بحادثة ١١/ سبتمبر في نيويورك.

فيا ليت المسلمين أظهروا ذكاءهم منذ تحرر بلادهم من الاستعمار، وخططوا تخطيطاً عاقلاً لبناء قوة لبلادهم، بعيداً عن فكرة القوى الغربية في عقليتها المعادية للإسلام، ونظموا تنظيماً لائقاً بمناهج التربية والتعليم على طبيعة بلادهم ودينهم، وعلى الأهداف الإنسانية السليمة لينشأ لهم جيل قوي عاقل سليم في اتجاهاته ومعتقداته وقيمه الإسلامية العالية مكتفياً في حاجات شعوبها وبلاده حتى يصمدوا أمام القوى الباطلة فينطبق عليهم قول الله تعالى ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾.

www.abulhasanalinadwi.org

خصائص الأمة الإسلامية

www.abulhasanalinadwi.org

أمة الإسلام أمة الخلود

ليس المسلمون أمة برزت إلى الوجود لأسباب مؤقتة، أو نشأت في ظروف طارئة سطحية حتى تموث بعد فترة قصيرة من الحياة ، كما قامت كثير من الأمم في التاريخ الإنساني، وتذوب أمام الحقائق الثابتة من الحياة، وتغيب عن امتداد التاريخ، كما ذابت واختفت كثير من الأمم التي ظهرت في التاريخ، وكان لها رونقها وفخامتها، ولكن الأيام لم تمتد بها، فغابت عن الوجود .

إن حقيقة الأمة الإسلامية غير حقيقة هذه الأمم، وإن تاريخها غير تاريخها، إن أمة الإسلام نشأت على أساس متين من القوة والحياة، وبرزت برسالة خالدة بقيت، وستبقى مع امتداد التاريخ، وتبقى معها هذه الأمة أيضا، إنها بنيت على كيان متماسك قوي، ونشأت على منهج إنساني أفضل، وذلك بتوجيه الوحي الإلهي العظيم، وبتربية معلم الإنسانية ومربيها الأكبر محمد رسول الله ﷺ، ولما قام الرسول العظيم بتربية هذه الأمة جعلها أمة متماسكة قوية، أصبح كل فرد من أفرادها راسخا في إيمانه، قويا في عمله، ثابتا على عزيمته ثبوت الطود الراسخ على الأرض، ماضيا لإرادته

www.abulhasanalinadwi.org

كالسيف القاطع، و ورث هؤلاء الأفراد العظماء من هذا النبي العظيم رسالة الإنسانية الكبرى، وأدوا حقوقها، وجندوا طاقاتهم في سبيلها، وتوغلوا بها في أعماق الأمم والشعوب البشرية، وأدوا واجبهم نحو الهداية والإصلاح، ونشر الخير والفضيلة في مختلف أطراف البلاد في أقصر وقت وأروع طريق، فكان من نتيجة ذلك أن تحول التيار الخلقي والفكري والاجتماعي السائد في الناس من ناحية الرذيلة إلى الفضيلة، وأصبحت أجواء الحياة التي كانت تسودها الأغراض الخسيسة والغايات الدنيئة أجواءاً تسودها عواطف البر والفضيلة والإحسان، وأصبح الإنسان الذي كانت كرامته تهان وتهدر بيد أخيه الإنسان محترماً ومُوقوراً بفضل الانقلاب الذي أحدثته هذه الجماعة المؤمنة .

ففي ظرف زمن قصير جداً حصل في العالم ما لم يكن حصل في التاريخ الإنساني كله، من تطهير قلوب كثيرة وتزكيتها، وتجنيد طاقات إنسانية كثيرة لصالح الإنسانية، وللأهداف الرفيعة، مما يليق بكرامة الإنسان، و لما كان العرب هم أول من لبوا هذه الدعوة، وتتلمذوا على معلمهم الأكبر محمد رسول اللهﷺ، فأصبحوا الرعيل الأول في أمة الإسلام كلها، و أول جماعة في التاريخ الإنساني الطويل، انبعثت لقيادة الإنسانية، و أول من انطبقت عليهم الآية القرآنية ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله**﴾[١]، وجزى الله تعالى العرب على

---

[١] آل عمران :١١٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

سبقتهم إلى الخير هذه بأن أحالهم من أمة منتشرة متخاصمة ضائعة إلى أمة معلمة للأخلاق، بانية للمدنية والحضارة، فاتحة للقلوب، قائدة للأمم والشعوب، ولكل ذلك شواهد وآثار تزخر بها صفحات التاريخ يعرفها الأصدقاء، ولا ينكرها الأعداء .

وبحيث إن الرسول ﷺ لم يكن حصر مهام هذه الرسالة الكريمة الخالدة في أمة العرب وحدها، بل جعلها عامة لكل الشعوب والأمم، فساهمت أمم من الشرق أمة العرب في حمل هذه الرسالة، واختلطت بالعرب اختلاطاً أخوياً، ومن ذلك تكونت أسرة جديدة من بين الأمم، أسرة نشأت على أساس العقيدة والأعمال وحدها، انصهرت جميع عناصرها وأجزاءها الحاصلة من أمم مختلفة في بوتقة الأخوة الإسلامية، و العمل الإسلامي الموحد، والسيرة الإسلامية الطاهرة، و زالت عنها فوارق العنصر، واللون، والأرض، والوطن، فأصبحت أمة واحدة كان رباطها الإسلام، لا تفرق بين أجزائها المختلفة مصالح محلية، أو عنصرية، أو أواصر موقتة محدودة .

وبذلك تغير الأساس الذي كانت تقوم عليه الوحدات الإنسانية في العالم، وكانت تقع عليه الانقسامات لنوع البشر، فإن الأساس الذي كان خاضعاً لمصالح الجنسية والعنصرية والمال إلى ذلك الوقت أصبح منذ الآن خاضعاً لموازين الفضيلة والتقوى، أعلن رسول الإسلام ذلك الإعلان التاريخي العظيم"كلم من آدم و آدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي و لا لعجمي على عربي إلا بالتقوى" [١]ولقد طبق رسول الله ﷺ

---

[١] - كنز العمال

www.abulhasanalinadwi.org

وصحابته العظام هذه الفكرة في حياتهم الاجتماعية والسياسية، فاستوى في معاملاتهم ونظرهم السيد العربي من قريش، والعبد الحبشي من سود أفريقيا، وإذا كان الرسول ﷺ يؤمر على وفود المسلمين وجيوشهم رجالا من أشراف القبائل العربية كان يؤمر عليها الموالي أيضا، فقد كانوا يرون إلى الموالي من أمثال بلال وصهيب وهما عجميان بعين أكثر إكبارا وتقديرا مما يرون إلى أحرار وسادة من مثل أبي سفيان، وكان شريف قريش و قائدها في الجاهلية، وذلك لأن السابقين الذكر كانا سابقين في التقوى والإسلام .

لقد قلب الإسلام بذلك الموازين لمعاملة الناس، ومعرفة درجاتهم ومكانتهم، وتقييم شرفهم، وكان ذلك خطوة انقلابية هائلة لو حدث مثلها من قائد آخر، أو طائفة أخرى من الناس في التاريخ الإنساني، ولم تكن معها خطوة إصلاحية أخرى سواها لكانت كافية لرفع مكانة هذا القائد، وهذه الطائفة في التاريخ الإنساني كله .

إن هذا الانقلاب العجيب الذي غير الموازين والعقليات الطائشة السطحية التي كانت تسود البشر في ذلك الحين لم يكن انقلابا سطحي الجذور، بل إن تأثيره في المجتمع الإنساني الذي تلقى دعوة الإسلام، وتربى على أوامر نبي الإسلام كان تأثيرا هائلا قويا، جعل جذور الفكرة والعقلية التي صحبته عميقة في القلوب والنفوس، فهي لا تزال باقية فيها إلى الآن رغم كل الأعاصير التي أرادت اجتياحها واجتثاثها من حياة المسلمين .

وبتأثير منها لا تزال الأمة الإسلامية إلى اليوم أكثر من كل

www.abulhasanalinadwi.org

الأمم والشعوب في الأرض رحابة في النظر إلى طبقات الناس المختلفة، وفي المعاملة معها، فترى فيها الأسود متساويا مع الأبيض، وتجد فيها كبير المنصب، والمال يخلط و يتعامل تعاملا أخويا مع صغير القيمة والمادة بكل رحابة وسماحة .

فالأمة الإسلامية لا تزال إلى اليوم خير أمة في الوجود لأنها أكثر الأمم اتصافا بصفات النبل والإنسانية في المجالات الاجتماعية والفردية جميعا، و هي أكثر الأمم محافظة على القيم الإنسانية الفاضلة التي ورثتها من معلمها وقائدها الأول، و هي لن تزال بخير ما دامت تحافظ على هذه القيم .

يجب أن تفهم الأمة الإسلامية ذلك فلا تقع في انهيار نفسي من ضوضاء الأمم الأخرى وأضواء مدنيتها الطاغية الغازية للعالم اليوم، فإن بواطن هذه الأمم وحقائقها الإنسانية لا تحمل لونا لامعا كالذي يظهر من مظاهرها، ولا تملك حلاوة ولا عذوبة كما يخيل عنها في ظاهرها، وإنها لا تملك في مجال الفضيلة الإنسانية شيئا يحسد عليه .

يجب أن تعرف الأمة الإسلامية أن قيمتها في مجال الفضيلة لا تزال أكثر من القيمة التي تملكها أي أمة أخرى من أمم اليوم، وأن أي أمة في الوجود لا تبلغ إلى العظمة التاريخية والعظمة الإنسانية التي تبلغها أمة الإسلام مع كل تخلف وانهيار تمر الأمة الإسلامية اليوم من خلالها، فإن الشعور بالنقص الحقيقي والاعتراف به شيئ حسن، ولكنه يجب أن لا يكون على حساب الاعتزاز بالخير والفضيلة اللذين تملكهما هذه الأمة السمحاء الكريمة .

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمون كجسد واحد

يحق للمسلمين أن يفتخروا من بين الأمم الأخرى بأنهم ممتازون من بين غيرهم بالتعاون والمحبة فيما بينهم، وإن كان ذلك أقل مما كان يجب عليهم، بحيث إن الأخوة التي أمر الله تعالى بها المسلمين تتطلب منهم أن يكونوا يداً واحدة في كل شيء، وإن كانت شعوبهم متناثرة متباعدة فيما بينهم، فلا يقع حادث في أقصى الشرق أو أقصى الغرب، إلا و يجب أن يسمع له صدى في طرف آخر من العالم الإسلامي، وتتأثر به قلوب المسلمين في جميع أقطارهم وبلدانهم، ولا يتأثروا به مجرد شعور، بل ويبذلوا له ما يقدرون عليه من اهتمام و تضامن، وحينئذ يتحقق معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً "[١]، و"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى

[١] – متفق عليه البخاري : ٦٠٢٦ و: ٢٤٤٦ و: ٤٨١ و مسلم: ٢٥٨٥ .

www.abulhasanalinadwi.org

له سائر الجسد بالسهر والحمى"[١]، ولكنهم مقصرون في ذلك، وقد قصروا في الماضي أيضاً، فلو لم يقصروا في الماضي لم يقع لهم ما وقع من انحسارهم عن بلاد الأندلس، مع أنه كانت لهم في ذلك الحين صولة وجولة في أقطار عديدة، وكان لهم وزن في العالم وشوكة وسلطان.

إن وضع المسلمين في عدد من أقطارهم اليوم لا يختلف في خطورة حياتهم عما سبق في تاريخهم في عهد الاستعمار العسكري، فلقد تكالب أعداء الإسلام عليهم اليوم لغزوهم الفكري والعقدي، وهم ملحون في جهودهم على إذابة شخصيتهم الإسلامية، وتشخيصهم الخاص، يريد الأعداء منهم أن يصبحوا جزءاً من غيرهم في كل شيء في الثقافة والأدب والفكر والاتجاه، أو يتركوا البلاد، ويتشردوا في الآفاق ، أو يموتوا تحت سيل من الرصاص، أو لفحات التعسف والإرهاب .

إنهم ساعون لذلك منذ أمد غير قصير، ولكنه من معجزة الإسلام وهو دين الله الخالد أن صمدت الروح الإسلامية الراسخة في القلوب والنفوس أمام كل اضطهاد، وصبروا وانتظروا من الله الفرج، ثم ظهرت الروح الإسلامية منهم كلما خف عنهما الاضطهاد، ولو بعد عقود من السنين، تشهد بذلك تباشير الخير في جمهوريات المسلمين في الدولة السوفياتية السابقة، فما زال المسلمون أوفياء لدينهم،

---

[١] – متفق عليه البخاري : في كتاب الأدب رقم : ٦٠١١ ومسلم في البر رقم: ٢٥٨٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

مخلصين لإسلامهم، عاملين بما أمرهم الله تعالى به، وجاء به رسولهم العظيم إليهم، فإنهم داموا ثابتين معتصمين بدينهم، وإن كان ذلك في الخفاء، وقد أثبت المسلمون في البوسنة والشيشان وكوسوفا عزيمة، وصمدوا في وجه العدوان، وقد ضرب المسلمون مثلاً رائعاً في أفغانستان والعراق عندما دهمهما العدو ورتع في أرواح أبناءهما وسفك دماءاً غزيرة فيهما، فقد قاوم أبناء الإسلام الاعتداء مقاومة باسلة، وقدموا تضحيات جبارة، وردوا كيد العدو رداً عظيماً باسلاً، ومما يملأ القلب تقديراً و اعترافاً أن إخواننا هؤلاء البواسل في البلدان الأخرى تعاونوا معهم بقدر إمكانياتهم، وتضامنوا بالشعور بآلامهم، والقيام بما تيسر لهم بالدعم، فكان ذلك لهم مدداً وقوة تحفز هممهم، وتزيد من صمودهم وثباتهم ومكافحة الشر المحدق بهم، وكانوا بدورهم درعاً للإسلام والمسلمين .

كذلك يسهم الإخوة المسلمون الذين أكرمهم الله بالوسائل المادية، والوعي الإسلامي في مجهودات الدعوة الإسلامية، ومكافحة الدعاية الحاقدة للإسلام من الدول الأوربية، ويساعدون إخوانهم المسلمين في مجهوداتهم لمكافحة الفقر والجهالة، و رواسب الاستعمار في إفريقيا وآسيا، ولهذا الإسهام تأثير فعال على نشر الصحوة الإسلامية .

و لقد قام المسلمون بأداء مسئولية هذا التعاون إلى حد لا بأس به، وتضامنت الأسرة الإسلامية المنتشرة في العالم فيما بينها، وكان لهذا الدعم والتعاون تأثير حسن في حل جانب من مشاكل المسلمين في

www.abulhasanalinadwi.org

العالم، ونحمد الله تعالى على أن تضامن المسلمين في فلسطين وأفغانستان وفي أريتيريا والصومال والفلبين، كان سبباً للقوة والصمود المستمرين في مواجهة المشاكل والشدائد في هذه الشعوب .

ولقد كان حظ العرب وبخاصة الخليج في الدعم والتعاون حظاً أكبر، فلقد أدوا مسئوليتهم نحو تعاون إخوانهم أداء لائقاً بكل تقدير، وكان عملهم في ذلك أمراً يندر نظيره، وبه استطاعت عدد من الشعوب المهضومة الحقوق البقاء على صمودها، والاحتفاظ بشخصيتها الإسلامية، رغم تداعي الأعداء عليها كتداعي الأكلة على القصعة .

ولقد ظهرت بتأثير كل ذلك صحوة إسلامية في الشعوب الإسلامية اليوم، وبخاصة في شبابها و مثقفيها الذين أصبحوا يلجأون إلى كتاب الله تعالى، يتلونه ويستهدون به، وإلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يستضيئون به، ويقتبسون من نوره، كما أنهم يسترشدون من أعلام الفكر الإسلامي الذين عكفوا على تغذيتهم الدينية وإلهاب مشاعرهم الإسلامية، وفي ناحية أخرى أثر عليهم الاضطهاد الفكري الذي يقوم به الغرب عن طريق أبنائه الحاقدين للإسلام، الهادمين لسمعته الطيبة، فأوجد ذلك في نفوس الشباب المثقف ردوداً فعلية، ويدعم هذه الصحوة الطيبة تعاون أبناء الإسلام الذي يقومون به فيما بينهم، وإذا قوي هذا التعاون وتوسع أكثر فسيكون كفيلاً بأن يأتي بخير أعظم، وإعانة أشمل في أنحاء العالم الإسلامي كله، ولايخفى أن هناك شعوباً إسلامية ترزح رزحاً شديداً تحت الاضطهاد والاستعمار، وأعداءها لا يستهدفون نفوسها، بل

www.abulhasanalinadwi.org

إنما يستهدفون إسلامها، يريدون إذابة الشخصية الإسلامية فيها، وذلك خطر أشد ومقاومته مسئولية أكبر، ويمكن أداءها على جبهتين جبهة مواجهة العدوان الفكري والاضطهاد الديني بوسائل أدبية ومادية، وجبهة العمل لإعادة القاعدة الإسلامية العقلية والأدبية إلى نفوس المسلمين، يكون فيها اعتزاز بمآثر الإسلام المدنية والفكرية، حتى يمكن للمثقفين المسلمين القيام على هذه العدة للكفاح العقلي الإسلامي، وصد تيارات الفكر والأدب الغازية لهم من قبل أعدائهم.

ولابد أن يكون في حسابنا أن قوى الدفاع الإسلامي قليلة، وقوى الشر والعداء كثيرة، وبذلك إذا لم تتكاتف القوى الإسلامية، ولم تتضاعف منها الجهود لن يسع المسلمين التغلب على الأخطار المحدقة بهم.

www.abulhasanalinadwi.org

طاقة أقوى من الطاقة المادية

لقد قطع العالم الإسلامي مسافة حسنة نحو الوحدة والانسجام في معالجة قضايا الإسلام المشتركة، ونحو وحدة الشعور بضرورة العمل المشترك لهذه القضايا، وبذلك حصل للأمة الإسلامية نتائج حسنة في هذا الاتجاه، وإذا استمرت في السير في هذا الطريق، ولو ببطء فيرجى زيادة ثقلها الدولي في قضاياها في العالم، ويرجى الوصول إلى أهداف كبيرة في مجالات الحياة الإسلامية الدولية .

إن الوحدة والانسجام و وحدة العمل للأهداف المشتركة لمن أقوى الوسائل التي تعتنى باختيارها واستخدامها دول العالم اليوم، وتكتسب بذلك نفعاً عظيماً في مجالات حياتها المختلفة، ولكن الأمم الإسلامية بقيت متغافلة عن هذه القوة الإنسانية الهائلة التي كانت بوسع هذه الأمم أكثر من كل الأمم الأخرى في العالم، ولقد كانت الأمم الأخرى تخاف من الأمة الإسلامية هذه القوة وهذا الاتجاه، لأنها رأت أثرها ونتائجها في تاريخ المسلمين السابق، ولذلك كان ما كان من أمم العالم الراقية اليوم من جهود ومحاولات للقضاء على كل شعور من

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين نحو هذا الهدف، وعلى كل محاولة يقوم بها المسلمون نحو هذا الاتجاه .

ولكن حظ المسلمين كان أقوى من كل هذه المحاولات العدائية، فاستطاعوا أن يخطوا نحو هذا الاتجاه الكريم بعض الخطوات بيد أن المدى الذي يليق بالأمم الإسلامية الوصول إليه لا يزال بعيداً، وخاصة بالنظر إلى أنها قد ورثت عن أسلافها العظماء صلاحيات قيادية هي أعظم وأسمى في مستواها من صلاحيات الأمم الأخرى في التاريخ، ولكن الشعوب الإسلامية لم تؤد دورها نحو الاستفادة بهذه الصلاحيات استخدامها لصالح أهدافها الخاصة أو المشتركة، فلا يزال البون بعيداً كل البعد بين أسلاف المسلمين العباقرة العظام وبين أخلافهم العائشين اليوم .

لا شك أن المسلمين اليوم أصبحوا يشعرون بضرورة السير نحو هذا المدى، وبدأوا يبذلون نحو هذا الاتجاه بعض المحاولات، وهي خطوة أولى نحو هذا الهدف، وذلك يبشر بخير، ويبعث على الأمل غير أن القوة التي تنفخ في مثل هذه المحاولات كل حياة، وتعمل فيها كما تعمل الكهرباء في تحريك الأجسام الميكانيكية، هو الإيمان الذي حمل أسلافنا العظماء منه مقداراً عظيماً جداً، وبه استطاعوا أن يصبحوا طاقة إنسانية هائلة قل نظيرها في تاريخ الإنسان في سرعة نجاحها، وبعد مداها، وعمق تأثيرها .

ولقد كانت هذه القوة الإيمانية هي التي وعد الله عليها بالنصر، وبشر عليها بالغلبة والظهور، فقد قال: ﴿ **وأنتم الأعلون إن**

www.abulhasanalinadwi.org

كنتم مؤمنين﴾ .

فالعظمة والعلو مكتوب للمسلمين بشرط أن يحملوا في أنفسهم الطاقة الإيمانية التي حملها المسلمون الأولون، فكان لهم ما كان، ولم يضرهم مع وجود هذا الإيمان أن وسائلهم ومعداتهم المادية كانت أقل من وسائل عدوهم ومعداته، ولقد حصلت أكثر انتصارات الإسلام لأبنائه في الحال التي كان رجاله فيها أقل عدداً و عدّة من عدوهم .

وهذا الإيمان حينما يفقد أو يضعف فقد يقع ما وقع في التاريخ الإسلامي نفسه من ذلة وهوان للمسلمين مع وجود وسائل مادية قد تكون كفيلة بالنجاح .

www.abulhasanalinadwi.org

بين الأصالة والتقليد

إن الشعوب الشرقية بما فيها الشعوب الإسلامية والشعوب العربية كلتاهما لا تزال عاجزة عن أن تدخل في مرحلة الأصالة والاكتفاء، من مجالات حياتها المختلفة، فعملياتها في مجال الإنتاج لا تزال محدودة في دور التتلمذ للأستاذ الغربي، ومساعيها العلمية ليست إلا تقليداً قاصراً وجامداً لبعض ما كثر في الغرب وعمّ فيه من المحاولات العلمية والعملية، أما خضوع الشرق للغرب في الصبغة الخلقية والثقافية فذلك شيء لا يجاوز تقليداً أعمى كتقليد القرد للإنسان، ومنه ما يردده ويلوكه مفكرو الشرق من أقوال مفكري الغرب في الدين والخلق والحياة بدون غربلتها وتمييز الخير من الشر فيها فهو لا يعدو المحاكاة العمياء، ومنه جاءت إلى الشرق كل مصيبة وبلاء، ووقعت مقومات الحياة الشرقية في اضطراب وفساد فقد كان الشرق يعيش منذ آلاف السنين على قيم وأعراف حصلت له نتيجة لدراسات مفكريه الطويلة، ولتجارب حياة رجاله الأصيلة، وللتعاليم السماوية التي يتناقلها إليه تاريخه عهداً بعد عهد، وقرناً بعد قرن،

www.abulhasanalinadwi.org

وقد سارت بها أجيال بعد أجيال، وكانت تتفق مع الشرق في أجوائه، وتضاريسه وطبيعة بلاده، ولكن المؤسف أن سياسة التأييد الكامل للغرب أصبحت هي السياسة المفضلة في أمم شرقنا النامية، وأصبح لها وحدها الرواج والقبول في الأوساط العاقلة، وذلك لأن قادته العاقلين وأساتذتهم خاضعون للغرب عقليا خضوعا تاما لا يرون في غير ما يأتي به الغرب خيرا ولا صوابا فيلقنون أتباعهم وتلاميذهم في الشرق ما تلقوه أو يتلقونه من الغرب، بدون النظر إلى ما سيأتي به هذا من نتائج أو آثار.

إنهم يريدون أن يزول عن الشرق التخلف، ولكنهم يفرضون التخلف نفسه عليه في شكل آخر بل في شكل أذل وأخطر، لأن التبعية لغير قومه ولغير أبناء أمته أحقر من التبعية لبني قومه وأصحاب أمته، ولكن قادة الشرق في بلاده وأوطانه لا يجاوزون في أفكارهم ونزعاتهم وميولهم الثقافية في مختلف مجالات حياتهم وحياة أمتهم الشرقية من التبعية البلهاء للغرب.

ولذلك فقدت من حياتنا الثقافية والفكرية والمدنية الأصالة، وعجزنا بسببه عن الاكتفاء والتماسك في جوانب حياتنا المختلفة، وبذلك تحول هيكل أمتنا التاريخي العظيم إلى حطام وأنقاض ودمنة من الدمن الدوارس قد نبكي عليها، ولكن لا يسعنا أن نبني منها قصرا قوميا أو صرحا مدنيا يوافقنا في طبيعتنا وطبيعة أسلافنا الذين بنوا صروحا سامقة من الحضارة والمدنية البديعة، في الوقت الذي كان الغرب لم يعرف معنى المدنية والحضارة.

www.abulhasanalinadwi.org

لقد كنا كأمة عزيزة لها تاريخ حافل بجلائل الأعمال كأمة لعبت دور الأُستاذية والتلقين للأمم المتخلفة التي يدل تاريخ القرون المظلمة في مصطلح الغرب نفسه على الظلام الدامس الذي كانت الأمم الغربية عاشت فيه قرونا متطاولة، وماخرجت من الظلام العقلي إلا بعد التلمذ على أساتذة الأمة الإسلامية، وهذه التلمذة هي التي ساقت الأمم الغربية إلى الرقي والمدنية، ومن الغريب أن الغرب يتهم الأمة الإسلامية بالتخلف ولا يكتفي بهذا، بل يحارب القيم الإسلامية التي هو عماد قوة الأمة الإسلامية وسندها، ويتهم المسلمين على التزامهم بالقيم الإسلامية بالرجعية والأصولية، ومن الغريب أن طائفة من المسلمين أصبحوا يغترون بهذا الاتهام، ويظنون بأنفسهم تخلفا على هذه القيم فوا أسفى على ذلك .

أفلم يكن واجبا أن يكون المشرفون على الحياة العقلية في الشرق معتنين بالمحافظة على ما يخص الشرق من ميزات تحدد شخصيته وسمات تصور ملامحه، فقد نرى في الأمم الغربية أنها تقتبس أسس شخصيتها وسمات طبيعتها من تاريخها السابق وحضارتها القديمة في اليونان والرومان .

لقد نرى الغرب يربط جديده بقديمه ولا نتعجب منه ولا نراه تخلفا ورجعية، ولكننا نلمس في ربط جديدنا بقديمنا تخلفا كله ورجعية كلها، أليس ذلك من باب المفارقات، لقد سلمنا للغرب إمامتنا المطلقة، وأصبحنا له تلاميذ أوفياء إلى أقصى حد ممكن فنرى في كل ما يصدر منه من قول أو عمل معنى من معاني الأستاذية

www.abulhasanalinadwi.org

وحكمة لم نعد نفهم مغزاها، عجبا لهذه العقلية الحمقاء التي جعلت أبصارنا وبصائرنا لا ترى الخير إلا في غيرنا، ولا ترى الشر إلا في أنفسنا حتى أصبحنا نرى أن كل ما ينبع من تاريخنا وحضارتنا قابل للاستبدال وأن كل ما يعلمنا رجال الحضارة السائدة واجب القبول والاختيار، سواء كان هذا القبول يربطنا بحضارة ليست أجنبية فحسب بل هي قديمة وبائدة، كذلك فإن حضارة الرومان واليونان التي تهتدى بها الحضارة الغربية الحديثة حضارة أجنبية وبائدة معا.

إن سر نبوغ أوربا ليس كامنا في أشكال مدنيتها، ولا في علمانية عقليتها، ولا في إباحية أخلاقها وإلحاد سلوكها و تقاليدها، إنه كامن في تهيئة طاقاتها العلمية والعملية في البحث والإنتاج، وفي تسخير القوى المادية المودعة للإنسان في الكون لأهداف الحياة، وهو أمر يتعلق بالعقل والاجتهاد، وهما ثروة رزقها الله كل إنسان، ويجوز لكل إنسان أن يتابع في طريق استخدام هذه الثروة لصالحه رجالا مارسوهما ونبغوا في حسن استغلالهما، ولكن يجب أن يكون هذا التقليد والمحاكاة بشكل حازم نزيه، لا بشكل مائع مشوه، وقد يتحتم علينا أن نقلد الغرب ونتعلم منه ما لا محيد عن التقليد له فيه ولا عوض عن تعلمه منه في الجوانب العلمية والتكنيكية، أما النواحي الخلقية والدينية والعقائدية فهي في غير حاجة إلى أن نخضعها للتوجيهات الغربية، ولا أن نذيبها في القوالب الغربية، فإننا نملك تعليمات أسمى وأجدى بكثير من تعليمات الغرب في هذه المجالات ونملك قوالب أصح و أوفق من قوالب الحياة الغربية في هذه الميادين .

www.abulhasanalinadwi.org

وليس الاتصال بقديمنا النافع رجعية ولا عيبا حتى نستحي منه كما نستحي من أي عيب، وليس الاكتفاء من كل جديد بالصالح وحده عجزا و لا تخلفا حتى نكرهه كما نكره أي عجز في الحياة .

إنه ليس عجزا ولا تخلفا مهما كان من هؤلاء المائعين والخانعين للغرب أن يصفوه بالرجعية والتخلف، بل نقول لهم : أيها المائعون والخانعون من تلاميذ الغرب: إنكم تصفون المتمسكين بالقيم الصالحة الرفيعة متخلفين ورجعيين، نعم نحن نقبل هذه الصفة فنحن متخلفون ورجعيون في هذا المعنى، وكفى لنا بهذه الرجعية فخرا، ولكنكم بمحاكاتكم الحمقاء لأوربا في كل مجالات حياتها والخضوع لسيادتها في التقاليد والفكرة، مائعون في طبيعتكم الأصيلة وخانعون لرجالها ممن لا يمتون إليكم بنسب ولا ثقافة ولا تاريخ؛ هل يوافقكم أن نصفكم بالميوعة والخنوع، ونقول لكم: وأنتم المائعون الخانعون .

إن نظام التعليم الحديث قد أخفق في أداء رسالته وأخفق في إنتاج جيل جديد يحسن الانتفاع بمعلوماته، ويحسن استعمال مادته العلمية وثروته الثقافية، ويضع كل شيء في محله، ويعيش حياة سعيدة مطمئنة، بالعكس من ذلك وجد جيل مثقف ثقافة عالية، يعرف عن مجاهل إفريقية والقطب الشمالي، وعن حياة الحيوان والنبات شيئا كثيرا، ولايعرف عن نفسه إلا قليلا، ويسخر التجارة والكهرباء، ويسخر الطاقة الذرية في الزمن الأخير ولا يملك نفسه وقوته، ويطير في الهواء كالطير، ويسبح في البحار كالسمك، ولا يحسن أن يمشي على الأرض، وما ذلك إلا لأن التعليم قد اختل

www.abulhasanalinadwi.org

ميزانه، وفسد مزاجه، وكيف يستقيم الظل والعود أعوج ؟! يقول في قصيدة: "من الغريب أن من اقتنص أشعة الشمس لم يعرف كيف ينير ليله وكيف يصبح، وأن من بحث عن مسالك النجوم وطرقها، لم يستطع أن يسافر في بيداء أفكاره، ومن عكف على الألغاز يحلها ويشرحها لم يستطع أن يميز النفع من الضرر ".

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

مسئولية المسلمين لتقريب الإسلام إلى النفوس

أبناء الغرب مصابون اليوم بحمى الحقد والمقت ضد المسلمين ودينهم الإسلامي، وقد دأبوا على ذلك من قرون، منذ أن كانوا تائهين متسكعين في ظلام الجهل والتخلف، وكان المسلمون متمتعين بنور العلم و ازدهار المدنية، فرآهم أبناء الغرب في ذلك الحين بعين المهابة والإكبار، ولكن بشعور مزيج بمركب النقص، فكان منهم في جانب شباب يحبون الطرافة والتقدم، فتهافتوا على مراكز العلم للمسلمين، ومجامعهم العلمية، ومجالاتهم المدنية والثقافية، يتلقون منهم فيها العلم والمعرفة، ويعيشون معهم فيها، فينشأ فيهم الإعجاب والتقدير، فكانوا يقلدونهم في مظاهر الثقافة والحضارة .

أما في جانب آخر فكان زعماء الغرب الذين يريدون المحافظة على قيمهم الدينية السائدة في مظاهر حياتهم المتخلفة، فكانوا يخافون من شبابهم هذا الاتجاه وإعجابهم بالحضارة الإسلامية، فكانوا ينعون على ذلك، ويظهرون خوفهم من مغبة التأثر والانطباع الذي تتركه زيارة المسيحيين لمراكز العلم ومجالات الثقافة للمسلمين، فكانوا

www.abulhasanalinadwi.org

يبذلون جهودهم لإبعاد شبابهم عن تأثير الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية عليهم، ولكنه لم يكن يوجد في العالم كله أجمل وأحسن من الثقافة والحضارة الإسلامية في ذلك الحين، فكان طبيعياً أن يُعجب بها أصحاب الشعور الحي والشباب المحبون للجديد رغم المخالفة التي واجهوها من زعماء أمتهم وقادة دينهم، وفعلاً وقع خلاف بينهما في ذلك، ففي جانب استمر عمل تنفير شباب أبناء الغرب من الإسلام والمسلمين بوسائل إعلامية مختلفة، وفي جانب آخر تربى طائفة من الجيل الجديد من أبناء الغرب على العلوم والمعارف التي اقتبسوها من مسلمي أسبانيا المتحضرين، ثم نظم أبناء هذا الجيل لما تقلدوا مناصب التوجيه والقيادة حياة أمتهم على الطرق المتطورة، واستمروا يرقونها، وبجنب ذلك سرى التهاون والترهل في شباب المسلمين، حتى بدأت كفة ميزان المعرفة والعلم الجاد لدى الغرب ترجح على كفة ميزان المعرفة والعمل الجاد لدى المسلمين، وبدأت القوة المادية والاقتصادية لدى الغرب تزداد تحسناً وتقدماً على عكس ما كانت لدى البلدان الإسلامية، واستمر ذلك حتى انقلبت الأوضاع، وتحول من كان في الحضيض من الحياة المادية والعلمية إلى أوجها ومستواها الرفيع، واستمرت عواطف العداء من أبناء الغرب للمسلمين، بل وقد استحدثوا وسائل أقوى وأساليب أجد، ومنها وسائل الإعلام المختلفة، وطريقة البحث العلمي كعمل حسن في الظاهر، ولكن كوسيلة للهدم كذلك، فكان من تأثير ذلك أن الزمن استدار من الناحية المادية والعلمية، ولكن بقي على حاله السابقة في العداء

www.abulhasanalinadwi.org

للإسلام، ويعتبر ذلك لأن مشاعر العداء للإسلام لم تتغير لأنه كانت تغذيها أفكار وتوجيهات لا يقبل فيها الأعداء الإسلام والمسلمين .

لقد صارت الشعوب الغربية المسيحية منقسمة منذ الحرب العالمية الثانية إلى قطبين للقوة السياسية والمادية والعسكرية، كان مركز ثقل أحدهما في موسكوا، ومركز ثقل الآخر في واشنطن، واشتد بينهما العداء والاختصام، فشغل ذلك فكر الغربيين واهتمامهم، فتهاونوا في معاداة المسلمين بصورة كبيرة، وانشغلوا فيما بين الكتلتين، واحتاجوا إلى كسب الأصدقاء حتى من الدول الإسلامية أيضاً، فنال المسلمون من ذلك قدراً من الهدوء والطمأنينة، ثم ازداد القطب الأمريكي قوة حتى تغلب على القطب الروسي، وصار العالم بذلك تحت قطب واحد، و زال الشغل الشاغل من الحرب الباردة بين الكتلتين، وعادت القوى الغربية لعداء الإسلام مرة أخرى، واستعرت معركة العداء هذا، وهي تزداد يوماً فيوماً حتى سقطت أكثر الدول الإسلامية فيها صريعة واحدة تلو أخرى، وهو أمر يتطلب منا اهتماماً زائداً، وتفكيراً جاداً لاختيار أسباب أقوى للتغلب على هذه المعركة، إن هذه المعركة تستغل وسيلتين قويتين للتأثير والتحويل، وسيلة السياسة والاقتصاد، و وسيلة الإعلام والبحث العلمي، فإذا كانت قوانا السياسية والاقتصادية ووسيلة الإعلام والبحث العلمي، أصبحت عاجزة عن حمل المسئولية الملقاة عليها، وأصبحت تسير تابعة للقوى الكبرى، ولايستطيع المسلمون تغيير هذا الوضع، فلسنا عاجزين عن إصلاح حالتنا الفردية والاجتماعية، وعن ترقية قوانا

www.abulhasanalinadwi.org

الإنسانية، وتسخير وسائل الإعلام الحديثة لتغيير ما في مجال الإعلام والبحث العلمي، فإن هذا المجال ليس ملكاً لأحد لا يمكن المساهمة فيه، أو انتزاع الزعامة فيه، فإنه كان على أهل الدراسة والكتابة من المسلمين، وعلى القادرين على استعمال وسائل الإعلام منهم أن يكافحوا لإزالة الشبهات وأخطاء فهم الغرب عن الإسلام والمسلمين، فإنه لا يمكن أن يكون أبناء الغرب جميعهم حاقدين للإسلام والمسلمين في ضوء معرفتهم للحقائق، فإن جهودنا لتقديم الوجه الصحيح لتعليمات الإسلام و آداب الحياة الإسلامية لن تعجز عن التأثير في أفكار كثير من الناس، ولقد جربنا ذلك في الجهود القليلة البسيطة التي بدأت تبذلها منظمات إسلامية اليوم في الغرب، فإنه يدخل في الإسلام كل يوم طائفة من أبناء الغرب، ويعترفون بسلامة الإسلام وحياة المسلين من تلك التهم التي دأبت القوى المعادية من الغرب على توجيهها إلى الإسلام والمسلمين، فقد صدرت كتب تحتوي على هذه الاعترافات، بل وعلى دعوة الآخرين أيضاً إلى قبول هذه التصحيحات.

ولكننا إلى الآن مقصرون جداً في عرض صور الإسلام الناصعة وآداب الحياة الإسلامية الصحيحة على غير المسلمين في الغرب وفي الدول التي يعيش المسلمون فيها في أقلية، حتى أن غير المسلمين قد يجاورون المسلمين عقوداً من السنين، ثم لا يعرفون عن الإسلام والحياة الإسلامية إلا أقل من واحد في المائة، والذي يعرفونه يكون خطأً ومخالفاً للحقيقة، كيف لا تظهر حياتنا الإسلامية أمامهم، ولماذا

www.abulhasanalinadwi.org

لا نسعى لذلك ؟ و لماذا لا تكون في مكتبات العالم مجموعة موقرة من المؤلفات التي تتحدث عن حقيقة الإسلام، وعن المفاهيم الخاطئة التي تمتلئ بها الكتب المتحدثة عن الإسلام بأقلام المعادين للإسلام، فإن عدم وجود كتب تمثل الإسلام في مكتبات العالم تقصيركبير لا يمكن تبرئتنا من الجريمة فيه .

إن عرض الإسلام على غير المسلمين مسئوليتنا، ونحن مقصرون تقصيراً كبيراً في أداءها، ومن المؤسف أننا لا نشعر بمسئوليتنا في ذلك، ولا نعبأ بها، بل ونتهم غير المسلمين على غفلتهم وإعراضهم وعدائهم وهم يمكنهم أن يتهمونا بعدم تقديمنا أمامهم حقيقة الإسلام التي لا يزال فيها تأثير ودعوة وقوة، وإن اتهمونا بالتقصير في ذلك ففي اتهامهم وجاهة .

www.abulhasanalinadwi.org

متى يفطن المسلمون لمكايد الغرب

لم يمض وقت طويل من الزمن الذي كانت فيه شعوب الشرق الإسلامية والعربية خاصة على طبيعة شرقية عربية، وسليقة إسلامية، لم تغيرها تأثيرات من الخارج، ولكن منذ أن اتصل الشرق بالغرب للاستفادة العلمية، وكان ذلك أمراً طبيعياً، وكان مفيداً لو كان مع تحفظ وحزم، ولكن الإعجاب بالقوى الغلابة، والانبهار أمام كل لماع مغري، يزيل الإنسان عن مكانه، فبدأ شباب الشرق يتأثرون بفكر الغرب المتطرف الإلحادي، واندهشوا أمام حضارته، وأصيبوا بمركب النقص، ونسوا أن هذا الغرب كان قبل خمسة قرون تلميذاً لأسلافهم العظماء، وكان في جانب من هذه العلوم التي ترقى فيها قد اقتبس شبابه أسسها من منابع الأندلس العلمية الإسلامية العربية، و جدّ الغرب واجتهد بمر الأيام، وبذل الجهد فتفوق على العرب والمسلمين الذين امتازوا، وفاقوا على العالم في العلم، والمعرفة، والقوة، والسياسة لمدة ستة قرون في الوقت الذي كان الغرب متسكعاً في مهامه الجهالة والتخلف، تخلف المسلمون بعدها لتكاسلهم وغفلتهم عن مواصلة

www.abulhasanalinadwi.org

الجهود العقلية، والحياة الجادة العلمية .

ولكن الغرب عندما نهض وتقدم يبذل الجهود المادية والعلمية بدأ يناوش المسلين، ويقوم بإثارة الغبار على فضلهم وتقدمهم في قرون عديدة عندما كانت قواه وطاقاته تندحر وتنهزم أمام القوى الإسلامية، ولهذا السبب أصيب الغرب بشعور الحقد من المسلمين، وبرغبة في تحطيم طاقاتهم ومعنوياتهم، فبدأ ينفذ خططه لغزوهم في ديارهم، وابتزاز أموالهم وإذلال كرامتهم، وكسر قيمهم الخلقية والإنسانية، فبدأ يغزو الديار، ويستولى عليها بآلياته ومؤامراته، فأحرز بذلك انتصاراً واسعاً على شعوب المسلمين، واستطاع بذلك كسر قوتهم المعنوية في بلدان الشرق، وسلك للوصول إلى هدفه في ذلك مسلك الظلم والاعتداء، وإهدار كرامة الإنسانية، وخرق قوانين العدالة والديمقراطية التي يدعو إليها سياسيوه نفسه، ويكثرون اللهج بها، إنهم يلقنون الشعوب الشرقية دروساً بكلامهم في العدالة والديمقراطية، وفي نفس الوقت يخالفها زملاءهم وإخوانهم في الحكم والسياسة، ثم يؤازرهم هؤلاء عن طريق استعراضاتهم العلمية والأدبية المخادعة، ولكن الخطب لم يكن على المسلمين كثيراً، لو أنهم حافظوا على فكرهم الأصيل السديد، واستمدوا من تراثهم الإسلامي المفيد الذي أشعل مصابيح الجهد العملي والعمل الفكري فيهم أصالة، وفي أبناء الغرب إعانة، وتدل على ذلك شهادات الباحثين والمحققين في التراث العلمي البشري، وتوجد آثار لعلوم المسلمين ومعارفهم العقلية في خلفيات ما أوجدوه من الاكتشافات الجديدة، والتحقيقات العلمية

www.abulhasanalinadwi.org

الراقية، ولكن هذا الغرب الذي اقتبس أشعة من النور العلمي من أسلافنا المتفوقين في العلم والمعرفة في بلاد الأندلس والشرق الإسلامية، خلط هذا النور بنار تعصبه الديني والعنصري، وأصبح يعامل المسلمين والعرب بهذه النار المحرقة التي تحرق الأخلاق الإنسانية زاعماً أنها نور تزيد البشرية روعة وبهاء ،وخفي على الشرقيين وخاصة على العرب أنهم يتلقون من الغرب شيئاً خليطاً من نور ونار ينفعهم في جانب من حياتهم، ومع ذلك يذيب خصائصهم الإنسانية وميزاتهم الخيرة، وسماتهم الإسلامية، لأنهم لم يعودوا يفطنون مما يتلقونه من الغرب لما يضرهم في جانب آخر، فعليهم الحيطة في تناوله وأخذه، فإن فيه الوسائل المادية والاكتشافات العلمية التي تنفع آخذيها، وفيه الفلسفات الإلحادية والأفكار المنحرفة، والمناهج التي تضر بالقيم الإنسانية، وآداب الفضيلة أيضاً استعملها علماء الغرب وأدبائه وكتابه المتخصصون في المجالين التربوي والتعليمي مسدلين بها ستاراً ثخيناً على اعتداءات وظلم وقتل ونفي وتشريد للأمم الضعيفة والشعوب الفقيرة التي يقوم بها ساستهم معبرين بذلك عن قصدهم للإصلاح والترشيد، لقد قتل عشرات الآلاف من المسلمين في الهند إثر سعيهم للاستقلال كان قام به الجنود المسلمون والهندوس أيضاً ضد عدوان المستعمرين في الهند عام١٨٥٧م، فرصدت قوات الاستعمار لكل سري مسلم وعالم معروف، وعاملوه بالحبس أو النفي أو القتل، فكل من وجدوه شخصاً متميزاً في المسلمين صادروا أملاكه وشنقوه، أو حاكموه محاكمات سخيفة، واعتدوا عليه، و ربما قتلوه، كما بدأوا يحرمون

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين فرص التعليم والتخصصات، لئلا يكون لهم تفوق أو امتياز في مجالات الحياة الاجتماعية، وإذا منحوهم فرصا للتعليم، فكان ذلك على منهجهم المتسم بمركب النقص أمام الرجل الغربي، وتفخيم الفكر الغربي، وتهوين كل ما يتصل بالقيم الشرقية، والسمات الإسلامية، وصار المسلمون بسبب استفادتهم من مناهل أهل الغرب العلمية، مؤمنين بأن الرجل الغربي هو الإنسان الأعلى والأفضل والديمقراقي العادل المقسط، وأن الإنسان الإسلامي و العربي بصورة أخص هو الإنسان الهجمي الجاهل المتخلف في كل جانب من جوانب الحياة .

وبلغ الغرب بهذا المنهج إلى هدفه من تضليل العقول واستعبادها لمصالحه، وأسعر بدهائه نار التفرقة والعداوة بين الإخوة والأصدقاء بمناصرته لفريق ضد فريق آخر، وتأليبه عليه، ثم القضاء على طاقات أحدهما، فصار بذلك العالم الإسلامي والعربي كأشلاء مقطوعة، ذهبت بذلك شوكة المسلمين وهيبتهم، واستبدلت منها أذهانهم وعقولهم رعبا وانهزامية ومركب نقص أمام الشعوب الأوربية، لقد وقع ذلك بصورة علنية في الشعوب الشرقية، وخاصة في البلدان العربية، وذلك لقرب هذه البلدان للمناطق الأوربية، فقد غزت الدول الاستعمارية بطاقاتها المادية، وبدهائها ومكرها مناطق البلدان العربية، وأوغرت قلوب أهلها عدواة وشقاقا فيما بينها، وأثارت في ذلك عواطف القومية الجاهلية المتعصبة، ومشاعر الكراهة السياسية بعضها مع بعض في دولة كبيرة يحكمها حاكم واحد، كما وقع لدولة تركيا الإسلامية، صارت بتضليل عقول أبناء مناطقها المختلفة متوزعة إلى

www.abulhasanalinadwi.org

دويلات كثيرة، يتخاصم بعضها مع بعض، ففي الوقت الذي توحدت الولايات الأمريكية الشمالية رغم اختلاف انتماءات أبنائها إلى دول أوربا وإفريقيا المتعددة المتعارضة في الميول واللغات، صارت دولة واحدة مشحونة بثروات معدنية، وصلاحيات اقتصادية، وتوحدت روسيا مع الدول المجاورة لها رغم الاختلاف فيما بينها في اللغات والثقافات، والدين بضغط من الكبيرة منها، ولكن الدولة الإسلامية الواحدة التي كانت تنتظم على العرب والعجم والترك والأكراد تفرقت وانقسمت إلى دول كثيرة متخاصمة فيما بينها بسبب شعور بعض أجزاء الشعب بظلم وبخس حق من الحاكم، ومن الحكومة، وطلبها لحقوق أهاليها في مناطق مختلفة مع أن ذلك كان حالة لم تكن فيها غرابة، فكم من حكام جائرين جاءوا وذهبوا ولكن حكوماتهم بقيت سالمة مع ذلك..فإن تهاون الحكومات في أداء حقوق شعوبها وخاصة للضعفاء منهج للظالمين، ومن حق شعوبهم أن ترفع أصوات الاحتجاج على ظلمهم، ثم تنحل المشاكل، وقد لا تنحل سريعاً، ولكن النظام يبقى ولا تتفرق أجزاء البلاد، لأن تفرقها يكون أشد وأضر من إهدار حق لأفراد، أو عنصر، أو عناصر من الشعب لوقت يسير، ولكن الأعداء ينتهزون الفرصة عند ظهور الشعور بظلم وبخس حق في مكان ما، وذلك هو الذي وقع في العالم الإسلامي، والعالم العربي، وفي الهند، وفي الأندلس، وفي إفريقيا الشمالية، وفي البلدان الآسيوية الوسطى، والغربية الجنوبية، فإن الشقاق في الهند بين الحكام المسلمين الأشقاء كان قد سهل للقوى الاستعمارية أن تقوم بأفاعيلها،

www.abulhasanalinadwi.org

وأن تقضي على الطاقات الإسلامية في المجال التعليمي، والمجال الاقتصادي، والمجال السياسي، وقع ذلك في الهند التي لم تكن ولا تقل عن أي بلد إسلامي في سعة مناطقها، وبجلالة خدمتها للعلوم الإنسانية والإسلامية، رغم لغتها غير العربية، ولم تكن تقل عن أي بلد إسلامي في طاقاتها الاقتصادية والسياسية التي كان بيد المسلمين التصرف بها، وكانت فيها مكانة عظيمة للمسلمين، فإن تعدادهم فيها يفوق على عدد كثير من الأقطار الإسلامية، ولقد استخدم الإنجليز بدهائهم أنواع الطرق للقضاء على هذه الطاقات، ولكن الله لم يرد ذلك فبقي المسلمون، ولكن بضعف ومهانة، ولم ينقرضوا، وبدأ الآن تعود إليهم اليقظة والنهضة، ولكن بلدان إفريقيا وآسيا الغربية المسلمة التي كانت مجتمعة تحت حكومة واحدة، فكانت دولة يهابها ويخاف منها العدو، وطاقة تهدد كل خصم، وتصد كل تدخل سياسي، وشر ثقافي، أصبحت بعد تشتت هذه المجموعة واهنة محدودة ترزح في قيود المذلة، هي وكل بلد عربي إسلامي في المنطقة، وذلك لاستجابة أهله للنعرات العنصرية والقومية التي أغرى بها الاستعمار و أوغر بها الصدور والقلوب، ولما فعلت هذه النعرات فعلها المطلوب سخرها الاستعمار لمصلحته، وأحال هذه البلدان الإسلامية المنتظمة سابقاً في سلك سياسي وعسكري واحد إلى دويلات ذات مشاحنات قومية، وصراعات مختلفة، وأصبح الغرب على أساسها هو الحكم بينها، بل ولي أمرها، و رضي بذلك العرب رضا الاضطرار، لأنهم هم الذين مهدوا له الطريق بانفصالهم عن الوحدة السياسية

www.abulhasanalinadwi.org

الجارية منذ قرون، ولكنهم دخلوا في الاحتلال الخفي المسمي بالاستقلال، حتى وصل أمر خضوعهم للاستعمار إلى أن دولهم رغم كثرتها انكسرت وذلت أمام إسرائيل التي ما كان المسلمون في عهد سطوتهم يرضون بأن يمنحوها مجال شبر واحد من الأرض، والآن اضطر قادة فلسطين الذين كانوا يغضبون على كل متساهل في عداوة إسرائيل إلى أن يقبلوها فوق دويلة فلسطينية تافهة حصلت لهم كولي أمرها السياسي، يذلون أمامها، ويستجيبون لأوامرها، ويستسلمون أمام سلطانها، فهل كان يتصور المسلمون ذلك قبل تشتتهم وتفرقهم والعمل بنعراتهم القومية المختلفة، ولكنه واقع ذليل ومهين وصلت إليه الدول العربية بسبب طاعتها للغرب، وفقدان غيرتها، وقلة وفاءها لدينها.

ولكن هذه الدول آمنت بعظمة الغرب، وقدمت إليه الولاء، وخضعت له فاستذلها، وأهدر كرامتها، واستغل خيرات بلدانها، وسلط عليها عدوها الإسرائيلي البغاث، فاستنسر، فمن المسئول عن ذلك؟.

www.abulhasanalinadwi.org

السعي لهداية الناس مسئولية المسلمين

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بعث في هذا العالم قبل أربعة عشر قرنا في وقت كان الإنسان فيه أسوأ حالا مما فيه الإنسان اليوم، فقد كان القوي فيه يقوم بالظلم والاعتداء على الضعيف وبخس حقوقه وإذلاله صراحة وجهارا، وكان يعد ذلك من حقه، وكان الإنسان الأعلى وضعا في بيئته يعامل الأدنى وضعا كما تعامل البهيمة التي تستخدم لمصالح الإنسان بدون رعاية بما تحتاج إليه من رفق، وكانت لا ترحم إذا لم يكن فيها جدوى للإنسان الذي يملكها، وكان العبد من الناس يحرق بالنار ليبتهج بذلك المنظر المؤلم الضيف المكرم في مأدبة يدعو إليها القوي الغني أصدقاءه ورفاقه، وكان الإنسان قد اتخذ لنفسه آلهة كثيرة يعبدها من دون الله، وكان يقوم بأنواع الضلالات والإباحية والكفر، فأرادت رحمة الله أن تعود إلى الإنسانية كرامتها لكل إنسان، وإن تعود إلى الهداية، أيا ما كان لونه، أوعنصره، أو وضعه الاقتصادي، فبعث الله النبي محمدا صلى الله عليه وسلم ليقوم بالدعوة إلى توحيد الإله وإلى اختيار المعاني الإنسانية

www.abulhasanalinadwi.org

الكريمة، وأن يكون الإنسان رغم جميع فوارقه إنساناً كريماً بين المخلوقات الأخرى، ويكون حراً بين بني جلدته، وعبداً لله خالقه وإلهه الواحد، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الحق، وإلى اجتناب جميع ألوان الجهالة والضلال والظلم والاعتداء على الإنسان، حتى من الظلم على الحيوان والبهيمة كذلك، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه بنصرة المظلوم، ورعاية الضعيف، ومساعدة الفقير، وسعى لهداية الإنسان لإنقاذه من الويلات والاعتداءات التي كانت عامةً منتشرة حتى في المجتمعات المتحضرة، والطوائف الإنسانية الراقية، ونادى بقولته المدوية المجلجلة: "**كلكم من آدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى**"[١].

فهذا هو المبدأ الكريم الذي يحتاج الإنسان إليه في كل عصر ومصر، وإذا لم يتبع الإنسان هذا المبدأ فلن تحصل له الراحة في الحياة، ولقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجهوده الشاقة، وتفانيه في العمل لهداية الإنسان إلى مبدأ الحق والهداية والمساواة بين الإنسان والإنسان، وأن يكون في حياة كل واحد منهم مبدأ التقوى وهو الاحتياط في الحياة، ورعاية الحق واتباعه في ذات نفسه وفي سلوكه مع غيره، قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته في هذه الدعوة وفي تربية الناس على مبدأ العبادة للإله الواحد واختيار التقوى في

---

[١] - كنز العمال .

www.abulhasanalinadwi.org

حياته، وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعد حياته مسئولية الدعوة إلى هداية الناس إلى الحق، والعمل للمعروف، واختيار التقوى في السيرة والمعاملات، ميراثاً لمن جاء بعده من المسلمين، وجعل المسلمين مسئولين عن العمل في هذا المجال باختلاف الأزمان والبلدان، ولكن الذي يؤسف له أن المسلمين تركوا أداء حق هذا المسئولية، بل أصبحوا كغيرهم ممّن لا يؤمنون بهذه القيم الإنسانية الرشيدة، والسلوك على طريق الحق، ولا يمكن أن يعود العالم إلى الإنسانية الفاضلة إلا بالسير على الطريق الإسلامي الرشيد.

فإن الدعوة إلى ذلك وبذل الجهد له مسئولية المسلمين وواجبهم، فعليهم أن ينقذوا بيئاتهم وأوساطهم من الفساد المتفشي، والضلال المغوي فيها، وذلك بأن يصبحوا هم أنفسهم أولاً نماذج الخير، وأمثلة الفضيلة والإنسانية الكريمة متبعين لأوامر رسولهم العظيم صلى الله عليه وسلم، وأن يدعوا الآخرين عن طريق نماذج حياتهم هذه الشريفة إلى السيرعلى الطريق السوي، وبغير ذلك لا يمكن أن نغيّر الوضع المخزي لإنسان اليوم، ونحن مهما تأسفنا، لا ينفع تأسفنا، بل يجب العمل له، وهذا يفتقر أولاً إلى لفت الأنظار وتعريف الإنسان المتألم بالفساد المتفشي في العالم، وبعض الشعور بذلك يوجد في الأمم المتحضرة اليوم فهي رغم فسادها والمساوي الإنسانية العاتية فيها لا تزال تشعر بجدارة المعاني الإنسانية الكريمة بالالتزام والمحافظة، ولذلك تغطي ضلالاتها بأسماء ومصطلحات الإنسانية والفضيلة، وتقوم بظلم وعدوان لكنها تغطيه بمصطلح

www.abulhasanalinadwi.org

العدالة، وتقوم باحتقار الضعيف وتغطي ذلك بمصطلح الديمقراطية ونصرة الضعيف، ويمكن لنا أن نستفيد من هذه الناحية، ونذكر صاحبها ونلفت أنظارها إليها.

فإننا بحاجة إلى القيام بواجبنا نحو العمل بأنفسنا أولاً بالقيم الفاضلة، ثم الدعوة إليها، فنحن مسئولون عن ذلك، لكوننا أمة الدعوة أمة الرقابة للبشر أجمعين عملاً بما جاء من عند الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**﴾[١]، و﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾[٢].

فنحن أمة الدعوة وأمة الهداية يجب أن نعرف مسئوليتنا، والله هو الموفق.

---

[١] – البقرة: ١٤٣

[٢] – آل عمران: ١١٠

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمون مكلفون باختيار أجدى الوسائل مع سمو الغاية

إن الله تعالى خلق الإنسان، وخلق له كافة الوسائل التي يفتقر إليها لبناء حياته وترقيتها وتحسينها حسبما تقتضي أهدافه العليا، فقد جعله الله تعالى خليفة له في الأرض يستخدم هذه الوسائل ويؤدي واجبه نحو عبديته لله، ونحو خلافته له في الأرض، وشرع الله له نظاماً يصل بتحقيقه إلى رضا خالقه وربه، وبتحقيق هذا النظام يكون خليفة لله في الأرض، وجعل أداءه لوظيفته في ذلك مطلوباً مأموراً به، ينال على تحقيقه أجراً من خالقه الذي هو ربه و رب العالمين جميعاً، وإلهه الذي ليس له إلهٌ غيره .

وذلك ببناء حياته على الشريعة التي شرعها الله له، وتنفيذ شؤون خلافة الله تعالى في أرضه، وبحصول رضاه على تحقيق أوامره في حياته الدنيا، ويكون ذلك له كرامة وفضيلة في حياته الدنيا، ومثوبة وأجراً حسناً في حياته في الآخرة، أما إذا اكتفى باستخدامه

www.abulhasanalinadwi.org

لهذه الوسائل وتوظيفها لراحته ولتحقيق رغبته الجسدية وحدها حسبما تهواه نفسه، فإنه ينال الراحة الحاصلة من هذه الوسائل في إطاره المادي بحيث لا يمت لرضا ربه بصلة، فلا ينال على ذلك أجراً حسناً وجزاء طيباً في الآخرة، ولا ينال كذلك بركة في حياته الدنيا، بل يكون إعراضه عن أداء المطلوب منه من القيام بالعبودية والطاعة، ومن تنظيم حياته على الطريقة المأمور بها لأداء أمر خلافة الله في الأرض علامة لعصيانه لربه ليكون بهذا العصيان مستحقاً لعقاب الله تعالى، ومؤاخذته له في الآخرة مهما تمكن من التمتع بوسائل الراحة وعزة الحياة ومجدها الظاهر.

إن هاتين الطريقتين طريقة قاصرة براحة الدنيا، وطريقة جامعة بين خيري الدنيا والآخرة، إنما يسرهما الله تعالى كليهما للإنسان مع ما أمره الله تعالى به من اختيار الطريقة الجامعة بين الدنيا والآخرة مع تأكيده على طلب خير الآخرة في كل حال، ويدل التاريخ الإنساني على اختيار الإنسان لطريقة من الطريقتين في مختلف فترات الزمن، ولقد استفاد الإنسان من اختيارها حتى بلغ الكمال فيها، وخسر فيها عندما قصر في العمل بها، أما الذين اتبعوا أوامر الشريعة التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام من الله تعالى، فإنهم فازوا في الدنيا والآخرة جميعاً، فإنهم نالوا درجة حصولهم لرضا الله تعالى بعبوديتهم وبتنظيم الحياة وفق أوامره، واستفادوا كذلك مما وضعه الله تعالى للإنسان في هذه الأرض من ثروات ونعم مع ما هيأه الله في الآخرة من جزاء أوفى ينالونه في حياتهم الآخرة، وقصر

www.abulhasanalinadwi.org

الآخرون في طلب رضا الله، وتنفيذ أوامر الشريعة التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام، ولكنهم استغلوا الطاقات المهيأة للإنسان في هذه الدنيا ووسائل الراحة والنعمة التي سخرها الله تعالى للإنسان مكتفين بذلك دون النظر إلى الآخرة، فاستفادوا مطامعهم في الدنيا حسب هواهم ورغباتهم، بما وضع الله للعاملين للدنيا من منافع عاجلة وقاصرة بحياة هذه الدنيا دون الآخرة، فأعطاهم الله تعالى ما رغبوا فيه بقدر ما شاء هو، و لكنه حرمهم النعيم في الأخرى، بل عاقبهم عقاباً شديداً بسبب نكرانهم لفضل الله ومخالفتهم لأوامره، فقد ذكر الله تعالى ذلك في كلامه ﴿**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً، كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا، انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرةُ أكبر درجات وأكبر تفضيلاً**﴾ [الإسراء: ١٨-٢١] بذلك يتضح أن الكفر لا يمنع من البلوغ إلى حياة العز والكمال والراحة في هذه الدنيا، وأن الالتزام بالدين والامتثال بأوامر الله لا يمنع أيضاً من البلوغ إلى الكمال والعز المادي في هذه الدنيا، لأن الوصول إلى كمال العز والقوة مرتبط بالاستفادة والاستغلال من الوسائل المودعة في الأرض من الله تعالى، فمن يختارها يصل إلى الكمال المطلوب فيها، واختارها الكفار في مختلف العصور والأزمان فبلغوا إلى العز والقوة في حياتهم الدنيا، ولكنهم بكفرهم وباتباعهم لهواهم خسروا الراحة والنعيم في الآخرة،

www.abulhasanalinadwi.org

وعندما قصروا بالاستفادة من هذه الوسائل المودعة في الأرض هانوا وذلوا في الحياة الدنيا أيضاً وليس لهم في الآخرة من خلاق، أما المسلمون فعندما فطنوا لأهمية هذه الوسائل التي سخرها ربهم لهم ليستفيدوا منها لأهداف الخير واختاروها واستغلوا هذه الوسائل مع محافظتهم على امتثال أوامر الله تعالى فإنهم بلغوا أيضاً إلى العز والقوة في الحياة الدنيا أيضاً، وكان لهم الفوز والنعم التي أعدها الله لهم في الآخرة.

لقد سلك المسلمون من بني إسرائيل هذا الطريق ونالوا العز والشرف، وذكر الله تعالى ذلك في كلامه بقوله "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين" ثم ظهر فيهم البغي بعد فترة من الزمن وعصيان شديد، كما قصروا في الاستفادة الصالحة أيضاً بما سخره الله تعالى وهيأه للإنسان من وسائل، فهانوا وذلوا، ثم أصيبوا ببغيهم وعصيانهم لربهم وأعمالهم السيئة بنكال من الله شديد، أما المسلمون في عهدهم الأول وذلك بعد بزوغ شمس الإسلام تحت راية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد اختاروا الطريقة الأحسن من الطريقتين وهي الطريقة الجامعة بين الإيمان والعل الصالح والاستفادة من العلم واستغلال وسائل العزة والقوة فبلغوا إلى أعلى درجة الكمال والقوة، وقضوا نحو ستة قرون في العز والقوة في الدنيا ما لم يكن لهم عديل في ذلك، ثم قصروا في أسباب الدنيا المهيأة لهم من الله تعالى فهانوا وضعفوا، وضعفت قوتهم وشوكتهم، ومن المؤسف أنهم قصروا تقصيراً في المحافظة على

www.abulhasanalinadwi.org

الأسباب التي ينالون بها رضا الله أيضاً، وتهاونوا في المحافظة على حياة الامتثال لأوامر الله، وسرت فيهم الأدواء الخلقية والعلمية، وضعف فيهم الالتزام بما يجب عليهم نحو الوحدة على كلمة الله، وتنفيذ ما يتقاضاه منهم منصبهم في الحياة من إصلاح ما فسد في حياتهم، ومن هداية غيرهم إلى الحق، وبذلك وقع فيهم تقصير في الجانبين معاً، جانب اختيار أسباب القوة والتقدم، وجانب الالتزام بصفات الصلاح والتقوى، وفي نفس الوقت تيقظت الأمم المناوئة لهم، وبدأوا اختيار أسباب القوة والتقدم، ووسائل الغلبة والسلطة، فهانت على هذه الأمم القوة الإسلامية التي لم تعد ملتزمة التزاماً لائقاً لا بأسباب القوة والغلبة لهذه الدنيا، ولا بأسباب الطلب لرضا الله ونصرته، فكان نتيجة ذلك انتصار القوة المعادية للإسلام التي اتخذت الإسلام والمسلمين هدفاً لمآربها الاستغلالية والعدائية، فشتتت بلاد الإسلام، واتخذت وسائل لاستعباد عقلية أبنائها، واتخذت كذلك طرق التعليم والأدب والإعلام أيضاً، فبهرت بذلك عقول شباب بارعين من أبناء الإسلام في مؤهلاتهم العلمية والإنسانية بمنجزاتها التجريبية الرائعة في الحياة المدنية والاجتماعية.

ولكن المسلمين اليوم بدأوا يفطنون لهذه الرزيئة التي أصبحوا يواجهونها منذ عدة قرون، فبدأوا يستيقظون وينتبهون للكارثة وللخطر، وبدأوا يهتمون بما يهمهم في وجه ذلك، وليس بعيداً أن يعود المسلمون مرة أخرى كأمة حازمة عاقلة لمجرى الأمور ويأخذوا

www.abulhasanalinadwi.org

بأسباب الحزم والعزم والإعدادات اللازمة للبلوغ إلى مكانة العز والقوة وهو عمل ليس التوفيق له من الله بعزيز .

إن المسلمين أمة مختارة من الله تعالى ووعدهم الله تعالى بالغلبة والانتصار بقوله ﴿ **وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**﴾ ولكن اشترط الله لغلبتهم وعلو مكانتهم بأن يكونوا مؤمنين، والإيمان يقتضي أخلاقاً وصفات فيها جد وصرامة وكفاح، واتباع للحق وتطبيق لشريعة الله على الحياة الفردية والاجتماعية جميعاً، وأن يأخذوا بأسباب القوة والعز، وذلك بتربية النفوس وتسليحها بسلاح العلم المفيد، وبالإعداد اللازم للظروف التي يواجهونها وفقاً لقوله تعالى ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**﴾ [الأنفال : ٦٠] . ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم " تسلحوا بأسلحة أعداءكم" بدلاً من أن يقعوا في حالة الانبهار أمام التقدم الغربي في وسائل الحياة وأسباب القوة المادية ويصابوا بمركب النقص يبلغ بهم إلى التقليد الأعمى والخضوع أمام منجزات علمية وصناعية ومدنية فيتبعوا الحياة الغربية التي تسير على سبيل الضلالة وأخلاق الجاهلية الأولى التي نبذت أوامر الشريعة والدين أيضاً ولم يعد لها بالدين إلا الانتساب اللفظي فإن الدين الحق برئ من ذلك ودين الإسلام أبعد شيء من ذلك، فإن المسلمين مأمورون بأن يكونوا هداة متبوعين، لا رعاعاً تابعين ولن يكون لهم النجاح إلا بالسير على جادة الحق جادة الجمع بين أسباب القوة والعقل وبين حياة الهداية والحق .

www.abulhasanalinadwi.org

الجماهير بخير: و إنما الحاجة إلى ظهور قيادة راشدة واعية بالمسئولية

الجماهير المسلمة خير الجماهير في كل مكان، في استعدادها لقبول السيرة الصالحة، والاتجاه الرشيد، وللانفعال لكلمة الحق، والاندفاع إلى العمل، ملبية للدعوة إلى الخير سواء تسكن في مشارق الأرض أو في مغاربها، فجميعهم على الجادة الواحدة، وعلى صفات مماثلة، و ذلك الذي سهل للقادة المسلمين مراراً أن يذيبوا الثلوج، وأن يعالجوا الأوضاع الراهنة بكفاءة ونجاح ، فقد حدث في التاريخ الإسلامي مراراً أن قام المسلمون في وجه الفساد، فأتوا بالمعجزات، فغيروا البيئات، وحولوا المجتمعات، وعند ما قاموا في وجه العدو أجبروه على الاندحار، ولكن ذلك لم يحدث إلا عندما حصلت للجماهير المسلمة قيادات مؤهلة، قيادات تتمتع بالإخلاص والإيمان والحكمة، وهي قيادات لا تنتجها مراكز التعليم الرسمي ولا بيئات المسلمين العامة، بل إنما تنتجها وسائل التربية النبوية الفذة الحاصلة من القرآن والسنة، والسيرة النبوية، وهذه الوسائل النبوية قد تؤدي دورها في التربية بصورة مباشرة، وقد تؤدي بوساطة مربين مخلصين

www.abulhasanalinadwi.org

هبأتهم رحمة الله سبحانه وتعالى لهذا العمل الجليل، فالجماهير المسلمة بخير، وفيها كل الاستعداد للتحول من الأمة الضعيفة الواهنة المفككة الأوصال إلى أمة ذات صرامة وعصامية واستمساك، ولكن بشرط إخلاص قادتها وقوة إيمانهم وحكمتهم في العمل، ولقد شهد التاريخ الإسلامي أمثلة رائعة لقيادات إسلامية عملاقة في مجالات مختلفة من الحياة، في السياسة، وفي الدعوة، وفي التربية.

إن الجماهير المسلمة تفتقر إلى من يحرك فيها العاطفة الإيمانية، والحماس الديني، ويوحد صفوفها، وهي بحاجة إلى زعماء وقادة يملكون وسيلة لهذا التحريك، وأكبر وسيلة لهذا العمل هي إثارة الإيمان بالله وبرسوله، ولفت نظرها إلى ما يرضى الله به، ويكتب عليه مثوبة وأجراً في الآخرة، وهذا الإيمان هو الذي حمل جماهير الأمة الإسلامية على القيام بأدوار تاريخية جبارة في تبليغ دعوة الإسلام، وفي إنجازات علمية عظيمة، وفي مقاومة القوى الهدامة للفضائل الإنسانية، وفي القيام بالبطولات الحربية في مختلف أصقاع العالم، وما نهض المسلمون في مجال من المجالات الإنسانية إلا سبقوا غيرهم في ذلك المجال، وأتوا بما يشبه المعجزات، ولكنهم استطاعوا بذلك عندما حصلت لهم قيادة مؤمنة رشيدة، ونجد أمثلة من ذلك في ما استطاعه المسلمون تحت قيادة طارق بن زياد في فتح الأندلس، ومحمد الفاتح في فتح القسطنطينية، وما فعله سيدنا عمر بن الخطاب في سياسة البلاد المختلفة، وحكم العباد البسط، وما قام به سيدنا عمر ابن عبد العزيز في إصلاح الأخلاق السياسية، وترشيد الحكم، وما فعل

www.abulhasanalinadwi.org

السلطان صلاح الدين الأيوبي في توحيد صفوف المسلمين، وإنعاشهم من الوهن الذي كانوا وقعوا فيه بتفرق كلمتهم وتشتت أهوائهم، فبيض وجوه المسلمين، و رفع رؤوسهم التي كانت منكسة منذ ما يقارب قرناً واحداً .

لقد كانت الجماهير المسملة في عهد صلاح الدين الأيوبي طاقات بشرية مبعثرة، منقسمة في دويلات متخاصمة، فإذا بقيادة عملاقة تبرز في شخصية صلاح الدين الذي لم يكن قبل بروزه شخصية معروفة ذات كفاءة مرموقة، ولكنه استطاع عند ما تحلى بالإيمان والحكمة والإخلاص تحويل طاقات الإسلام الضعيفة في ذلك الحين إلى طاقات من الحديد المتماسك، وبه استطاع هذا القائد العصامى من دك القوى الصليبية في معركة حطين، وأصبح بعدها اسم صلاح الدين واسم حطين يخيفان الأعداء أجيالا بعد أجيال .

فالجماهير المسلمة في الشرق الأوسط اليوم لا تقل في حالتها من أسلافها في عصر صلاح الدين، ولا تقل منهم في صلاحيتها للتحول إلى طاقات من الحديد المتماسك تتحطم عليها حتى الجبال، وليست إسرائيل إلا ولدا صغيرا أمسك بيد رجل كبير، والمسلمون ينقصهم القائد العصامى المؤمن، ولا مانع في ذلك إذا بلغ شعور رجل عصامي مبلغ العمل الجاد بحكمة بحكمة صلاح الدين، وبغيرة مثل غيرته، فإنه سيستطيع بذلك أن يغير مجرى التاريخ من جهة مخالفة للمسلمين إلى جهة تابعة للمسلمين بإذن الله وتوفيقه .

هذا مثال في مجال الحرب والسياسة، أما في الدعوة والتربية

www.abulhasanalinadwi.org

فقد برزت قيادات عملاقة أيضا أحدثت بجهودها القيادية الفردية تحولات واسعة في مجتمعات كانت غارقة في الانحلال والضلال، فتحولت في نتيجة جهود هؤلاء المخلصين المصلحين إلى مجتمعات مثالية في سيرتها و سلوكها وحياتها، ولكن ذلك لم يحصل إلا بالتربية القرآنية التي تلقاها هؤلاء العباقرة من المصلحين، فقد كانوا على أعلى مستوى من الإيمان والإخلاص و العمل .

ومثاله شبه القارة الهندية قديما، فقد كانت على غير الإسلا م فقام فيها رجالات الدعوة والإصلاح بجهودهم، واستطاع عدد منهم تحويل مناطق كاملة إلى الحق والإسلام، مثل المصلح الكبير الذي قام بجولات دعوية في منطقة كشمير، فتحولت المنطقة كلها من البرهمية إلى الإسلام بجهوده وجهود تلاميذه البررة، وهي تتمتع اليوم بأغلبية إسلامية ساحقة من بين المناطق الأخرى، ومثل الشيخ الهجويري الذي كان من تأثير جهوده الدعوية أن منطقة البنجاب من شبه القارة الهندية صارت منطقة ذات أغلبية إسلامية، وهي التي تشكل اليوم القوة الأساسية في الباكستان، ومثل المجاهد الكبير الشيخ أحمد بن عرفان الشهيد، فقد أثرت جهوده بصورة تذكر العهد الإسلامي الأول، فقد صلحت حياة مئات الألوف من مسلمي الهند من الانحراف الشديد إلى الصلاح والدين، ولا تزال أثارة في حياة كثير من مسلمي الهند ، فالقضية ليست قضية الجماهير فإنها بخير والحمد لله، وهي تحمل الاستعداد الكامل لحمل المسئولية المطلوب فيها حملها، ولكنها في حاجة إلى قادة يحسنون حمل المسئولية وأداءها

www.abulhasanalinadwi.org

بأمانة وإخلاص وإيمان، ثم إن مثل هـؤلاء القـادة يـبرزون مـن الأمـة نفسها، فإنه يمكن لأفراد الملة أن يحـاولوا إعـداد أنفسـهم لمثـل هـذه المسئولية، وذلك بالتحلى بالإخلاص والإيمـان، واختيار صفات لائقة لهذه المكانة الرفيعة .

ومن فضل الله ومنته على المسلمين أنه لم يخل قرن من قرونـهم وحقبة من تاريخهم من ظهور مثل هذه الشخصيات القياديـة ممـن زينـوا أنفسهم بالصفات المطلوبة، فاستطاعوا مقاومـة تيـارات البـاطل، والعمـل لأجل استخلاص الأمة من حياة الذل والخنوع إلى حياة العـز والسيادة، ومن حياة الضلال والانحراف إلى حياة الهداية والاستقامة .

فليس عجيبا أن يظـهر في الأمـة الإسـلامية اليـوم أيضـا مـن يحسـن أداء المسـئولية المطلوبـة في الظـروف الراهنـة، فتخـرج الأمـة الإسلامية بجهده من الذلة إلى العزة، وتعود إلى ما يليق بها من المكانة والصيت، ولايبقى عـار الـذل في فلسطين وغـير فلسطين، ولا تبقـى عاهات خلقية واجتماعية نخرت وتنخر معنويـات الأمـة الإسـلامية، وتحول بينها و بين استحقاقها لرحمة الله، فإن رحمة الله قريب مـن المحسنين .

لقد وصلت الأمة الإسلامية مرة أخرى إلى الحضيض السياسي والمدني، وأصبحت بحاجة إلى من ينهض بها ويوحد كلمتها، ويرفـع رؤوسها، ويعينها بقوته الإيمانية، وحكمته الإسـلامية، وهمتـه الـتي تعادل همة صلاح الدين، فيعيد أمته الإسلامية إلى منصة القيادة التي هي تستحقها، وهي خليقة بها، وما ذلك على الله بعزيز .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

ازدواجية الغرب في العالم الثالث

التعايش السلمي مبدأ ينادي به زعماء الديمقراطية والحرية في الغرب، ويظنون أنهم هم الذين أتوا بهذا المبدأ المريح للإنسانية متجاهلين عما سبق من الإسلام فيه مما أتى به قبل الآخرين، وعمل به المسلمون في عهد حضارتهم ومدنيتهم الزاهرة عند ما كانت أوربا تتسكع في دياجير الجهالة والتعسف والهمجية، وكانت تتلهف على ما كان يتمتع به المسلمون من ميزات خيرية، وما كانوا يوطدونه من مبادئ الإنسانية والمواساة، أما حقوق الإنسان فقد كان أول من نادى بها هو رسول الإسلام محمد بن عبد اللهﷺ حيث أعلن أمام جموع المسلمين في الحج، فقال: " كلكم من آدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي علىعربي، ولا لأسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى"[١]، فقد قال ذلك وهو من سلالة هي أشرف السلالات العربية قريش، وكان قوياً وحاكماً في مساحة واسعة

---

[١] - كنزل العمال

www.abulhasanalinadwi.org

من الأرض، فلم يكن بحاجة إلى أن يستفيد من هذا المبدأ لنفسه ولا لقومه، فيعد الأسود مساوياً للأبيض، ويعد العجمي مساوياً للعربي، وفي الوقت الذي كانت الأمم كلها تعتمد على التفاضل العنصري، وعلى تفاوت الطبقات الإنسانية، وكان مبدأ التفريق بين إنسان وإنسان سائداً في كل مكان، ولم يكن متوقعاً من إنسان رفيع معزز طبقياً وسلالياً واجتماعياً وسياسياً، أن ينادي للوضيع المنبوذ بالمواساة مع رفيع معزز، ولكنه كان إيماناً بمبدأ الإنسانية الكريمة واحتراماً لمكانة الإنسان وحقه في الشرف الذي يتمتع به أخوه من جنس آخر، وعنصر آخر، وطبقة أخرى، ولم يناد الإسلام بمبدأ المساواة والمواساة هذا مجرد نداء، بل إنما طبقه الرسول الكريمﷺ، وعمل به المسلمون في مختلف عصورهم، وتركوا له أمثلة رائعة لمن يأتي بعدهم، منها أن الرسول الكريمﷺ كان يعامل زيد بن حارثه الذي كان عبده ومولاه معاملة الأخ بأخيه، والقريب لقريبه، وكان يحب ابنه أسامة بن زيد كأولاده، ومن أمثلة رعايته لحقوق الإنسان، انه أعلن مرة أن من عنده مظلمة مني يريد الاقتصاص لها فليأخذها مني، فقال رجل من صحابته: أنا يا رسول الله، أذكر أنك حركت سوطك مرة على دابتك فوقع علىّ فآذاني، فكشف رسول اللهﷺ عن ظهره وعرضه عليه ليضرب بالسوط اقتصاصاً منه، ولكن الرجل لم يقتص منه، بل بلغ من تأثره بهذه العدالة، أن قبل ظهره، وكان لا يقهر أحداً ولا ينهره، ولم يضرب خادماً قط، ومن أمثلة العدالة الإنسانية في الإسلام أن رجلاً قبطياً في مصر قام بمسابقة الطراد مع نجل حاكم

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين عمرو بن العاص رضي الله عنه، وسبقه في الطراد، فضربه ابن الأمير، وقال : خذها وأنا ابن الأكرمين، وخرج الرجل فأتى خليفة المسلمين في المدينة، وشكا إليه، فطلب الخليفة ابن الأمير والأمير نفسه أيضاً، فلما وصلا إلى المدينة، وحضرا بين يدي الخليفة، قال لهما: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً، وقال للقبطي: اضربه كما ضربك، واضرب الأمير كذلك لأن الولد لم يتجرأ بالاعتداء عليك إلا اعتماداً على مكانة والده في الحكم فكان سبباً في ذلك، فمن حقه أن ينال جزاءاً على سهمه في الاعتداء، أليس ذلك مثلاً رائعاً ؟ فتحقق المبدأ المعلن عنه بقوله ﷺ " لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى"، ومن أمثلته أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد دعي إلى القدس ليتسلم مقاليد المدينة، فسافر عمر بن الخطاب مع مولاه إلى القدس، وكانا لبعد المسافة يتعاقبان جملاً واحداً، ولما اقتربا إلى مدينة القدس، كانت نوبة الركوب لعبده، فقال لسيده عمر بن الخطاب: إنه يتنازل عن نوبته، حتى يكون دخول الخليفة في المدينة في عزة ومهابة، فأبى عمر بن الخطاب ذلك، ولم يقبل تغييراً للنوبة، ودخلا في المدينة، وكان السيد راجلاً وعبده راكباً.

وقد قام المسلمون سواء كانوا أمراء و ولاة على البلاد، أو عامة من الناس بمعاملة الطبقات السافلة طبقياً أو اجتماعياً معاملة المساواة الكاملة، وشارك العبيد سادتهم في السياسة، فوصل عدد منهم إلى منصة الحكم، وصاروا ملوكاً وأمراء، فهناك سلسلة من الملوك والمماليك

www.abulhasanalinadwi.org

في الشرق الأوسط، وآسيا الجنوبية، وقاموا بالحكم المتواصل من واحد إلى آخر في بلدان مختلفة، أما اليوم فيواجه المسلمون النكران لفضلهم و إهانة دينهم، ويواجهون الازدراء، وبخس الحقوق، والمجافاة في المعاملة، ويكالون بالظلم وسفك الدماء، أما الظالمون والعابثون فهم في حماية القوى الكافرة من أبناء الدين المسيحي من أصحاب الاستعمار الغربي على أساس فارق النسل والدين، فالظالم مظلوم في نظرهم لأنه من جنسهم، والمظلوم ظالم لأنه على غير دينهم، أو كان من جنس آخر غير الجنس الأبيض، يفعلون ذلك ثم يزعمون أنهم حارسون لحقوق الإنسان، وأنهم مطبقون الديمقراطية والمساواة والمواساة، وإذا سعى المسلمون لحقوقهم الوطنية أو الدينية أو السياسية، فلا ينالون إلا تهمة الأصولية، يشتمون بها، فما معنى كلمة الأصولية، وماذا فيها من خطر، هل عيب أن يرى الرجل إلى أصوله ومبادئه، أو حقوقه الأصيلة، ويلتزم بأصول من شريعته ودينه، فهل يجوز أن الإنسان إذا طلب الأصول والمبادئ السليمة، ونشدها نشدانا أن يتهم بالأصولية بمعنى الاعتداء والإرهاب، وبعمل غير نظيف وغير شريف، وهل إذا تزيا بزي الصالحين من أسلافه العظماء، وأبدى اهتماماً زائداً، بعبادة ربه، وطاعة نبيهﷺ يصبح رجلاً متمرداً على أمن البلاد، ومنحرفاً عن المساواة والديمقراطية، ويؤخذ على هذا ويعاقب معاقبة مؤلمة، ويستحق به أن يزج به في السجون، وتستخدم له وسائل التعذيب المغلظة، ومن المؤسف أن الغرب لا يكتفي بكل ذلك، بل إنما يربي رجالاً من أبناء المسلمين أنفسهم، ويتخذهم زبانية له

www.abulhasanalinadwi.org

يقومون بكل ما يريده الغرب، وتوصل القوى الغربية هؤلاء الأفراد إلى مواضع القوة والتصرف في بلاد الشرق، فهم يتولون عن القوى الاستعمارية الظالمة قهر إخوانهم الصالحين المستقيمين في سلوكهم وسياستهم، والمحافظين على مبادئهم يقهرونهم قهراً، ويضطهدونهم اضطهاداً، فهذا كله دليل على أن بلدان الإسلام التي تحررت من نير الاستعمار الغاشم ظاهراً واصطلاحاً لم تتحرر من احتلال الغرب، واضطهاده باطناً وحقيقة، فإن الغرب لا يزال يستعمرها، ويحكمها، ويتصرف في سياستها واتجاهاتها التقليدية، وفي أموالها، وإذا أبدى المظلوم استنكاراً لهذه السياسة، اتهموه بالرجعية والتخلف، وإذا زاد من هذه الاستنكار فيتهم بالمعارضة للمبادئ الإنسانية، وبالإرهاب، فيؤخذ ويعاقب، وتصيح ضده الصحافة العالمية اليهودية المسيحية، وتتهمه وتتهم الإسلام والمبادئ الإسلامية بمخالفة الديمقراطية وحقوق الإنسان، فياله من وضع مقلوب وسياسة ظالمة .

www.abulhasanalinadwi.org

سياسة القمع و الكبت تؤدي إلى الإرهاب

إن الحروب القائمة قبل قرون بين القوات الغربية الصليبية وبين المسلمين، والتي دامت دائرة لقرون طويلة، والتي كسب المسلمون فيها انتصارات رائعة، انتهت في ظاهرها، ولكنها انتهت من جانب واحد، أما من جانب الغرب، فقد تحولت إلى حرب باردة، واستمر الغرب في اختيار الوسائل الهادئة، فقد قوي إقبال الغربيين على العلم، والتجريب العملي، والجهد الأدبي، أما المسلمون فقد تقهقروا في المجالين، وكان ذلك أمراً جعل كفة الغربيين في ميزان القوة والغلبة راجحة، هدأت الحرب ذات الطرفين، ولكن الحرب ذات الوجهة الواحدة استمرت، بل واشتدت وتشكلت هذه الحرب بأشكال مختلفة، منها الشكل السياسي، والشكل الاقتصادي، والشكل الصناعي، والشكل التعليمي، والشكل الإعلامي، ولا تزال هذه الحرب مستمرة إلى الآن، وبها كسبت الصليبية على أيدي أتباعها الغربيين مكاسب عظيمة، وذلك بوسائلها المتجددة والراقية، وبالسيطرة السياسية التي حصلت لها بحكم تفوقها العلمي

www.abulhasanalinadwi.org

والصناعي، وبحكم تخلف المسلمين فيهما، وما مضت أجيال على هذه الحالة إلا وامتلأت أذهان المسلمين بما أراده الغرب من الزرع فيها، وآمن أبناء الشرق بتفوق الأمم الغربية، على الأمم الشرقية، وعلى المسلمين، وبدأوا يظنون أن الرجل الأبيض هو إنسان قوي غالب طبيعيا، أما الرجل الملون أو الأسود فكأنه لم يخلق إلا ليكون تابعا لهذا الغالب، وعبدا له، أو أداة للماكينة الغربية، ونسى الناس ما كان للمسلمين في قرون أوربا المظلمة، وهي قرون المسلمين المستنيرة بالعلم والمعرفة والقوة والتقدم والاكتشاف والازدهار، وكان من نتيجة هذا الوضع، ومن تأثير هذه الحالة أن استسلم المسلمون للواقع المهين، وأصبحت معرفتهم تابعة لما يغذيهم الغرب من فكر ومعرفة وعلم، وصار الغرب المستعلي بفلسفاته المغطرسة، ومبادئه الخليعة للحياة، معلما ومربيا، وموجها للعالم، وبدأت ثقافته ومدنيته تغزوان كل ناحية من نواحي العالم، وتصبغان كل جانب من جوانب الحياة في شعوب العالم وأممه، وتجلى ذلك في مجالات الحياة، وفي مظاهر المعيشة، وطرق التعليم والتربية، وفي الصور الثقافية، وفي اتجاهات المثقفين وتصوراتهم، وفي صور الأزياء والملابس، وغير ذلك، حتى كاد العالم كله يصبح صورة طبق الأصل للمنهج الغربي في كل شيء، ذلك المنهج الغربي الذي نجد من أهم خصائصه أنه متركب بطبيعتين من الفكر والاتجاه، إحداهما الصليبية، وأخراهما الإلحاد، يرى الغرب من هذا الفكر والاتجاه كل شيء، ويتجلى ذلك في مظاهر الحضارة الغربية، ففكرة الخطيئة والغفران المسيحية تسرح الإيمان الغربي من

www.abulhasanalinadwi.org

قيود المحافظة الدينية، فإنه يعتمد على الغفران السهل، ولا تتجلى علاقة الغربيين بالدين المسيحي، إلا في اهتمامهم في بناء الكنائس وتنظيم الحركة التنصيرية في عقر بلاد المسلمين رغم مروق المسيحيين أنفسهم في بلادهم من المحافظة الدينية المسيحية، وأما إلحاد الغرب فإنه يتجلى في كل مجالاتهم العقلية، مثل المجال الفكري، والمجال الأدبي، والمجال التربوي، والمجال الإعلامي، فكان من تأثير ذلك أن عمت الاستهانة بالدين، والاستخفاف بعقائده وقيمه، والاستهتار بالمعاصي والذنوب، والتلبس بالفحشاء والمنكر، وشيوع الرذيلة الخبيثة في مجتمعات العالم.

هذه حالة الغرب ومنهج حياته العارمة، وبذلك استطاع الغرب أن يفرض هيمنته الغربية الصليبية الملحدة على أبناء الشرق، بدون أن يكون له منافس أو معارض قوي في اتجاهه هذا الخطير غير أن المسلمين مهما أصابتهم الغفوة والغفلة، ينصرهم كتاب الله تعالى الذي لا يزال جديداً وباقياً غير منقوص، وهم يحملون تعاليم الرسول الكريم ﷺ وإرشاداته التي فيها أكمل وصفة، وأكثرها تأثيراً لحياة اليقظة والتقدم والقوة، فما أزعجت عقلاءهم صدمات موجهة من الغرب المستعلي الغاشم على المسلمين إلا ورجعوا إلى مصدري دينهم، واغترفوا منهما ما كان ينقصهم من صحوة وعزيمة، ونقلوه إلى إخوانهم، فأوجد ذلك صحوة في المسلمين، وانتباهاً للمكائد التي أحيطوا بها، وتهيئاً لمواجهتها ومقاومتها.

اختار الغربيون طرق الإعلام والدعاية مستعينين بقوتهم

www.abulhasanalinadwi.org

السياسية، فأثروا على جماهير المسلمين في كل مكان، واستعانوا بوسائل الضغط و الكبت والاضطهاد لتحقيق أغراضهم في الشرقيين، فنشأ من ذلك رد فعل في المظلومين اشتد باشتداد الظلم عليهم، فنشأ بذلك وظهر فيهم حنين إلى ماضيهم العظيم، وطموح إلى استعادة الكرامة والشرف الحاصلين لهم في ذلك الماضي، ورغبتهم للخروج من حالة الذل والهوان الذي هم فيه الآن، وهذا هو الذي نجده اليوم في كل مكان يقيم فيه عدد محترم من المسلمين، أنهم بدأوا يشعرون بما وصلوا إليه من الذلة والاستكانة، وذلك لانصرافهم عن مبادئ الإسلام وتعاليمه، ومن صبغهم للحياة بالصبغة المادية والإلحادية، ولكن شعور المسلمين للواقع وطلبهم للصحوة لم يكن يعجب الغرب، بل إنما يقلقه لأنه لا يريد التخلي عن سيطرته الفكرية والمادية على الشرق وبخاصة على المسلمين، فبدأ الغرب يقاوم نشاط المسلمين لطلب الحرية والقوة، ويصف المسلمين بصفات سلبية هدامة، ويعبر عن ذلك بمصطلحات الأصولية والإرهاب .

و بدأ الغرب يختار لصد تيار الحرية والاستقلال الدافق في قلوب المسلمين وسائل مختلفة للصد والقمع، وطرقاً متعددة للعنف والشدة من أسر وتعذيب و إكراه على ترك المبادئ الأصيلة، و أوغر الغرب صدور أتباعه من الشرقيين لضرورة مقاومته لهذا التيار الجديد، فانتشر العمل بذلك لدى حكام بلاد الإسلام والشرق، إلى أن أصبح ذلك موضة سياسية يختارها الحكام حتى في بلاد المسلمين الذين لا فرق بين الجماهير و الحكام فيها في الطبيعة والجنسية

www.abulhasanalinadwi.org

والمصير، ورغماً من أن هذه السياسة الاضطهادية وإكراه الجماهير على ترك معتقداتها سياسة خاسرة، ويشهد التاريخ الإنساني الطويل بإنه لم تأت نتائج هذه السياسة إلا وخيمة، وإنما أوجدت هذه السياسة كراهة شديدة، بل و رد فعل عنيف في شباب الأمم وعقلاءهم ساق إلى الأخذ بأسباب العنف والغضب، فالعنف والإرهاب الحاصلان في الشباب المظلوم في هذه الحالة ليسا إلا نتيجة للسياسة الظالمة التي تختارها الحكومات المتغطرسة المستبدة، وهو أمر لن يوصل إلا إلى الفساد العام، فلابد أن تغير الحكومات خططها، وأن تسير على سياسة أخرى، تكون فيها موافقة للطبيعة الإنسانية، وفهم لنفسية الشباب والشيوخ، ومعاملة مع الناس معاملة الإخوة والزملاء، فإن الظلم لا يجني حباً، ولا يأتي الاضطهاد إلا بكراهية، وإذا استمر الظلم فإنه يخلق غضباً ومقاومة سرية، ويتحول كل ذلك إلى إرهاب وسفك دماء، والتاريخ ملئ بذلك، يجب أن يتعظ بذلك المتعظون، إنه يجب أن تعترف القوى الغربية بحقوق الإنسان الشرقي، فإن لكل شعب ولكل أمة حقاً في التمتع بالحرية والكرامة، واختيار الفكر والدين المتلائمين مع عقائدها وأفكارها الموروثة، ولا يجوز أبداً أن يحرم شعب أو أمة قهراً وعنوة مما تؤمن به ويختاره، فإن استخدام القهر والظلم لتجريد شعب أو أمة من مقوماته الدينية والفكرية والثقافية، ومن حرية الاختيار للوضع الاجتماعي والسياسي والديني لا يجني أبداً إلا كراهية و مقتاً، وإذا امتدت سياسة بالقهر والضغط، وطالت، فعلى القوى التي تختار القهر والضغط لمنع الطموح الجائز في

www.abulhasanalinadwi.org

قلوب المسلمين وحنينهم إلى سابق مجدهم وكرامتهم أن تنتبه بظهور رد الفعل في نفوس الجماهير، وهو قد يوصل إلى حد لا يمكن فيه صد القوة الرهيبة الدافقة منه القوة التي تكتسح بكل شيء يأتي في طريقها، كما حدث عند ما اشتد ظلم إمبراطور روسيا "زار" فأحدث رد فعل جاء بالشيوعية، وما بلغت الشيوعية إلى الحد الأعلى من الكبت والاضطهاد إلا وجاء الذي اكتسح بها حتى في مركزها ومعقلها القوي، وسيحدث في كل مكان يعم فيه الظلم والاضطهاد عاجلاً أو آجلاً، ما لن يسر الظالمين، ولن يجعل ذكرهم في التاريخ إلا مقرونا بالكراهية والمقت .

www.abulhasanalinadwi.org

سياسة المصالح و الأغراض

أصبح العالم اليوم لا ينقسم إلى دول، أو كتل، أو مجموعات إلا على أسباب عنصرية، أو على أواصر قومية وضعية، أو على أسس المصالح السياسية النفعية وحدها، ولم يعد يتحد، أو ينقسم على الأسس الإنسانية الرفيعة، ولا الأهداف النبيلة الفاضلة مع أن تعبيرات الفضيلة والإنسانية ونغماتها هي التي تجري على الأفواه، وتستعمل كتفاسير لهذه التكتلات، أو الانقسامات حتى للحروب والمشاحنات التي تشعل في صددها، فلا نجد دولة من دول العالم تتبنى قضية من قضاياها، أو من قضايا العالم المشتركة إلا على صعيد نفساني سطحي وحده، ولا تنظر إليها إلا بنظرتها القومية الباهتة المحدودة، ولكنها تعبر عن عملها فيها، وتفسره بالمناصرة لحقوق الإنسان، والقيام بالدفاع عن الأهداف الإنسانية الرفيعة، والعمل للمبادئ الفاضلة، وتستعمل في هذا السبيل إذا اقتضى هواها كل وسائل الدعاية والإعلام، ولا تستحي من أي كذب وتلفيق إذا كان هذا الكذب والتلفيق يخدمان غرضه المنشود، أما الحق النبيل فيبقى

www.abulhasanalinadwi.org

في غمار ذلك مضطهدا مقهوراً عاجزاً عن مقاومة صولات الدول وجولاتها الإعلامية العملاقة، فلا يسمع له صوت، ولا يعرف له مكان، ولا يقوم له ناصر إلا ما شاء الله .

ويبلغ بالإنسان هذا العمل الزائف وقيامه في جنب الهوى والباطل إلى ما لا يبقى منه الفرق بين الإنسان والبهيمة، فكما أن البهيمة لا يدور عملها إلا على مدار هواها وأغراض نفسها أصبح كذلك الإنسان حتى في حياته السياسية والدولية مع اختلاف واحد وهو أن البهيمة لا تفسر عملها بالسعي للفضيلة، ولا تريد ذلك، وليست في حاجة إليه، ولكن الإنسان بحيث يملك عقلاً و وجداناً يفرق بهما بين الدمامة والجمال، وبين القبيح والحسن، فلا يريد أن تظهر أعماله قبيحة في أنظار الآخرين، فيفسرها بتفسيرات تزينها بجمال وبهاء، ويسميها بأسماء الفضيلة، والخير، ومناصرة الحق، والعمل للمبدأ، والحب للإنسانية .

ولكن أين توجد هذه المناصرة للحق، وأين يوجد العمل للمبدأ، وأين يوجد الخضوع للفضيلة، إن أي شيء منها لا يوجد في أعمال الناس، وفي حياة الأفراد والجماعات، كل واحد منهم يعمل وفق هواه ولا يبالي بمعاني الإنسانية والفضيلة إذا خالفت هواه، ولكنه في نفس الوقت يزعم الخير والفضيلة لنفسه، ويرى الشر والرذيلة في غيره، ويطالب بالإنسانية والفضيلة إذا ارتبط له بها حق، أو نفع، ويتناساها إذا وجد في غيرها فائدة أو كسباً، وتعودت دول العالم اليوم وقادته على هذه الخطة، وعرفوا أن هذه النغمة هي السائدة على

www.abulhasanalinadwi.org

العالم، فبدأوا يتعاونون عليها ويتسابقون في إظهار البراعة فيها، وعلى أساسها ينشئون الصداقات، ويقيمون كتلاً ومجموعات، لا ينصر بلد إلا صديقه، ولا تعمل كتلة إلا لمصالحها وحدها، وتقصر كل دولة سياستها وجهودها في إطار الصداقة والعداوة دون النظر إلى مكان الحق في القضايا .

فأصبح الفساد بذلك عاماً، والرذيلة منتشرة في كل الأنحاء، وأصبح صوت الحق خافتاً مقهوراً في غمار التمويه والتلفيق والدعاية، يزين الناس أعمالهم بكلامهم وتفسيراتهم، يقومون بالفاسد، ويسمونه صلاحاً، وينشبون الحرب، ويسمونه سلاماً، ويقومون بالعدوان ويسمونه رحمة، يعملون للمصالح الذاتية، ويسمونها في سبيل الفضيلة و خير الإنسانية .

ولا عجب في ذلك لأن جاهلية القرن الحاضر اتخذت إلهها المادة والهوى، وأوحى إليها شيطانها بأن تتمرد على التعاليم السماوية، وأوامر الرسل لتتمرغ في أوحال اللذة والتحرر الشامل، وذلك لا يمكن إلا بفرض نظام يضعه إنسان القرن الحاضر لإنسان اليوم الراقي، يقوم هذا النظام على عصبيات العنصر والدم واللغة والقوميات، ولا يكون التكتل أو الانقسام إلا على أساسها وحدها .

وذلك على منهاج جاهلية ما قبل الإسلام التي كانت القبائل في العرب، وكانت الأسر والشعوب في العجم تتكتل وتتوزع على عصيبات مماثلة للعصبيات السائدة اليوم، ولا يعدو الفرق بين الجاهليتين من أن الأولى تسمى متخلفة، والأخرى تسمى راقية، وأن

www.abulhasanalinadwi.org

الأولى تجردت عن انتصارات العلم ومنجزاتها العملاقة، أما الأخرى هذه فقد أحرزت انتصارات تبلغ عنان الفضاء .

ولكن إنسان القرن الحاضر الراقي مع كل انتصاراته ومنجزاته الفخمة الضخمة لم يتمكن من أن يبقى إنساناً يعيش فيه ضميره، ولا يطغى عليه هواه، ويحيى فيه قلبه .

إنه أصبح بمساعيه العلمية كماكينة العقل الألكتروني، وليس مخلوقاً يحمل بين ضلوعه أحشاء تميزه عن غيره من مخلوقات الله في الأرض، وأصبح بطغيان هواه على حياته كبهيمة مهملة في غابة خضراء تلغ فيما شاءت من نبات وحشائش، وليس مخلوقاً يكون خليفة الله في الأرض ورحمة للكون .

www.abulhasanalinadwi.org

إذا تركنا الكسل و استعملنا الفهم !

التجربة والعلم هما أساس كل تقدم في الحياة، وذريعة لتجنبها من الوقوع في الآفات والأخطار، فقد وصلت أوربا بهما إلى هذه المنزلة العالية من التقدم التكنيكي، والازدهار الصناعي، الذي نرى آثاره في وصول صواريخها إلى القمر والمريخ بكل نجاح، وفي هذه المنجزات العلمية الجليلة التي غيرت وجه الحياة، وجعلها محوطة بشتى النعم، ومعدات الراحة والسهولة .

وقد حصل لأوربا كل ذلك في ثلاثة قرون، بل حصل لها معظمها في قرن واحد، بعد أن جندت أوربا كل قواها الفكرية والعملية في الدراسات العلمية والصناعية، وفي القيام بالتجارب بشتى أشكالها، وكل تجربة أتت لها بعلم يفيدها، وكانت مبنية على علم سابق .

نحن نحسد أوربا على وصولها إلى هذه المكانة الرفيعة من التقدم والازدهار التي منحتها الزعامة في حياة الأمم، وجعلت مدنيتها وثقافتها هي الوحيدة اليوم التي تتبعها أمم العالم وشعوبها وتخضع

www.abulhasanalinadwi.org

لها، ولكن هل بلغت أوربا ـ يا ترى ـ هذه المكانة الرفيعة لأن الله تعالى كتب لها هذه الزعامة والإمامة على كل حال، سواء اجتهدت للوصول إليها أم لم تجتهد؟ أو حصلت لها هذه الدرجة لأنها شعب الله المختار ؟ لا أبداً ، وكيف يكون لأوربا أن تبلغ هذه المكانة الرفيعة، وهي تعصي ربها في اتباع أوامره في حياتها الروحية والدينية، وفي تنفيذ أحكام الشريعة الحقة في حياة شعوبها وأفرادها، ولذلك نرى أن حياتها خلت من نتائج الجانب الديني والروحي الحسنة بتاتاً فهي تعاني من الخواء الروحي، والقلق والضجر، وما يشبههما من الانحرافات الروحية والنفسية التي يعانيها دائماً كل من تخلو حياته من الجانب الروحي، وهذا الجانب في الشرق لا يزال بخير في كثير من مجتمعاته وأوساطه، ولكن الشرق يعاني بدلا عنه انحرافاً وفساداً في الناحية التنظيمية والعلمية والصناعية، لأنه لم يجتهد لهذا الجانب اجتهاداً ولم يبال به مبالاة كثيراً، ولم يقم بالدراسة والتجربة في هذه الناحية من الحياة حق الدراسة والتجربة، ويرى الشرق إلى الغرب في نتائج جهوده العلمية والتجريبية بعين التقدير والتعظيم والاحترام الزائد، وقد تسحره نتائج الغرب الهائلة في هذه الناحية، وتخلب قلبه فيبعثه ذلك على احترام الغرب، والتقدير لجميع ما هو يخصه من جوانب الحياة فينشط أبناء الشرق في تقليد أبناء الغرب في كل شيء بدون الفصل بين ما هو سبب لتقدمه وازدهاره، وبين ما ليس سبباً إلا للانحراف والفساد فقط .

فنحن إذ أقبلنا على تقليد الغرب فيجب علينا أن نقوم أولاً

www.abulhasanalinadwi.org

بالفصل بين ما هو مفيد وبناء من حياته، وبين ما هو ضار وهدام في سلوكه وسيرته، كما يجب أن نعرف أن كل شيء حصل للغرب لم يحصل له إلا باستناده إلى الاستفادة بالعلم، والقيام بالتجربة، وهما ميسران لنا أيضاً إذا تركنا الكسل، واستعملنا الفهم، فقد قامت بعض الشعوب الشرقية بالتجربة والاستفادة بالعلم، فبلغت مبلغ أوربا في الرقي العلمي والازدهار الصناعي، والتقدم التكنيكي مثل اليابان، فهي لا تقل من شعب أوربي راق اليوم في شيء .

ثم إن تراثنا الشرقي كذلك إنما يحتوي على شيء كبير مما يسعنا أن نقتبس منه ما يفيدنا، ونستطيع أن نبني عليه جانباً لا بأس به من تجاربنا، فنستنتج منه شيئاً ذا أهمية كبيرة يفيدنا ويفيد غيرنا كذلك، فكم من علومنا ومعارفنا بقيت مدفونة تحت أنقاض حضارتنا الماضية لم نستثرها ولم نستفد منها مع أن أوربا قد حفرت عن الدفائن في أنقاض الحضارة اليونانية والرومانية مع أنها بعيدة في القدم، ولم نفعل ذلك مع حضارتنا الإسلامية مع أنها أحدث منها وأجمع للخيرات منها ..

والذي يزيد من الحسرة والأسى أن ميزة الشعوب الإسلامية التي لا تزال بها هذه الشعوب أعظم من الغرب وأكثر غنى وثراء منه، وهي الخصائص الدينية والروحية التي لا تزال موجودة على أشكالها الصحيحة في مجتمعات هذه الشعوب وأوساطها، بدأت تضعف وتضمحل لزهادة الشعوب في الاهتمام بها لكونها مسحورة بحضارة الغرب، وبذلك لم تستطع أن تنال ما لدى غيرها، وفقدت ذلك الذي

www.abulhasanalinadwi.org

كان يخصها أيضاً، وبهذه الزهادة نكون كمن كانت خسارتها خسارتين و رزيئتها رزيئتين .

إن الشعوب الإسلامية شعوب غنية في التراث العلمي كذلك مع غناها، وثروتها في التراث الديني، والروحي، فهي إذا عكفت على الاستفادة بهذه الثروات المختلفة، وعكفت على الاستنتاج والاقتباس من هذه الثروات والعمل بمقتضياتها، فإنها ستبلغ إلى ذلك المجد الذي يكون أليق بها، وأجدر لمكانتها وتاريخها .

www.abulhasanalinadwi.org

التناقض في وسائل التلقين و التربية يؤدي إلى صراع عقلي و حضاري

الإنسان يفضل على البهائم بالعقل الذي رزقه ربه وخالقه، وهذا العقل والفكر يسوقه ويحفزه إلى أن يرتب شؤون حياته، وينظمها و يدبر لها، وبه يفضل إنسان على غيره، ويسبقه في أمور حياته، ويتخذ وسائل لارتقائه .

وقد أثبتت التجارب أن العقل وحده لا يسوق الإنسان إلى الرقي والكمال، بل إن هناك عنصراً آخر أقوى يساعده في أن يكون إنساناً أفضل، ويرفعه على غيره، وهو مدى صلاحية الإنسان لتلقى المعلومات التي يلقنه إياها من يكون أكبر منه معرفة للأحوال، وأوفر منه تجارب في الحياة، ويتلقاها ممن يشاهدهم ويراهم يعملون عملاً يفيدهم، أو يحتاجون إليه، أو يختارون أسلوباً من أساليب العيش فردياً أو جماعياً .

وإن حصول الإنسان على معلومات تنفعه وتزيده قوة ومعرفة

www.abulhasanalinadwi.org

للحياة، ولما غاب عن نظره من حقائق الكون والحياة والإنسان، إنما يكون بطريقتين، طريق التلقين، وطريق المحاكاة، ولا شك أن عمل المحاكاة من أقوى أسباب معرفة الإنسان للأحوال التي تنفعه، والتي تضره، وبها يحصل له زاد العلم، والمحاكاة تكون في البيت الذي يدور فيه، أو تقوم به أمه، ويقوم به والده، وتكون في المحلة التي يلعب فيها الطفل مع جيرانه الأطفال، وتكون في المجتمع الذي يجد الطفل نفسه جزءاً منه، وقد تزود الناس بالمعلومات بهذا الطريق في كثير من المجتمعات القديمة، ولا يزالون يتزودون بما في البوادي والقرى والمدن .

فالمحاكاة من أهم وسائل تلقى الإنسان للمعلومات، ويهتم عقلاء الناس بأن تهدي المحاكاة الأجيال الناشئة إلى ما هو حسن صالح ومفيد لهذه الأجيال، حتى يصبح حائزاً لما يتسير له من حسنات الإنسانية والفضيلة، ولكن المحاكاة إذا كانت بدون عقل، وفكر، وتمييز بين ما هو خير، وما هو شر قد يجلب وبالاً، أو يؤدي إلى مأساة .

والسبب الأكبر لتقدم الإنسان في حياته وكسبه لما فيه خيره، ورقيه، وصلاحه، وازدهاره هو حصوله على المعارف، واستفادته من ثمار عقول العقلاء الآخرين، وتربيته وإعداد نفسه في ضوءها، وذلك عن طريق مراكز التعليم والتربية، وأصبح الناس اليوم، وبخاصة أولئك الذين يعيشون في المجتمعات العالية يعتمدون في هذا المجال على مراكز التعليم، وعلى من يباشر فيها التعليم، وذلك لأنهم أصبحوا

www.abulhasanalinadwi.org

عارفين أن العلوم الجمة، وإتقان معرفتها إنما يكون عن طريق الأساتذة الذين لايمكن أن يجتمعوا بقدر الحاجة وبالعدد الكافي لعملية التعليم إلا في مراكز التعليم، ولقد ترقى الغرب حضارياً واجتماعياً بفضل ترقيته في مجال التعليم، فهو رغم شيوع كثير من المساوي الخلقية ينهض ويزدهر ظاهراً في أسباب العيش والأمن، وقد كان المسلمون متفوقين فيه عدة قرون متوالية، ولكن عندما انخفضت أهمية العلم والتعليم في نظرهم بسبب تكاسلهم وإهمالهم، وصاروا راضين بما لديهم غير طامحين إلى ما هو أعلى وأرفع هبطت مكانتهم، وانحطت أهميتهم القيادية، ولقد آن الأوان اليوم إلى أن ينظروا إلى ما يدور في العلم، وإلى ما ينقصهم من أسباب القوة والازدهار، فيسرعوا إلى سد الخلل، وإلى تزويد أنفسهم بما ينفعهم ويصلحهم، ويزيدهم قوة وكرامة من العلم .

ولقد ثبت من القرآن الكريم أهمية العلم بذكر أداته الكبرى وهو القلم، وذلك بقوله جل وعلا ﴿ علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [1]، وفي فضل العلم والاجتهاد فيه وردت أحاديث كثيرة، وكان الإسلام أكثر الأديان تفضيلاً للعلم وكسب المعرفة، والاجتهاد، وتعميم العلم، والسباق إليه، وتنبثق عن عملية التعليم عملية الإعلام التي تسبب في زيادة المعلومات المفيدة عن الحياة، وعرضها بصور مؤثرة رائعة حتى تثبت في الأذهان وجهات نظر، أو تنقل إلى وجهات نظر خاصة .

وكل أمة من الأمم العالمية تهتم بهاتين الوسيلتين، وتزيدها

[1] - العلق :٤

www.abulhasanalinadwi.org

قوة وتأثيراً ونفعاً، والمسلمون هم أحوج إلى ذلك، ولابد من استعراض لما تنطوي عليه هذه الأقسام الثلاثة معا، فالمحاكاة و وسائل التعليم وطرق الإعلام لها التأثير الخفي على الأذهان، إن جميع هذه العناصر الثلاثة، المحاكاة، والإعلام، والتربية، يجب أن ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقل والفكر فيما يليق بطبيعة المتلقي وتاريخه، ومنهج حياته وبيئته، فإذا فرضت عليه مثل أو قيم أو مناهج تتعارض مع طبيعته وذهنه أدّى إلى صراع عقلي وذهني، قد يحول ذلك دون تقدمه وانطلاقه، وما يحدث في العالم الإسلامي أن المحاكاة والتعليم والإعلام متصارعة فيما بينها، ومتنافية، وذلك هو سبب الصراع فيه، فلابد للتربويين والمالكين لنظم التربية في البلدان الإسلامية أن يراعوا في مناهج التعليم ونظمه، أن تكون وفقاً لخصائص الأمة الإسلامية، وقيمها، وتاريخها، ومتطلبات مستقبلها، وهو أمر لا يزال يلقى الإهمال ممن يصونون نظم التعليم و يديرونها .

www.abulhasanalinadwi.org

كلام وليس وراءه تصميم

لقد فقد المسلمون خلال نصف قرن من ماضيهم الأخير أهم طاقة من طاقاتهم النفسية والإنسانية كانوا يملكونها طيلة تاريخهم الماضي الطويل، وهي التي كانت مفتاحاً لقوتهم العظيمة، وأساساً لصمودهم أمام كل زحف من خارج أمتهم وخارج عقيدتهم، وقد كانت هذه الطاقة مرعبة مهابة لدى الأعداء والأجانب منذ طلعت شمس الإسلام في هذا الوجود، وقد كسب المسلمون بها خيراً عظيماً، وجاهاً عريضاً، و وقاراً، وتعظيماً دائماً .

هذه الطاقة العظيمة التي فقدها المسلمون في هذا العهد الأخير هي إيمانهم العميق بقيم الإسلام، وحبهم و وفاءهم لمناط هذا الإسلام، وهو الله و رسوله، فقد دام اتصال المسلمين بهذين المصدرين اتصالاً قلبياً عميقاً منذ ظهر الإسلام، وكانت نفوسهم بوجود هذه الطاقة فيهم مهما تبتعد عن الالتزام بمأمورات الإسلام، ومهما تضعف عن العمل بها، ومهما تتكاسل عن أداء مطالبها، لم يكن ينقطع عنهم على أي حال ذلك الحبل الذي كان يربطهم بالإسلام، وبمن جاء منه

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام، وبمن جاء به فكان حب الله وحب رسوله هذا هو آخر شيء لا يمكنه الزوال من نفوسهم، وهي صفة امتاز بـها المسلمون وعرفـهم بها أعداءهم وأصدقائـهم علـى السـواء، ولذلـك كـان الزعمـاء والقـواد يلتجأون إلى اتخاذ ذلك وسيلة ناجحة عند مـا تستعصى عليـهم كـل الوسائل لتثبيت الأمة الإسلامية على الدفاع عن حوضة الإسلام، وعن مقدساته، تجلت هذه القوة في عدد من قضايا الإسلام في أحلك أحوال التاريخ الإسلامي، واستغلها الزعماء المسلمون في أشد الحالات، ومـن أمثلة ذلك تلك الحرب الناجحـة الـتي قادهـا الغـازي البطـل صـلاح الديـن الأيوبـي في معركـة حطـين في الوقـت الـذي لم تكـن الشـعوب العربية فيه أحسن حالاً منها اليـوم في فرقتـها وتنازعـها وانشـقاقها، رغم اجتماعها على الإسلام، وفي البعد عن اتباع تعاليم الإسـلام رغـم ادعاءها بأنها وفية للإسلام، فقد تحولت هـذه الشـعوب مـن فرقتـها وتوزعها بين الشعوب المختلفة إلى أمة متماسكة واحدة، وتحولت مـن وحدات ضعيفة منتشرة إلى وحدة قوية صامدة، وحـدة تحطمـت علـى صخرتها جميع وحدات الغرب الصليبي المعادي، فمن أين جاءت إلى المسلمين هذه القوة والصمود، ومن أين حصل لشـعوب ضعيفـة مهينـة هذا العزم، التماسك الذي جعل من أمة متهافتة ضعيفة، أمة صـامدة قوية، لا شك أن منبع هذه القوة الغالبـة والصمـود المفـاجئ في الأمـة الإسلامية كان هو الإيمان الراسخ بقيم الإسلام، والاتصال بمنبـع هـذا الإيمان العظيم اتصال الحب والإخلاص .

فقد كان هذا هـو الأسـاس الـذي اعتمـد علـى إثارتـه البطـل

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلامي الجليل صلاح الدين الأيوبي في نفوس الشعوب الإسلامية ورجالاتها في العالم العربي .

ولقد دام هذا الجانب العظيم والمنبع الأصيل للقوة المعنوية الخاصة مثمراً في نفوس المسلمين طيلة تاريخهم الماضي، فقد كان اسم الله واسم رسوله هو الرباط الذي يبقى دائماً ومؤثراً عند ما ينقطع كل رباط آخر من نفوسهم، ومن هذا الرباط الوحيد كانت الأمة الإسلامية تقفز دائماً إلى القوة والصمود، ومن منزلة الأقزام إلى منزلة العمالیق، وكان أعداء المسلمين دائماً يخافون منهم هذا الجانب الخطير، والاستعداد المستور لصنع المعجزات، ونجد لذلك أمثلة كثيرة في تاريخ الإسلام، في ماضيه وحاضره كذلك، وما حرب رمضان التي لقنت مصر الباسلة فيها درساً قاسياً تلك الدويلة الغاشمة إسرائيل في جزيرة سيناء .

وقد بقي هذا الخوف يساور نفوس الأعداء إلى ستينات هذا القرن، وكان أخوف هتاف هو هتاف الله أكبر، واستوى في الشعور بهيبة هذا الأمر الأقوياء من أعداء الإسلام والضعفاء منهم، وقد استفاد المسلمون بنعراتهم هذه كل الاستفادة، وجنوا ثمراتها زمناً طويلاً، وذلك حينما كان منبعها هو الإيمان بقيم الإسلام إيماناً راسخاً، والارتباط بالله و رسوله ارتباطاً قوياً، ولكن هذا الإيمان والارتباط الحقيقي لما ضعف من قلوب المسلمين ضعفت ثمراته كذلك، وزالت عنهم شوكة هتافهم و دعوة جهادهم حتى أصبح أعداءهم أخيراً بعد ما رأوا مراراً أن النعرات أصبحت جوفاء فليس وراءها أي حقيقة،

www.abulhasanalinadwi.org

وأن الكلام أصبح فارغاً ليس وراءه أي تصميم أو عزيمة أصبحوا لا يكترثون بنعرات الجهاد وهتافات الغضب والغيرة أي اكتراث، إنها خسارة إسلامية كبيرة ورزيئة في حياة الأمة الإسلامية قلما تساويها رزيئة أخرى، فقد اضمحلت بسببها شوكة الإسلام، وذهبت مهابته من قلوب الأجانب، وحدث ذلك للمسلمين وعددهم في تزايد مستمر، فقد يبلغون في عددهم في العالم اليوم إلى مائم يبلغوا إليه من قبل، وعدد دولهم وحكوماتهم اليوم ما يقارب ربع دول العالم، ثم إن بلادهم منتشرة في أطراف العالم، وهي تملك من الإمكانيات المادية والاستراتيجية مالم يحصل لها بهذا الشكل من قبل، ولكنها من ناحية الشوكة والتأثير لا يتمتع بقيمة أو وزن في الحياة الدولية اليوم، إنهم في كثرة لا شك، لكنهم غثاء كغثاء السيل .

لقد خرجت من المسلمين الروح التي كانت سبباً لكل انتصاراتهم ومنجزاتهم، ولم يبق عندهم إلا الجسد والجسد إذا فقد روحه فمهما تضخم أو تسلح لا يجدى نفعاً، ولا يحرك ساكناً .

استهدف الأجانب من المسلمين هذه الميزة العظيمة، ودام سعيهم لإبعاد المسلمين عنها، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك إلا في القرن الحالي، عند ما سلطوا مقومات الثقافة الملحدة والمدنية الفاسقة على عقول الأجيال الصاعدة، و ركزوا جهودهم على تربية النفوس، وتوجيه العقول على فكرة تعارض كل قديم وكل موروث تحت شعارات لائقة جذابة، لقد سعت أوربا واجتهدت أن تصنع رجالاً يكونون أوفياء للفكرة المادية، قادة و زعماء لا تصلهم بأمتهم

www.abulhasanalinadwi.org

وبإسلامهم وبتاريخهم المجيد إلا العنصرية فقط .

أفكان من المتوقع من هذا الجيل الذي ربي في محاضن أوربا من قادة المسلمين وزعماءهم أن يكونوا ربانا لسفينة المجد الإسلامي، وعاملاً لإيصالها إلى شاطئ النجاة، أم كان من المتوقع المحذور أنهم سيعملون عن طريق النظم السياسية ومناهج التعليم المستوردة لتجريد الأمة الإسلامية من مقوماتها الأصيلة والقضاء على حب الله وحب رسوله، و عاطفة الوفاء للدين في أبناءها، على كل نجحت أوربا المادية الراقية في الانتصار على أمة الإسلام الخالدة، واستطاعت أن تقضي على الطاقة الإسلامية الأخيرة التي دام لها أن تكون سبباً للانتصارات الإسلامية، وللعودة إلى المجد القديم في أشد الحالات والأوضاع .

www.abulhasanalinadwi.org

درس من التاريخ

www.abulhasanalinadwi.org

عند ما لا تنفع الحضارة و لا ينفع التاريخ

لما برزت الأمة الإسلامية في مجالي القوة والعظمة بفضل دينها السماوي الطاهر، كانت متحلية بالطاقات المعنوية، وقوة العمل، ولم تكن لديها ثروة من المادة والعتاد، ولا أسباب ظاهرة للوصول إلى القوة فيهما، ولكنها كانت غنية في قواها الإنسانية والعملية، وذلك العكس من الأمم الأخرى المجاورة لها من الفرس والروم، فقد كانت هذه الأخرى متمتعة بأرقى ما وسعها في زمنها من المادة والعتاد، وكانت تحسب ذلك سر قوتها في عالمها المعاصر، و رمز شوكتها وعظمتها بين الأمم الأخرى، ولكن الطاقة المعنوية الإسلامية لما اصطدمت بطاقة المادة والعتاد، لم تستطع هذه الأخرى الصمود أمام الأولى، بل إنما استطاع رجال المعنوية القوية مع نقصهم في المادة والعتاد، وتخلفهم في الحضارة والعلم ـ وهم عرب البادية الأقحاح ـ أن يجرفوا مراكز القوة، ومعاقل الحضارة والمدنية جرفا كاملا، ويقضوا على سلطانه الخلاب الزائف بمثل ما يقضي على أضعف شيء، ولم

www.abulhasanalinadwi.org

ينفع الأمة الرومية الراقية ولا الأمة الفارسية الزاهرة تراث حضارتيهما الوطيدتين، ولم ينفعهما تاريخهما العلمي العظيم، ولم يكن ذلك إلا لتأثير داء الأمم فيهما، ولخوائهما من روح المعنوية والعمل التي كانت بالعكس منهما تسرى في عروق الأمة الإسلامية الناهضة .

ونحن إذا درسنا أسباب الهزيمة والانتصار في معركة البدو العرب مع متحضري الروم والفرس، ومعركة الأميين من أهل الإسلام مع رجال العلم من أتباع المادة، لوجدنا أن روح التقدم والانتصار لم تكن تكمن في ألوان الحضارة والمدنية المزركشة، ولا في الثروات المادية الفائضة، ولا في أسباب الرفاهية والتطرف، بل إنما كانت تكمن بالعكس منهما في مصادر القوة المعنوية، وفي حياة الصرامة والجد، التي كانت الأمة الإسلامية العربية غنية فيها كل الغنى .

هذه حقيقة بيضاء خالدة، ولا يمكن أن يفضي الإنكار عن الاعتراف بها وتطبيق الحياة وفقها إلا إلى كل بلاء وهزيمة، ولقد خدعت روعة ألوان الحضارة وأشكالها الزاهية شعوب الأرض وأفرادها كثيراً، وجعل مصيرها الفناء، لقد كانت تظن الأمم المتحضرة في عصر ظهور الأمة الإسلامية أن حضارتها الضخمة المهيبة ستنقذها من الانحطاط والفناء، وأنها أعظم طاقة من الطاقات الإنسانية في هذا الكون، ولكن ظنها لم يعد عليها إلا خداعاً وسراباً .

وقد وقع مثله للمسلمين والعرب أيضاً في عهدهم الثاني، عند ما كانت حضارتهم قد بلغت إلى أوجها، وأصبحت ثقافتهم ومدنيتهم بحيث تجذب أنظار العالم، وتستحق منه العجب والإعجاب، ولكن

www.abulhasanalinadwi.org

الذي حدث لهم في واقع الحياة، إنما كان أقسى حادث في تاريخهم، فقد وقع في مركز حضارتهم وعروس بلادهم بغداد ما يجن منه جنون الإنسان، فقد قلت شوكتها وعظمتها بيد قوة من أهل التتر سكان البادية، وأصحاب الجهالة والأمية في زمانهم، ولكنهم كانوا يحملون معنوية لم يعد العرب يملكونها، فلم تنفع بغداد العظيمة حضارتها الرائعة، ولم ينقذها تاريخها العظيم الذي كان يتغنى به رجالها من الوقوع في الذلة والهزيمة .

وهناك أمثلة أخرى من هذا القبيل، تدل كلها على أن ألوان الحضارة وطرائف الثقافة لا تغني أمة من الأمم مهما كان تاريخها عظيماً، مادامت تكون قوتها المعنوية وصرامتها وجِدّها في الحياة قد فارقتها، وانزاحت عنها، وإن ذلك ليدل دلالة واضحة على أن المطلوب الذي يجب أن تنشده النفوس، وتسعى للحصول عليه بكل همتها وإخلاصها هو هذه القوة المهمة، سواء كانت مصحوبة بزخرفة وألوان، أو كانت ساذجة بسيطة، أما أن تحصر أمة من الأمم جهودها كلها في مظاهر الحضارة وحدها، وتراها سبباً للمجد، وقوة للظهور، فذلك أمر لا يمكن أن يعود عليها بخير أبداً، أو يسوق الأمة إلى الانتصار و المجد .

ومما يبعث نفوسنا على الأسف والأسى هو أن أمم الشرق اليوم، قد أصبحت غير معتنية بجانب المعنوية المهم من حياتها، فلا تقبل على الاقتباس والتقليد إلا فيما يخص المظاهر وألوان المتعة والزخرف من حياة الأقوياء .

www.abulhasanalinadwi.org

أما جد الأقوياء وصرامتهم و اعتمادهم على استغلال العلوم المادية فيما ينفعهم ويعود عليهم بالقوة، وإن إخضاعهم للحياة لما تتقاضاه أهدافهم وغاياتهم، فذلك هو الذي نرى الأمم الشرقية مغمضة أعينها عنه، أو متكاسلة عن الأخذ والاقتباس منه، مكتفية بالقشور الثقافية، والمظاهر الحضارية وحدها من حياتهم، مع أن الأمم الشرقية ليست فقيرة في جوانب حياتهم الثقافية، والأدبية والفكرية، فقد ورثت من قيمها ومن تاريخها الماضي بقدر ما تغنيها عن اقتباس غيرها من غيرها، وليست القيم ما تستعار، أو تستبدل سريعاً .

إن أمم الشرق وخاصة الإسلامية منها لتفتقر إلى الأخذ بأسباب القوة المعنوية التي تمتعت بها قديماً، ويجوز لها معها أن تستفيد أيضاً بتجارب الأمم القوية المعاصرة فيما يتفق مع طبيعة حياتهم وتاريخها، "الحكمة ضالة المؤمن فيحيث وجدها فهو أحق بها"[١].

إننا متخلفون عن الغرب في التقدم العلمي والتكنولوجي، ولكن مصدر هذا التخلف هي غفلتنا عن العكوف على العلم، وعن استغلاله لصالح الحياه، ونحن متخلفون عن الغرب في العزة السياسية، والعظمة الحكومية، ولكن ذلك يرجع إلى ضعف الجانب المعنوي من حياتنا، فما دمنا لا نتشبث بالإخلاص والجد والكفاح، ومادمنا لا نحفظ كرامتنا وشرفنا من الابتذال، وما دمنا لا نكرم أنفسنا

[١] – جامع الترمذي، كتاب العلم، رقم : ٢٦٨٧ ، وابن ماجه، الزهد، رقم : ٤١٦٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

بأنفسنا بحيث نعد ما يخصنا من مثل الحياة وخصائصها أسمى وأشرف مما يخص غيرنا، نعلم أن ليس نقصنا إلا الجد، والاهتمام، فما دمنا لا نخضع حياتنا لكل هذه الحقائق، فلا يمكن الوصول إلى ما نحن أحوج إليه في حياتنا المعاصرة من شرف وقوة وازدهار، هذه الحياة اللاهية الطائشة، التي يعيشها المسلمون في كل مكان مع شدة حاجتهم إلى الجد والصرامة، وخاصة بعد الهزائم المتكررة ولحوق العار، وهذا الانصهار الثقافي والفكري من قادتهم في قوالب الحياة الأوربية الملحدة الماجنة مع وجود الاختلاف الظاهر الشديد بين ثقافتهم الشريفة، وثقافة الغرب المرتجلة، إنما هما خطران على مستقبل الأمة الإسلامية، وهما لن يكونا إلا ذريعة إلى سقوط الشعوب الإسلامية التدريجي أمام غيرها من الأمم القوية، ثم الفناء الأخير، إذا لم يبذل القادة والزعماء جهودهم لإنقاذ الأمة من كل أوحال حياتها، ومن حبائل أعداءها كذلك .

www.abulhasanalinadwi.org

من تاريخنا و ماضينا الإسلامي

من غفلة الأمة الإسلامية في جميع بلاد الإسلام أنها لا تذكر تاريخها السابق، ولا تقتبس منه أسباب قوتها وازدهارها في الماضي، مع أن أعداءها من أمم الغرب إنما يحسبون لهذا التاريخ كل حساب، ويستنبطون منه أسباب الكراهة، والحقد ضد المسلمين، وإسلامهم، ويرون لأجله إليهم بعين الحذر والاستيقاظ آملين أن لا يعود إلى المسلمين ماضيهم القديم، فلا يصيروا أمة ذات شكيمة وشوكة، وذات قوة ضاربة في الأرض، وتسعى أمم الغرب للبلوغ إلى هذا الهدف بتهيئة الأسباب التي تمنع المسلمين عن التقدم إلى الأمام، وعن ربط أنفسهم في رباطهم الأخوي الخاص، وتهتم بتنحيتهم عن الجد، والبصيرة، والكفاح، فإنما يجند عقلاؤها لهذا الغرض كل ما عندهم من ذكاء وإمكانيات، و وسائل وأسباب .

وكانت الأمة الإسلامية قد تخلفت في أواسط تاريخها تخلفاً شائناً، وتقهقرت عن مكانتها الراقية أي تقهقر، وضعفت حتى عن الاحتفاظ بالقدس الشريفة، وفقدتها لتسعين سنة، ولكن الله تعالى أراد

www.abulhasanalinadwi.org

خيراً فأعادها إلى المسلمين مرة ثانية بعد ما اجتمعوا تحت راية البطل المغوار السلطان صلاح الدين الأيوبي ـ رحمة الله عليه ـ الذي نفخ فيهم روح القوة والصمود، وأثار في نفوسهم الغيرة الإسلامية التي كانت قد اضمحلت فيها منذ زمان، وأشعل فيها الشرارة الكامنة العظيمة للإيمان والفداء، فتمكن من أن يصوغ منهم أمة باسلة مؤمنة أثبتت كفاءتها لخلافة أسلافنا العظماء، فحصل لها الفتح، وعادت فلسطين إلى أهلها هؤلاء، و رجعت الأمة الإسلامية إلى مكان عزها الشاهق و مجدها السابق مرة أخرى، ولكن لم يمض عليها كبير وقت حتى بدأت تتقهقر مثل مرة أخرى إلى مراحل السقوط والانهيار، وتنسى مكانتها وقيمتها وإمكانيات عزها ومجدها وصمودها، وذلك في الوقت الذي كان خصمها الصليبي وعدوها الصهيوني يعدان العدة لضربها بالتشتيت وإضعاف قوتها، ويعملان في ميادين العلوم الكونية وأعمالهما بكل إمكانياتهما، ولم يغفلا عن رغبتهما للثأر من هذه الأمة، ولذلك بدأت هذه الأمة تتعرض منهما بجهود خفية واسعة للتفرقة والاستعباد، والاحتلال والاستعمار، وفرض الجهل والتخلف، وإذابة الشخصية الإسلامية العتيدة بمختلف طرق الحيل والمخاتلة، فوقع ما وقع في الشرق الإسلامي من ضغط وإذابة وابتزاز، ولا تزال الأمة الإسلامية هدفاً لكل هذه الجهود باستمرار و إصرار حيناً بالضغوط الأدبية، وحيناً بالقهر والإجبار، وحيناً بالدبلوماسيات والدسائس حتى تحول العالم الإسلامي أخيراً إلى عالم ضعيف متهافت لا قمية له كبيرة بين أقرانه في العالم .

www.abulhasanalinadwi.org

ومن المؤسف حقاً أن حقوق الإنسان التي ينادي بالانتصار لها كل واحد لا تزال مضاعة مسلوبة ومظلومة مغلوبة مع كل الصلاحيات والإمكانيات التي يملكها الإنسان اليوم لحفظ هذه الحقوق وصيانتها والانتصار لها

و لكن سيادة العالم اليوم هي تحت سيطرة الانتهازية، وهي الصهيونية في الشرق الأحمر، وفي الغرب الأبيض، وتجد كل واحدة منهما في حق الإسلام و رجاله على درجة واحدة من الحقد والكراهية و الإنكار .

فعلى المسلمين أن يفهموا وضعهم في العالم فهماً صحيحاً، ويعملوا وفقاً لروحه وأحواله ولا يتقوا بعد الله إلا بأنفهسم، ولا يأملوا في الوصول إلى النصر بعد الله إلا بسعيهم، فإن من أشد أسباب ضياع العز من المسلمين هو اعتمادهم على الطاقات الأجنبية التي لم تضمن لأبناء الإسلام أبداً إلا كل خداع و عداء .

إن اعتماد شعوب الإسلام على الدول الأجنبية الكافرة في حروبها وسلامها مهما كانت الشعوب الإسلامية ضعيفة ومحتاجة في وسائل قوتها ومعداتها ومهما كانت الشعوب الأجنبية قوية في إمكانياتها و وسائلها، ليس من المعقول إلا إذا كان على مستوى مبادلة متساوية بحيث تكون عند هذه الشعوب يد معطية أيضاً حتى يتعادل بينهما الأمر، ويكون الأخذ إذن تبادلاً لا منحة ورحمة من القوى يسيئ إلى كرامة هذه الشعوب، وقد يضطرها إلى أداء ضريبة هذا الإحسان في صور مخزية غيركريمة، وإذا لم تستطع هذه الشعوب

www.abulhasanalinadwi.org

الإعطاء أو التبادل المتساوى فجدير بها أن تقتنع بما لديها من إمكانيات حتى يحتفظ بذلك بكرامتها وعزتها، وإن في إمكانها إذن أن تنمى ثرواتها و وسائلها حتى تبلغ إلى مستوى مسئولياتها في الحياة الدولية، أما الثروة المعنوية الإنسانية الكريمة فإنما تملك هذه الشعوب الإسلامية منها الشيء الكثير، وهي تستطيع أن تمنح غيرها شيئاً كثيراً من هذه الثروة العظيمة، والعالم اليوم أفقر شيء إلى هذه الثروة، فليست شعوبنا الإسلامية قامت بحمل هذه الثروة الإنسانية العظيمة ومنح غيرها شيئاً منها، وقد قام أسلافنا العظماء بهذا المنح والإعطاء أكثر من إعطاء أي شيء آخر، وفيه كان سر نجاحهم وعظمتهم التاريخية التي لا تزال تذكر و تشكر .

www.abulhasanalinadwi.org

وسائل القوة و إمكانيات الانتصار

إن حياة المسلمين أصبحت مرة أخرى تحتاج إلى أن تكون حياة شظف وجهد وكفاح، وإن العزة والمناعة التي تمتعوا بوجودها عندهم قروناً قد فارقتهم منذ زمان مع أنهم في أشد حاجة إلى عودتها إليهم، فإن الأمم لا تستطيع أن تعيش عزيزة شريفة بدون أن يكون فيها المناعة والقوة، وهما لا تحصلان إلا بالجد والشظف، لا بالرفاهية واللذة .

والعالم الإسلامي مصاب اليوم بحب الرفاهية واللذة إلى حد غريب جداً، إن الشعوب المسلمة في مناطق حكوماتها وسكنها من العالم اليوم في تكالب عجيب على طلب اللذائذ وأسباب الراحة في الحياة، إنها سادرة في تقليد أعمى للشعوب الراقية في صور معيشتها الزاهية، وفي أشكال حياتها اللاهية التي لا تحمل للإنسان رسالة، و لا لحياتها مثلاً كريمة، و خاصة لحياة الشعوب المسلمة وشعوب أخرى، مع أن الحاجة الأساسية لحياة كل أمة أو كل إنسان هي أن يطلب مقومات حياته بطريقة تبقى له فيها كرامته، ويبقى له فيها شرفه، وإذا

www.abulhasanalinadwi.org

استطاع أكثر من ذلك فيجوز ويحسن له أن يطلب ما يلزمه من أسباب الراحة والرفاهية و المتعة البريئة كذلك

أما في البداية و في أول مرحلة من مراحل الحياة فلا يحسن له أبداً، بل لا يجوز له بتاتاً أن يقصر جهده على طلب مظاهر المعيشة الهانئة الجوفاء وحدها، وأن يكتفي بذلك كأنه ليس في حاجة إلى ما سواه .

ولكن المسلمين اليوم بالعكس مما يحسن ويلزم أصبحوا يكتفون بالطلب لمجرد رغباتهم السطحية ومتع الحياة ولذائذها مهما كان ذلك على حساب الكرامة والشرف والعزة التي اختصت بالمسلمين زمناً طويلاً، وعرفوا بها في التاريخ قديماً، أصبحت هذه حكاية المسلمين اليوم سواء كان ذلك في العرب أو كان في العجم، فما أعظم الفرق بينهم وبين أسلافهم القدامى الذين كانوا يؤثرون العزة والمثل الشريفة على الرفاهية الظاهرة وأسباب المتاع السطحي، فاستطاعوا التوغل في الشرق والغرب، واستهانوا بكل قوة وسلطان مهما كانا صامدين عظيمين .

لقد كان المسلمون في تاريخهم الأسبق غير راضين بأن يكون غيرهم أئمة البلاد والعباد، أملهم فيبقوا تحت قيادة غيرهم في الركب السائر يسيروا أينما يسير، و يلتزموا كل ما يلتزم من مناهج وطرق في مسالك الحياة، بل إنما كانوا قادة في الأمم يخطون للعالم طرق سيره في الحياة، ويهدونه للمنهج الرشيد الذي اختاروه وارتضوا به، والذي لا يوصل أحداً إلا إلى الخير الدائم و العز الخالد، ولقد علمت

www.abulhasanalinadwi.org

الإنسانية وعرفت منهم ذلك وأحبته وأقبلت عليه إقبالاً عظيماً من قلوبها ونفوسها، وكان ذلك لا لخوف منها لقوتهم، ولا لكراهية منها لسلطانهم ، فإنما يدل تاريخ فتوح المسلمين ودخولهم في البلاد المغزوة على أنهم داموا محبوبين في نفوس الشعوب المفتوحة،كلما غادروها ودعتهم الشعوب بدموع من عيونها وصور رائعة من التقدير لهم من قلوبها

وكان ذلك بفضل الرسالة الخالدة الماجدة التي كانوا يحملونها إلى كل بلد يذهبون إليه، وبفضل الروح الإنسانية الفاضلة التي كانوا يملكونها في كل جهدهم ومعاملتهم، وبفضل ذلك الإيثار الذي كان يتسم به كل عملهم، كانوا يرون إلى المنافع الخسيسة بنظرة ازدراء واستخفاف، وكانوا ينظرون إلى المال كمجرد وسيلة من الوسائل، قد يستعاض عنه غيره، وكانوا يعقدون بعلو النفس والتضحية للهدف كل اهتمامهم، فقد علموا أن وسائل القوة و إمكانيات الانتصار لا تجدي أبداً ما دام لا يكون قلب الإنسان مليئاً بالهمة النزيهة السامية، وما دام لا يكون نظره أسمى من أن يستهويه زخارف اللذة ومظاهر الجمال الزائف، فكانوا متحلين بالعظمة الإنسانية والنزاهة الفاضلة، فكانوا قادة لا مقتدين، وكانوا هداة غير منحرفين، كانوا رجالاً يعملون إذا قالوا، ويفون إذا عاهدوا، يفضلون الموت مع الكرامة على الحياة مع الذل والمهانة، ولكننا نحن أخلافهم الذين ناموا من بعدهم نوماً طويلاً، فانتهزت الشعوب الأخرى الفرصة السانحة، ونفضت من جوانبها غبار التخلف والكسل، وكسبت التقدم والازدهار في مجال

www.abulhasanalinadwi.org

القوة والإمكانيات المادية، ألم يكن لازماً إذن للمسلمين عندما استيقظوا من نومهم أن ينهضوا، ويجدوا، ويسابقوا الشعوب القوية في مضمار كسب القوة، وكسب الإمكانيات واستغلالها لخير الإنسانية لأن كل ذلك في الأصل تراثهم القديم، وهم أحق باستعادتها لا أن يغفلوا عنها فتلهوا بمظاهر الحياة الخلابة التي بهرت نفوسهم وأبصارهم، والتي استعملتها أوربا كوسيلة إغراء وخداع وتلهيتهم عن العكوف على ما ينفعهم نفعاً جدياً لائقاً في دنياهم و دينهم .

ولكن مع ذلك يجب على المسلمين الفهم والتعقل حتى لا تطول عليهم مدة مسكنتهم و زوالهم، ولا يمكن العمل بكل ذلك إلا بالعودة إلى الطرق التي جربها أسلافهم، وكسبوا بها كل عزة وفائدة، وهو تجريد الحياة أولاً وتطويعها لمناهج الجد والشظف، والتضحية وروح الطموح، وسمو النفس، واختيار مظاهر الرجولة والجد والجهاد، فإنما لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس الموضوعات

المحتويات	الصفحة
كلمة المؤلف	٣
كلمة تقديم	٦
التعليم والتربية	
من التنظير إلى التربية والتطبيق الفعلي	١١
تأثير التربية الإسلامية على المجتمع	١٥
مسئولية المدرسين	١٧
مفتاح الشعوب	٢٠
عملية التربية الإسلامية	٢١
بناء المجتمع الإسلامي وخصائصه	
المجتمع الإسلامي في حاجة إلى الإصلاح والتقويم	٢٥
ظروف المجتمع المسلم الحاضرة	٢٦
مجتمع الأقليات الإسلامية	٢٧
مجتمع الأغلبيات الإسلامية	٢٨
مجتمع المدينة المنورة أسوة ومثل	٢٩
مجتمع الرسولﷺ بين الدين والدنيا	٣٠

www.abulhasanalinadwi.org

اهتمامه بالجانب التدبيري واختياره	
الحكمة والاعتدال في شؤون الحياة	٣٣
مجالات العمل لبناء المجتمع الإسلامي	٣٥
الإطار المنزلي أهم مجالات العمل التربوي للطفل	٣٦
الطفل يكون أكبر انفتاحاً وقبولاً لكل وارد في طفولته	٣٧
مكانة الأم في تربية الطفل	٣٩
ميول الطفل وأهواءه الطبيعية	٤٠
وسائل جانبية لتصحيح مسار الطفل	٤٢
الإطار المدرسي	٤٢
ثلاثة أسس في العمل التعليمي	٤٣
إعطاء الطفل الحرية الفاعلة	٤٤
أقسام المواد التعليمية للطالب المسلم وضرورة الجمع بين القديم والجديد	٤٤
الإطار الاجتماعي العام أو مجال الإعلام	٤٦
المجامع العلمية والأدبية ودور النشر والمساجد	٤٩
التأثيرات الأجنبية المعادية وضرورة مقاومتها وعلاجها	٥٠
من ناحية المناهج الدراسية	٥١
البحوث العلمية والمناهج الدراسية	٥٢

www.abulhasanalinadwi.org

البحث والنشر والتوزيع ٥٥
بناء الشخصية أولاً ٥٦
حاجة العالم الإسلامي إلى الشعور
بالذاتية والعمل لإثباتها ٦٢
الوحدة والانسجام ٦٦
المجتمع الإسلامي الواقعي يجذب النفوس ٧٠

نظرات في الدعوة الإسلامية ومناهجها

منهج الحركات المعاصرة
ومنهج الدعوة الإسلامية ٧٨
العمل الإسلامي والحاجة إلى إعادة
النظر في الاستراتيجية ٨٨
هذا هو الطريق الوحيد ٩٤

أساسيات الصحوة الإسلامية

الصحوة الإسلامية بحاجة إلى
جهود علمية وإعلامية ٩٠
إصلاح المجتمع الإسلامي من
أساسيات الصحوة الإسلامية ١٠٤
العمل الصامت والإيمان الصامد
وتربية الفرد والمجتمع عماد النهضة ١١٠

www.abulhasanalinadwi.org

كيف نواجه الغزو الفكري

الاستعمار أمس واليوم	١١٤
العالم الإسلامي في وجه الغزو الحضاري	١١٨
تطوير الحياة الإسلامية عقلياً وثقافياً لمواجهة الغزو الفكري	١٢٣
الغزو الفكري والثقافي والمنهج الأفضل لمواجهته	١٢٨
المسلمون والتحديات المعاصرة	١٣٥

خصائص الأمة الإسلامية

أمة الإسلام أمة الخلود	١٤٢
المسلمون كجسد واحد	١٤٧
طاقة أقوى من الطاقة المادية	١٥٢
بين الأصالة والتقليد	١٥٥

مسئوليتنا نحو الدعوة

مسئولية المسلمين لتقريب الإسلام إلى النفوس	١٦٢
متى يفطن المسلمون لمكايد الغرب	١٦٧
السعي لهداية الناس مسئولية المسلمين	١٧٤
المسلمون مكلفون باختيار أجدى الوسائل مع سمو الغاية	١٧٨

www.abulhasanalinadwi.org

الجماهير بخير، وإنما الحاجة إلى
ظهور قيادة راشدة واعية بالمسئولية ١٨٤

مع الحقيقة

ازدواجية الغرب في العالم الثالث ١٩٠
سياسة القمع والكبت يؤدي إلى الإرهاب ١٩٥
سياسة المصالح والأغراض ٢٠١
إذا تركنا الكسل واستعملنا الفهم ٢٠٥
التناقض في وسائل التلقين والتربية
يؤدي إلى صراع عقلي وحضاري ٢٠٩
كلام وليس وراءه تصميم ٢١٣

درس من التاريخ

عندما لا تنفع الحضارة ولا ينفع التاريخ ٢١٩
من تاريخنا وماضينا الإسلامي ٢٢٤
وسائل القوة وإمكانيات الانتصار ٢٢٨
فهرس الموضوعات ٢٣٢

www.abulhasanalinadwi.org